مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانَة العامّة للعَتَبة الْحُسَيْنيّة الْمُقَدّسَة
مُؤسّسَة عُلوم نهج البَلاغَة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة العاشرة – العدد الرابع والعشرون
جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ – كانون الأول ٢٠٢٥م

الترقيم الدولي: ISSN 2414–1313

العنوان: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة

مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٧٨ لسنة ٢٠١٦م

للمعلومات والاتصال

٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

البريد الإلكتروني: info@inahj.org

تنويه: إن الأفكار والآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تعبرّ عن وجهة نظر كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

(سورة يس، الآية: ١٢)

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

رقم تصنيف LC: BP1.1 M83. V10. N24 2025.

الرقم العالمي للدوريات(ردمد): ١٣١٣-٢٤١٤.

العنوان: المبين: مجلة فصلية محكمة تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

بيان المسؤولية: مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

بيانات المطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة- مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٤٧هـ= ٢٠٢٥م

الوصف المادي: مجلد.

سلسلة النشر: (مؤسسة علوم نهج البلاغة؛)

تبصرة دورية: الوصف مأخوذ من: السنة العاشرة، العدد الرابع والعشرون (١٤٤٧هـ- ٢٠٢٥م)

تبصرة دورية: فصلية.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- سيرة- دوريات.

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة- شرح- دوريات.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- أحاديث- دوريات.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية- دوريات.

مصطلح موضوعي: الإسلام- دوريات.

مصطلح موضوعي: عقائد الشيعة الإمامية- دوريات.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة-شرح- دوريات.

عنوان إضافي: نهج البلاغة. شرح. دوريات.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ISBN 978-9933-582-00-5

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.: الرقم: ب ت 4 / 10669
Date: التاريخ: 2019/11/10

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المبين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أشارة الى كتابكم المرقم ٢١٤٤٣ في ٣١/ ٨/ ٢٠١٩ بشأن اعتماد مجلتهم التي تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة واعتمادها لأغراض الترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات العلمية الاكاديمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٧/١١/ ٢٠١٩ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية .

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بإسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ... مع التقدير.

أ.د. غسان حميد عبدالمجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
١٠ /١١/ ٢٠١٩

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي / أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على اصل مذكرتنا المرقم ب ت م٤/ ٧٦٨٠ في ٢٠١٩/١١/٧ / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير .
- قسم المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / للتفضل بالعلم واتخاذ مايلزم ... مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التاليف والنشر والمجلات / مع الاوليات .
- الصادرة .

مهند ، أنس
٧ / تشرين الثاني

UDLEDGE SDN. BHD. (1105825-P)
Block 7-23-1, Jalan Jalil Perkasa 14, Aked Esplanad, Bukit Jalil,
57000 Kuala Lumpur.
Tel : +603 8999 4074 | www.udledge.com | info@udledge.com

Date : 10th October 2018
Our Ref. : edge/1018/70252/almubeen

Editor-in-Chief
Al-Mubeen,
Nahjul Balagha Sciences Foundation,
IRAQ.
(Attn.: Prof. Dr. Nabeel Qaddoori Hassan Al-Hassani)

Dear Sir,

LETTER OF ACKNOWLEDGEMENT (CITATION INDEX DATABASE)

I am pleased to inform you that ***Al-Mubeen*** has been selected for coverage in UDLedge products and information services. This publication will be indexed and abstracted in the following products:

- *i*-Journals (www.ijournals.my)
- *i*-Focus (www.ifocus.my)

If possible, please mention on your website and publications that ***Al-Mubeen*** is covered in these UDLedge services and you can download our latest company and product logos at **http://udledge.com/download-logo.html**. In the future, ***Al-Mubeen*** may be included in additional UDLedge products and information services to meet the needs of the scientific and scholarly research community.

For more information regarding UDLedge products and services, please visit our website at **www.udledge.com** or contact me directly at **(+603)-89994074** or **(+6019)-2983745**. Alternatively, you can write and send your queries to **journals@udledge.com**.

Thank you for your attention. I am looking forward to hearing from you.

Sincerely,

SITI NUR' AIN BINTI SAKEH
Publisher Relations Manager

رئيس تحرير المبين
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العراق
الأستاذ نبيل قدوري حسن الحسني
سيدي العزيز

إفادة بالاستلام (مؤشر فهرسة قاعدة البيانات)

يسعدني اعلامك بأن المبين قد تم اختيارها ضمن منتجات UDLedge وخدمات المعلومات. هذه المجلة سوف يتم فهرستها وتلخيصها في المنتجات الآتية:

* i-Journals (www.ijournals.my)

* i-Focus (www.ifocus.my)

إذا كان ذلك ممكنًا رجاءً اذكر على موقعك الالكتروني واصداراتك بأن المبين تمت تغطيتها ضمن خدمات UDLedge ويمكنك تحميل شعارات منتجات شركتنا عن طريق http://udledge.com/download-logo.html

في المستقبل ربما سوف يتم تضمين المبين في منتجات UDLedge أخرى وخدمات المعلومات لكي تلبي احتياجات مجتمعات البحث العلمي والأكاديمي.

للمزيد بما يتعلق بمنتجات وخدمات UDLedge رجاءً قم بزيارة موقعنا الإلكتروني:

www. udledge.com

او تواصل معي مباشرةً على ٨٩٩٩٤٠٧٤-(٦٠٣+) أو ٢٩٨٣٧٤٥-(٦٠١٩+) ومن ناحية أخرى يمكنك الكتابة وارسال استعلامات البحث إلى:

journals@udledge.com

شكرا لاهتمامك انا أتطلع للاستماع إليك

SITI NUR' AIN BINTI SAKEH

مدير علاقات النشر

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)

التوحيد: الشيخ الصدوق، ص ٣٠٠.

رَئِيسُ التَّحْرِير

أ.د. عَبَّاس عَلِي حُسَيْن الفَحَّام

جَامِعَةُ الكُوفَة - كُلِّيَّة التَّرْبِيَة لِلبَنَات

مُدِيرُ التَّحْرِير

أ.د. حَسَن حَمِيد فَيَّاض

جَامِعَةُ الكُوفَة - كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ الأَسَاسِيَّة

هيأة التحرير

أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي
جامعة روتردام الإسلامية- هولندا

أ. د. عبد علي سفيح الطائي
مستشار وزارة التربية- فرنسا

أ. د. عبد الحسين عبد الرضا العمري
جامعة ذي قار- كلية الآداب

أ. د. جواد كاظم النصر الله
جامعة البصرة- كلية الآداب

أ. د. محمد حسنين النقوي
جامعة بهاء الدين- باكستان

أ. د. حسين علي الشرهاني
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. د. مصطفى كاظم شغيدل
جامعة بغداد- كلية الآداب

أ. د. نعمة دهش فرحان الطائي
جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد

أ. د. أحمد حسين عبد السادة
جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية

م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني
مديرية التربية- النجف الأشرف

مراجعة النصوص العربية

أ. د. كريم حمزة حميدي

الإدارة والمالية

أحمد عدنان المعمار　　زمان جعفر كاظم

أحمد عباس مهدي

ترجمة النصوص الإنكليزية

حسنين علي عبد الأمير الطائي

الإخراج والتصميم

أحمد عباس مهدي

قَصيدَةٌ تُؤَرِّخُ صدورَ مَجَلَّةِ المُبين سَنَةَ ((١٤٣٧ هـ))

مِنْ رَوضِ سِبْطِ المُصْطَفَى الأَمِينِ
وَفَيضِ جُودِ مَنْحَرِ الحُسَينِ

وَمِنْ سَنَا نَهْجِ بَلاغَةٍ سَما
إلى السَّما بِالأَنْزَعِ البَطِينِ

مَجَلَّةُ المُبِينِ حَقًّا أَشْرَقَتْ
عَلى مَدَى مَعَارِفِ اليَقِينِ

وَعَرَّجَتْ عَلى رُبَى أَهْلِ التُّقَى
بِغَيثِهَا ذِي الجَوهَرِ الثَّمِينِ

فَأَزْهَرَتْ بِحَرْفِهَا وَأَبْهَرَتْ
بِحُسْنِهَا الفَتَّانِ كُلَّ عَينِ

وَكَيْفَ لا وَهْيَ عَلَى بُرَاقِها
تَطِيرُ فَوقَ كَنْزِهَا الدَّفِينِ

فَقَدْ نَمَتْ وأَيْنَعَتْ وَأَثْمَرَتْ
بِنَهْجِ عَدْلٍ وَهُدَىً وَدِينِ

مَجَلَّةٌ تَزْهُو بِرَوْضِ حَرْفِها
وَسَبْكِها الجَمِيْلِ وَالرَّصِينِ

لِذا نَرَاها بالسَّنا تَوَشَّحَتْ
وَاعْتَصَمَتْ بِحَبْلِها المَتِينِ

وَتُوِّجَتْ فَصَاحَةً مِنْ حَيْدَرٍ
وَأُشْرِبَتْ مِنْ بَارِدٍ مَعِينِ

وَمِنْ رِيَاضِ السِّبْطِ سِبْطِ المُصْطَفَى
وَمَوْجِ نَزْفِ الْقَلبِ وَالوَتِينِ

إلى الهُدَى وَالحَقِّ داعِيها دَعَا
يَطْوِي بِنَشْرٍ رَقْدَةَ السِّنِينِ

زِدْ آخِرَ الدَّاعِي وَأَرِّخْ: ((صَادِحاً
قَدْ أَزْهَرَتْ مَجَلَّةُ المُبِينِ))

الشَّاعر: علي الصَّفَّار

الافتتاحية:

حضارة الكلمة

كلمة مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على خير النعم وأتمّها محمد وآله الأخيار الأطهار.

أمّا بعد:

فإنّ لكلِّ أمة حضارتها التي تفتخر بها على غيرها من الأمم، ولكلِّ حضارة رجالها الذين بنوها بالفكر والعمل والجد والاجتهاد، ولكلِّ حضارة شواهدها الشامخة وعلاماتها القائمة، وهي تحاكي الأجيال على كرور الأيام أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكن ليس كلُّ من رأى حضارة أمةٍ تَفَكّر في حالها، واعتبر بأخبارها وأُفول نجمها، ولم يبق منها سوى مواضع الأطلال، تصهرها أشعة شمس النهار، وتغزوها الأمطار، وتندب حالها الأطيار التي اتّخذتها أوكارًا لأعشاشها، ومأوى لفراخها، وكأنّ قدرها قد حتّم عليها أن لا يلحظها سوى فراخٍ هزيلة، وزواحف دخيلة، تجوب شقوق جدران هياكل الحضارة، وهي تَؤُزُّ بأصواتها لتدعو الإنسان أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكننا هنا في حضارة ليست كغيرها من الحضارات، فشموخها قائم في الأذهان وعلاماتها حاضرة في القلوب، وهياكلها تشدّ الأرواح لتهفو إليها أسيرة لأمرها، ومنقادة لنهيها تغفو على المعنى هنا، وترتشف الدَّلالة هناك، وتنتشي العِبْرة هنالك، فضلًا عن حيرتها في نسق التعبير وجمالية المغزى وقوام الجملة، إننا في حضارة الكلمة، كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام)، تلك الحضارة التي عجزت عن محوها الأنداد من الأعراب والأعاجم، فتكسَّرت على جدران حقائقها المعاولُ، وتقهقرت بساحات معارفها الفطاحلُ، ويئِست عن بلوغ مغزاها الأعاظم.

لأنها حضارة الكلمة.. كلمة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يزل صدى دعوته مرددًا «أن هاهنا علمًا جمًا لو أَصبت له من حملة».

ومن هنا: اتّخذت مؤسسة علوم نهج البلاغة منهجها في النهوض بهذا التراث المعرفي الذي اكتنزه كتاب نهج البلاغة، فقامت بتأسيس مجلة علمية فصلية مُحَكَّمَة مُعْتَمَدة لأغراض الترقية العلمية في المجال الأكاديمي، تهدف إلى استنهاض الأقلام العلمية والفكرية للارتشاف من معين علوم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكتاب نهج البلاغة الذي يعد بوابة يلج منها أهل الفكروالبحث إلى حضارة الكلمة، كلمة الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقرآنه الناطق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لذا:

تدعو أُسرة (مجلة المبين) المفكرين والباحثين في الجامعات والحوزات العلمية إلى الكتابة فيها والإسهام في رفدها بالأبحاث العلمية والدراسات المعمّقة؛ ليدلوا بدلائهم في رياض معين حضارة الكلمة الفياضة فتنتشي الأرواح، وتقر العيون، وتأنس النفوس، وهي تجوب بين أروقة علومها العديدة، وحقول معارفها الجمة.

ولا سيما أنّ (المبين) تُعدّ أوَّل مجلة علميةٍ محكمةٍ في العالمِ الإسلامي مختصةٍ بعلوم كتاب نهجِ البلاغة، وسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

سائلين الله تعالى التوفيق والتسديد لإدامة هذا الصرح المعرفي، ونسأله بلطفه وسابق رحمته، وخير نعمه وأتمها محمد وآله أن يديم علينا فضله وفضل رسوله الكريم وهو القائل وقوله حق ووعده صدق:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ الإسراء -٥٩-.

اللهم إنا إليك راغبون ولفضلك وفضل رسولك سائلون، والحمد لله رب العالمين...

السيد نبيل قدوري حسن الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

سياسة النشر في مجلة المبين

١. مجلة (المبين) مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة للعتبة الحسينية المقدسة وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلفين من داخل العراق وخارجه التي تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره في مجالات المعرفة كافة.

٢. إنّ الإستشهاد بمجلة المبين في مطالب البحث يعد من أساسيات تنشيط الحركة العلمية والمعرفية في مختلف المحافل الفكرية وذلك بوصفها مرجعا علمية أصيلا يعزز من مكانتها العلمية بين المجلات المحكمة.

٣. يكون البحث المقدم للنشر ملتزم بمنهجية وأخلاقيات البحث والنشر العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٤. أن لا يكون البحث قد نشر سابقًا أو حاصل على قبول للنشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى ويقوم الباحث بتوقيع تعهد خاص بذلك.

٥. لا تقوم المجلة بنشر البحوث المترجمة إلا بتقديم ما يثبت موافقة المؤلف الأصلي وجهة النشر على ترجمة البحث ونشره.

٦. يتحمل مؤلف البحث المسؤولية الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبر البحوث عن آراء مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٧. يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.

٨. يبلغ المؤلف باستلام بحثه من لدن المجلة خلال مدة لا تتجاوز العشرة أيام اعتباراً من تاريخ الاستلام.

٩. يبلغ المؤلف بالموافقة أو عدم الموافقة على نشر بحثه في المجلة في مدة لا

تتجاوز الشهرين اعتبارًا من تاريخ استلام البحث من قبل المجلة.

١٠. لا تعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلفيها.

١١. يلتزم المؤلف بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه وعلى فق تقارير هيأة التحرير أو المقيمين وإعادته الى المجلة في مدة أسبوع من تاريخ استلامه للتعديلات.

١٢. جميع البحوث المقدمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلمي من قبل ذوي الاختصاص.

١٣. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى فحص الاستلال الالكتروني.

١٤. تنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني للبحوث الى المجلة وعلى وفق صيغة تعهد يقوم المؤلف بتوقيعها ولا يحق لأية جهة أخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلا بموافقة خطية من المؤلف ورئيس هيأة التحرير لمجلة المبين.

١٥. لا يجوز للمؤلف سحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز له سحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر وبموافقة السيد رئيس هيأة التحرير حصرًا.

١٦. يمنح المؤلف ثلاث مستلات مجانية مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٧. يتوجب على المؤلف الإفصاح عن الدعم المالي أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدمة له خلال إجراء البحث.

١٨. يتوجب على المؤلف إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه لوجود خطأ كبير في البحث أو عدم دقة بالمعلومات وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلفين

١. تستقبل المجلة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبينة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدم للنشر أصيلا ولم يسبق نشره في مجلة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي المؤلف حقوق حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر عن عشرين صفحة.

٥. ترسل البحوث إلى المجلة عبر بريدها الالكتروني:

Almubeen.mag@gmail.com و inahj.org@gmail.com

٦. يكتب البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ (word) أو (LaTeX) وبحجم صفحة (A4) وبهيأة عمودين منفصلين ويكتب متن البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم ١٤.

٧. يقدم ملخص للبحث باللغة الإنكليزية وفي صفحة مستقلة وان لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم المؤلف / المؤلفين وجهات الانتساب.
- البريد الالكتروني للمؤلف / المؤلفين.
- الملخص.
- الكلمات المفتاحية

٩. يكتب عنوان البحث متمركزًا في وسط الصفحة وبنوع خط:

Simplified Arabic وحجم 16 Bold.

١٠. يكتب اسم المؤلف / المؤلفين متمركزاً في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط Simplified Arabic وبحجم 14 Bold.

١١. تكتب جهات الانتساب للمؤلفين بنوع خط Simplified Arabic وبحجم 12 Bold.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم:

12 Bold, Italic.

١٣. تكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها عن خمسة كلمات بنوع خط Simplified Arabic وبحجم 12 Justify, Italic.

١٤. جهات الإنتساب تثبت كالآتي (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد) وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخص البحث، تجنب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم المؤلف / المؤلفين في متن البحث على الاطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق والاشارة بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة،

مع ضرورة أن تكون مرقمة ترقيمًا متسلسلا وتوضع في نهاية البحث.

١٨. يلتزم المؤلف بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، كما يجب مراعاة وضع صور المخطوطات (للنصوص المحققة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة:

Harvard Reference style.

٢٠. جميع الدراسات التي تم الاستشهاد بها في متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبت وبشكل دقيق في قائمة المصادر وبالعكس.

٢١. يلتزم المؤلف / المؤلفون إلى بيان فيما إذا كان البحث المقدم للنشر قد تم في ظل وجود أية علاقات شخصية أو مهنية أو مالية يمكن تفسيرها على أنها تضارب في المصالح.

دليل المقومين

إن المهمة الرئيسية للمقوم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البنّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقوم التأكد فيما إذا كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي، فهل يمتلك المقوم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إن عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز العشرة أيام.

بعد موافقة المقوم على إجراء عملية التقييم وإتمامها خلال الفترة المحددة، يرجى إجراء عملية التقييم وفق المحددات الآتية:

١. هل أن البحث أصيل ومهم لدرجة توجب نشره في المجلة؟.

٢. فيما إذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها.

٣. هل أن فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم، يرجى الإشارة إلى تلك الدراسات.

٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه؟.

٥. بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته.

٦. هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلف الوصول إليه

وتوضيحه بشكل دقيق، وهل وضح فيها المؤلف ما هي المشكلة التي قام بدراستها.

٧. مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل إليها خلال بحثه بشكل علمي ومقنع.

٨. يجب ان تجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها.

٩. اذا أراد المقوم مناقشة البحث مع مقوم آخر فيجب ابلاغ رئيس التحرير بذلك

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقوم والمؤلف فيما يتعلق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن ترسل ملاحظات المقوم إلى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة.

١١. إذا رأى المقوم بأن البحث مستل من دراسات سابقة، توجب على المقوم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إن ملاحظات المقوم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، كما يرجى من المقوم الإشارة وبشكل دقيق إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط ممكن أن تقوم بها هيأة التحرير وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهري يجب أن يقوم بها المؤلف نفسه.

نموذج تعهد الملكية الفكرية ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلة المبين

أنا / نحن الموقع / الموقعون أدناه نقر بأن البحث الموسوم

والمقدم للنشر في مجلة المبين هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا خلال فترة إنجازه باستثناء ما تمت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إن دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم التي استعملت في هذا البحث قد تمت الإشارة إليها في متن البحث ووضعت بدقة ضمن قائمة المصادر، كما أتعهد/ نتعهد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلمي المعتمدة في مجلة المبين وإن العمل الذي أدى الى إنتاج هذا البحث قد تم وفق أخلاقيات البحث العلمي المعروفة عالمياً، فضلاً عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهد/ نتعهد بأن هذا البحث لم يسبق وأن نشر أو قُدم للنشر في مجلة أو أية وسيلة نشر أخرى وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصرية الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني لهذا البحث إلى مجلة المبين أو من تخوله هذه المجلة.

ت	اسم المؤلف / المؤلفون	البريد الالكتروني	التوقيع والتاريخ

ملاحظة : يملأ هذا الحقل في حال كون المؤلف مخول من بقية المؤلفين لتوقيع هذا التعهد نيابة عنهم

اني ..... مخول/ مخولة من جميع المؤلفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهد نيابة عنهم وأتعهد بصحة كافة معلوماتي الشخصية التي وردت في هذا التعهد ولأجله وقعت.

التوقيع: التاريخ:

البريد الالكتروني: رقم الهاتف:

المحتويات

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٨	كلمة العدد	أ. د. عباس الفحام رئيس التحرير
٣٠	ملف العدد	المعارف والعلوم القرآنية في نهج البلاغة
٣١	دور نهج البلاغة في صناعة الإنسان وعلومه رؤية قرآنية معاصرة	أ. د. خالد إبراهيم مسلم الآلوسي كلية العوم الإسلامية - الجامعة العراقية
٦٥	الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة: دراسة تحليلية	م. م. محمد زكي جواد العميدي ديوان الوقف الشيعي
١٠١	أثر نهج البلاغة في بيان المعارف القرآنية	الباحث: محمد حمزة عباس الخفاجي مؤسسة علوم نهج البلاغة.

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
١٣٣	التوجيهات التداولية في نهج البلاغة (خطب السلطات المجتمعية اختيارًا)	أ. م. د. خالد إسماعيل صاحب جامعة سومر- كلية التربية الأساسية
١٦٧	الكفاءة الإعلامية في نهج البلاغة «دراسة لسانيَّة نصيَّة»	أ. م. د. محمد شمخي جبر كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة
١٩٧	الابستمولوجيا ورهانات المعرفة في نهج البلاغة	أ. م. د. مسار غازي شناوة كلية التربية الأساسية- جامعة سومر- قسم اللغة العربية
٢٢١	لفظة (الفتنة) ومشتقاتها في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)	م. د. ستار جبار هاشم مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
٢٦٣	الجوانب الاجتماعية والدينية والأخلاقية في قصار حكم نهج البلاغة	م. د. سندس بندر خزعل جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

كلمة العدد

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإيمان وجعلنا من موالي سيد الأنام وآل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، وبعد،

فإنه بفضل الله تعالى يتم التواصل العلمي في إصدار المجلة التخصصية مجلة (المبين)، فهذا هو العدد الرابع والعشرون من عمرها العلمي المنير، اجتهدنا فيه أن يكون من ضمن فصوله -على وفق خطة المجلة- ملف خاص به يتعلق بالدراسات القرآنية ونهج البلاغة، ولا ريب في أن حصد التميز في الأعمال العلمية من نتائج الجدية في العمل، ولعل ذلك لا يكون إلا في ظل الاستمرار في البحث عما هو جديد ونافع وصالح في سوق العلم، فالعلم يوم بضاعة تتزاحم فيها أقلام المبدعين وتفرض نفسها بنفسها على القارئ لأن يقتنيها ويتدبرها في ظل سوق واسعة تعرض فيها شتى الملهيات وأنواع المعارف التي قد تجعل فرص البقاء غير مواتية لكثير منها، ومن هنا تسعى سياسة مجلة المبين بأسرتها كافة إلى البحث عما يميزها من بين أنواع المجلات التي تقدم المادة المعرفية، فاعتمدت الأسس الآتية في عملها:

أولًا: محاولة بين المزج بين الأصالة والمعاصرة في تقديم المادة المعرفية أو قل عصرنة التراث وتكييفه مادة طيعة سهلة بين يدي القارئ.

ثانيًا: ردم الفجوة بين الماضي والحاضر أمام النشء الجديد، وتعريفه بقيمة تراثه وعظمة هويته المعرفية، وإقناعه بأن التأخر في الحاضر لا يعني أن نعيش على هامش الحياة من دون هوية.

ثالثًا: إثراء الساحة المعرفية بالأقلام العلمية الواعدة التي تتمكن من مواكبة مشكلات العصر ومحاولة تقديم الحلول لتعقيداته ومعضلاته.

رابعًا: تسعى المجلة في عرض ما يمس حاجة المجتمع وإثارته لإيجاد

الحلول الواقعية قدر المستطاع، لذلك وضع ملف خاص لكل عدد يتضمن معالجات أدبية أو إدارية أو سياسية أو تاريخية، وهو أمر ليس باليسير مع كل إصدار.

ولا أبالغ إذا قلت إن سر ديمومة مجلة المبين مستمد من ثراء المعارف المحيطة بشخصية أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام فهؤلاء هدايا الله إلى الإنسانية لا يعرف اكتشاف دررهم إلا الغواص الماهر الذي أعد عدته لاستخراج الكنوز من قعر بحارهم المعرفية في التفسير وفي النقد والفقه والتشريع واللغة، وما المجلة إلا الوعاء الذي يحوي الفكر الرصين، وما هي إلا الوثيقة التي تقدم للأجيال اللاحقة عمل العاملين وإبداع المبدعين.

وهنا نعيد الكرة في توجيه الدعوة إلى مزيد من الجدة والابتكار في مختلف مجالات المعرفة، فما يزال الفكر الخاص بآل البيت المحمدي صلوات الله عليهم بحاجة إلى من يثوره ويقدمه زادا معرفيا لأبناء هذا العصر، وما يزال مجتمعنا بخاصة محتاجا إليهم على صعيد التنظير الأخلاقي وتطبيقاته، والتوجيه التربوي وتسديداته، وتقنيات الإدارة الصحيحة للأسرة والمجتمع، وإعادة بناء الفرد والمجموع، في ظل عالم يموج بالدعوات إلى الابتعاد عن النقاء والصفاء وذوبان الروح في الله، وإحلال محله الاشتغال بالملهيات عما يطور الفرد بعالم اللعب وتضييع الوقت.

وبذلك التوكل على الله تعالى نعقد العزائم وهمنا بناء الإنسان كما أراده الله تعالى ورسله وأولياؤه صلوات الله عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين بدءًا وختامًا.

رَئِيسُ التحريرِ

ملف العدد

المعارف والعلوم القرآنية في نهج البلاغة

* دور نهج البلاغة في صناعة الإنسان وعلومه
رؤية قرآنية معاصرة

* الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة: دراسة تحليلية

* أثر نهج البلاغة في بيان المعارف القرآنية

دور نهج البلاغة
في صناعة الإنسان وعلومه
رؤية قرآنية معاصرة

The Role of Nahj al-Balaghah in the Formation of the Human Being and His Sciences A Contemporary Qur'anic Vision

أ. د. خالد إبراهيم مسلم الآلوسي
كلية العوم الإسلامية- الجامعة العراقية

Prof. Dr. Khalid Ibrahim Muslim Al-Alousi
College of Islamic Sciences, University of Al-Iraqia

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012401

ملخص البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتجبين، أما بعد:

فإنَّ كتابَ نهج البلاغة يعدُّ كتابًا خالدًا؛ لِمَا فيه من المقوّمات التي جعلته خالدًا، ولعلَّ من أهمها صناعة الإنسان وصياغة علومه، وهو عنوان متكامل أُثر عن الإمام علي (عليه السلام)، فقد وضع أسس البناء القويم لصناعة الإنسان من خلال خطبه ومواعظه والوصايا التي ألقاها في كثير من المناسبات، التي كانت تستهدف بالدرجة الأولى الإنسان وعلومه وكيفية إخراجه من وضعه إلى ما أراده الله منه أن يكون، فهو خليفة الله في أرضه، وهو بهذا يؤسس لوجود إنسان متكامل عن طريق صناعته وبنائه، وقدرته على المشاركة في عملية التنمية التي تؤهله للبناء والتقدُّم؛ وذلك عن طريق رؤية حضارية مستلهمة من القرآن الكريم في بناء مجتمع متمدّن، يساير ويواكب التطور، وذلك يكون عبر تربيته تربية متكاملة عن طريق تنمية قدراته الكامنة فيه، متَّبعًا في ذلك العلوم التي أحاطت به، وإتقان ذلك كلّه عن طريق المواهب والعلوم التي استكنت في الإنسان، وهذا ما رقبه الإمام (عليه السلام) في خطبه ومواعظه التي احتواها نهج البلاغة، فأصبح دستورًا في بناء الإنسان وصناعته المتعلّقة بعلومه المعرفية التي يتميز بها الإنسان دون غيره من المخلوقين، وهذه أهمية الموضوع التي تكمن في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، صناعة الإنسان، علومه، رؤية حضارية.

Abstract

All praise belongs to Allah, Lord of all the worlds blessing and Peace be upon the holy Prophet Muhammad and his family. To proceed! Imam Ali (Pb) laid the sound foundation for the formation of the human being through his sermons, preaching, and recommendations delivered on many occasions. In doing so, he established the basis for the development of an integrated human being, guided by a civilized vision inspired by the Qur'an, aiming to build a civilized society that keeps pace with developments by nurturing individuals comprehensively and developing their capacities.

Keywords: Nahjal-Balagha, Formation of the Human Being, Human Being's, Sciences, Civilized Vision.

المقدّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتجبين، أما بعد:

فإنَّ كتابَ نهج البلاغة يعدُّ كتابًا خالدًا؛ لِمَا فيه من المقوّمات التي جعلته خالدًا، ولعلَّ من أهمها صناعة الإنسان وصياغة علومه، وهو عنوان متكامل أُثر عن الإمام علي (عليه السلام)، فقد وضع أسس البناء القويم لصناعة الإنسان من خلال خطبه ومواعظه والوصايا التي ألقاها في كثير من المناسبات، التي كانت تستهدف بالدرجة الأولى الإنسان وعلومه وكيفية إخراجه من وضعه إلى ما أراده الله منه أن يكون، فهو خليفة الله في أرضه، وهو بهذا يؤسس لوجود إنسان متكامل عن طريق صناعته وبنائه، وقدرته على المشاركة في عملية التنمية التي تؤهله للبناء والتقدُّم؛ وذلك عن طريق رؤية حضارية مستلهمة من القرآن الكريم في بناء مجتمع متمدّن، يساير ويواكب التطور، وذلك يكون عبر تربيته تربية متكاملة عن طريق تنمية قدراته الكامنة فيه، متَّبعًا في ذلك العلوم التي أحاطت به، وإتقان ذلك كلّه عن طريق المواهب والعلوم التي استكنت في الإنسان، وهذا ما رقبه الإمام (عليه السلام) في خطبه ومواعظه التي احتواها نهج البلاغة، فأصبح دستورًا في بناء الإنسان وصناعته المتعلّقة بعلومه المعرفية التي يتميز بها الإنسان دون غيره من المخلوقين، وهذه أهمية الموضوع التي تكمن في هذا البحث.

ثم نوع الدراسة تقتضي أن تكون استقرائية وصفية لكتاب نهج البلاغة الذي احتوى على تلك الصناعة والعلوم.

إشكالية البحث: التي أثارها الباحث كون هذه الصناعة لم تكن متيسرة لكل شخص؛ وذلك لأنَّ

الإمام علي (عليه السلام) استطاع بعقله الثاقب أن يركّز على مقوّمات الصناعة وآلية العلوم التي تعينه صياغة تلك الصناعة.

أمَّا أسئلة البحث، فتدور على ثلاثة:

أولاها: نهج البلاغة وعلاقته بصناعة الإنسان.

وثانيها: مدى أثر نهج البلاغة في إثراء العلوم التي تساهم في صناعة الإنسان.

وثالثها: الرؤية الحضارية لصناعة الإنسان في نهج البلاغة، والتي أسس لها القرآن الكريم من منظوره.

أهداف البحث: تتلخص في إظهار دور نهج البلاغة من خلال خطب الإمام (عليه السلام) في صناعة الإنسان والعلوم التي ساهمت في تلك الصناعة، التي كان الإمام (عليه السلام) يرقبها في بنائه للإنسان، كما تقرر الرؤية الحضارية التي أكدها القرآن الكريم، والتي استلهمها الإمام (عليه السلام) منه في تلك الصناعة.

أمَّا نطاقُ البحث، فهو نهج البلاغة وخطب الإمام ووصاياه لإنسان مرحلته الذي أراد أن يصوغه ضمن صناعة متميزة عبر رؤية حضارية استلهمها من القرآن الكريم والسنة النبوية.

أمَّا الدراسات السابقة، فهي وإن كانت تدور في نهج البلاغة فيما يخص اللغة والحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلّا أنِّي لم أجد مَنْ كتب في تلك الصناعة التي صاغها الإمام للإنسان في نظرته له؛ كونه فردًا فاعلًا ومتميزًا دون غيره.

أمَّا نتائج البحث، فقد تضمّنت أسس الصناعة للإنسان وعلومه التي وجدت معه، وأنَّ هذا الإنسان يعد قادرًا بعد هذه الصياغة؛ كونه استوعب أركانها في خطبه ومواعظه؛ وذلك بسبب معايشته إنسان مرحلته ورؤيته لما يكون عليه عن طريق رؤيته القرآنية

والحضارية، وبذلك يكون مؤسسًا لهذه الصناعة المتميزة، وقد جاء البحث على مقدّمة، وأربعة مباحث تبيّن تلك الفرضية التي أوجدها الباحث في هذه الدراسة الماتعة من نوعها؛ لأنَّها تتعلّق بأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). أمَّا المقدّمة، فقد بيَّنتُ فيها أهمية الموضوع وأسبابه والأسئلة التي أثارها الباحث مع بيان أهداف البحث والدراسات السابقة والنتائج التي خرج بها الموضوع بصورة عامة، ثم أتيت إلى المبحث الأول، فكان ميدانه التعريف بالمصطلحات التي وردت بالعنوان؛ لأنها قاعدة انطلاقه، ثم المبحث الثاني والكلام فيه عن نهج البلاغة وصناعة الإنسان عبر خطب الإمام (عليه السلام) ووصاياه. ثم يأتي المبحث الثالث لاستكمال تلك الصناعة بالعلوم التي أثراها نهج البلاغة ووسمته بأثر نهج البلاغة في إثراء العلوم. ثم لا بد من مبحث ثالث يبيّن لنا الرؤية الحضارية التي تستوعب تلك الصناعة؛ لأن قاعدة انطلاقها هو المنظور القرآني، فعنونته بالرؤية الحضارية لصناعة الإنسان في نهج البلاغة من منظور قرآني. ثم الخاتمة التي وجدت فيها أهم النتائج التي تمخضت عنها تلك الدراسة، ثم قائمة ثبتا فيها المصادر والمراجع، وبذلك اكتملت رؤية الموضوع، التي وجدت؛ تلبية للبحث العلمي وإظهار فضل الإمام (عليه السلام) في أثراء الرؤية الحضارية التي أسس عليها الإمام (عليه السلام) منظوره لصناعة الإنسان وعلومه.

المبحث الأول:

التعريف بمصطلحات العنوان

وردت في العنوان مصطلحات لا بد من التعريف بها؛ لأنها تشكل قاعدة البحث وأساسه، لاستكمال المنهجية السليمة في البحث، وهذه المصطلحات تتجلّى بـ(نهج البلاغة، والصناعة،

والعلـوم، الرؤيـة الحضاريـة).

هـذه أهـم المصطلحـات التـي وردت في العنـوان، والتـي تـدور عليهـا الدراسـة، وسـوف نعـرف بهـا باللغـة والاصـطلاح وكونهـا لقبًـا على الموضـوع نبـدأ:

أوّلًا: نهـج البلاغـة مصطلـح مركـب مـن كلمتـي: نهـج وبلاغـة، وسـوف أُعـرِّف بـكل كلمـة على حـدة لغـة واصطلاحًـا، ثـم التعريف بهـا كونهـا لقبا على هـذا العنـوان. فأقـول:

نهـج: فعـل ثلاثـي مـن نهـج الأمـر أي: وضـح. طريـق نهـج: واسـع واضـح، وطـرق نهجـة ومنهـج الطريـق: وضحـه. والمنهـاج: الطريـق الواضـح[1].

قـال ابـن فـارس: "النـون والهاء والجيـم أصلان متباينـان: الأول النهـج، الطريـق. ونهـج لي الأمـر: أوضحـه. وهـو مسـتقيم المنهـاج. والمنهـج: الطريـق أيضًـا، والجمع المناهـج. والآخـر الانقطـاع. وأتانـا فلان ينهـج، إذا أتـى مبهـورًا منقطـع النفـس. وضربـت فلانًـا حتـى أنهـج، أي سـقط"[2]، والكلمـة تـدور على معنـى الوضـوح، وهـو أصلهـا، ثـم توسـع فيهـا وأصبحـت لها مجـازات لا تدخـل ضمـن موضوعنـا.

أمَّـا في الاصـطلاح، فلـم أجـد في كتـب الاصـطلاح تعريفًـا لها، لـذا يصـار إلى معناهـا اللغـوي؛ لأنـه مـن الوضـوح بمـكان، والـذي يـدل على الوضـوح، وهـي حسـب مـا تضـاف إليـه، فيُقـال: نهـج الطريـق أي وضـح، ومنـه نهـج البلاغـة الـذي سـوف نعـرف بـه كونـه لقبًـا على هـذا الموضـوع.

أمَّـا البلاغـة، فهـي تعنـي في اللغـة الاسـتحكام يقـال: بلُـغَ يبْلُـغُ فهـو بليـغٌ إذا اسـتحكم[3].

بمعنى صـار فصيحًا وحَسُـن بَيانُـهُ[4]، يقـال: وَبلـغ الرجـل بلاغـة إذا صَـار بليغًـا[5].

أمَّـا في الاصـطلاح، فهـي: أي البلاغَة: "حسـن البيـان وقـوّة التَّـأثير ومطابقـة الـكلام لمقـتضى الحال مـع فصاحتـه"[6].

أمَّا نهج البلاغة كلقب على هذا العنوان، فهو يشير إلى كتاب ألَّفه صاحبه في بلاغة الإمام علي (عليه السلام)؛ إذ جمع فيه كل خطب الإمام، وقد أحسن اختياره لهذا الاسم، ليبين لنا دور الإمام في فصاحته وقوة أسلوبه في نظمه وشعره ونثره، فهو طريقها الواضح.

ويمكن أن نقول: هو مجموعة من خطب ورسائل وتفاسير وروايات الإمام علي (عليه السلام) جمعها الشريف الرضي أحد علماء المسلمين في القرن الرابع الهجري، ونهج البلاغة معروف بفصاحة محتواه، ويعد تحفة أدبية[٧].

ثانيًا: الصناعة: أمَّا معنى الصناعة، فهو مصدر صنع أي عمله وأنشأه يقال: صنع يصنع صنعًا إذا عمل الشيء بإتقان، قال ابن فارس: "الصاد والنون والعين أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، وهو عمَل الشيءِ صُنعًا. وامرأةٌ صُناعٌ ورجلٌ صنْعٌ، إذا كانا حاذقين فيما يصْنعانِهِ"[٨].

فأصل الكلمة العمل بإتقان، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النَّمل: ٨٨].

دَلِيل على الصَّنْعَة، كَأَنَّهُ قَالَ: صَنَع الله ذَلِك صُنْعاً... وقد تأتي بمعنى التربية، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] مَعْنَاهُ: ولتربَّى بمرأى منّي. أو أَي ربَّيتك لخاصَّة أَمْرِي الَّذِي أردته فِي فِرْعَوْن وَجُنُوده يُقَال: صَنَع فلَان جَارِيَته إِذا ربَّاها، وصَنَع فرسه إِذا قَامَ بعلفه وتسمينه[٩].

والذي يلحظ في الصناعة أنَّها لا تكون إلّا بعد دربة ومتانة في العمل، ولهذا أطلقت على التربية والإجادة في الشيء كونها من معاني الصنع، وتطلق الصناعة على حرفة الصانع وعمله[١٠]. ولهذا فإتقان كل شيء يعد صناعة، ومنه إتقان عمل المفسّر في تفسيره، وهنا أطلقت مجازًا.

أمَّا في الاصطلاح: فهي ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية، وقيل: المتعلّق بكيفية العمل[١١].

أي هي "العلم الحاصل بمزاولة العمل كالخياطة والحياكة والحجامة ونحوها ممّا يتوقّف حصولها على المزاولة والممارسة"[١٢].

ولعل تعريف الكفوي أكثر انطباقًا على موضوعنا، فقد عرف الصناعة: "بأنها كل علم مارسه الرجل سواء كان استدلاليًّا أو غيره حتى صار كالحرفة له، فإنه يسمى صناعة، وقيل: كل عمل لا يسمى صناعة حتى يتمكن فيه، ويتدرب، وينسب إليه"[١٣] وهذا ما قررناه من أقوال أهل المعاجم، ولا سيَّما قول ابن فارس: "وهو عمل الشيء صنعا" بمعنى اتقانا، وهذا يستلزم المران والممارسة والدربة، والله تعالى أعلم.

ثالثًا: العلوم: جمعُ علم، والعلم نقيض الجهل، وقد يأتي لمعان عدة، منها أنَّه الإدراك والإخبار والإشعار والعلامة والمعرفة، والسيادة والدلالة[١٤]. والعِلم: "أصله ضدّ الْجَهْل يقال: رجل عَالم من قوم عُلَمَاء وعالمين. وأعلام الْقَوْم: ساداتهم. ومَعالم الدّين: دلائله، وَكَذَلِكَ معالم الطَّرِيق، وَالْوَاحد مَعْلَم"[١٥].

قال ابن فارس: العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدلُّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: علمت على الشيء علامة. ويقال: أعلم الفارس، إذا كانت له علامة في الحرب. وخرج فلان معلمًا بكذا. والعلم: الراية، والجمع أعلام. والعلم: الجبل، وكل شيء يكون معلمًا: خلاف المجهل. وجمع العلم أعلام... والعلم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة، والدليل على أنهما من قياس واحد قراءة بعض القراء: (وإنه لعلم للساعة)،

قالوا: يراد به نزول عيسى -(عليه السلام)-، وإن بذلك يعلم قرب الساعة. وتعلمت الشيء، إذا أخذت علمه. والعرب تقول: تعلم أنه كان كذا، بمعنى اعلم"[١٦].

ويأتي بمعنى الخبر من قولهم: أعلمه بالأمر: أخبره به وعرَّفه إيّاه[١٧].

وبهذا يتبيَّن لنا أنَّ العلم حالة يكون عليها الشيء، قد تكون حسية كالمعلم على الطريق والراية والإشعار والعلامة، وقد تكون كسبية نتيجة السيادة في المجتمع، وكذا التلقي والأخذ، وهو وإن كان حسيًّا إلّا أنَّ فيه جانب الوصف، ولهذا يقال: العلم ضد الجهل نتيجة حالة يكون عليها الشيء تجعله معلمًا للهدى بسبب إيصاله المعلومة للآخر، وقد يكون نتيجة إدراك يكون عليها الشخص تجعله دليلًا على أمر ما، ولهذا يقال له دلالة، والله تعالى أعلم.

أمَّا العلم في الاصطلاح، فهو "اعتقاد الشيء على ما هو به على سبل الثقة واليقين"[١٨]. أو هو حصول صورة الشيء في العقل، أو: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به.

وقيل غير ذلك بأنه صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات[١٩]، وعلى أي حال، فالعلم دلالته تدور حول الإدراك والمعرفة التي تتعلق بها المعلومات، والله تعالى اعلم.

رابعًا: الرؤية الحضارية: مركب وصفي متكون من كلمتين؛ الأولى الرؤية، والثانية الحضارية، وسأعرّف بكل كلمة على حدة ثم التعريف بكونه مركبًا وصفيًّا ولقبًا على هذا الموضوع. فأقول:

الرؤية: رؤية مفرد: جمع رُؤىً، وهي مصدر رأى، وهي حالة أو درجة كون الشّيء مرئيًّا[٢٠] و"الرؤية إبصار الشي رؤيته بحاسة الرؤية، وهي العين"[٢١] أو "النظر بالعين وبالقلب"[٢٢].

أمَّا الرؤية في الاصطلاح: فهي إدراك

الأشياء بحاسّة البصر، وعليها المعوّل في الشهادة[٢٣]. أو هي المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة[٢٤]. ويقال: إدراك المرئي، وذلك أضرب بحسب قوى النفس، الأول بالحاسة ونحوها، الثاني: بالوهم والتخيل، الثالث: بالفكر، نحو ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، الرابع: بالعقل نحو ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١][٢٥]، ولعلَّ هذا الأخير أشمل تعريف؛ لأنه يتناول الحس والمعنى، وهو ما يراد من الرؤية الحضارية.

أمَّا الحضارية: فهي مصدر صناعي، يدل على معنى مجرد من حضارة بمعنى تمدن وعمران أو عمران الخليقة[٢٦].

وفعله الثلاثي حضر، والحضر ضد البادية قال ابن فارس: "الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، وروده ومشاهدته. وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحدًا، فالحضر خلاف البدو. وسكون الحضر الحضارة"[٢٧]، والكلمة وإن كانت في أصل اللغة من الحضور إلّا أنَّها تُوسّع في معناها، وأطلقت على تمدّن الناس واستخدام أمور مهمة تعالج واقعهم، وقد كثر استعمالها بالمعنى الجديد في العصور المتأخرة حتى ظن كثير من الناس أنَّها لا توجد في اللغة، لكن حقيقة الأمر أنَّها موجودة حتى في شعر العرب، ولهذا قال الشاعر:

فمن تكن الحضارة أعجبته

فأي رجال بادية ترانا[٢٨]

والحضَارية في الاصطلاح: حالة الرخاء والازدهار والرفاهية التي يدل عليها ثراء الزينة والملابس وجمال الحدائق والعمارات وفخامة المآدب إلى غير ذلك[٢٩].

أو هي مظاهر الرُقيّ العلميّ والفنيّ والأدبيّ والاجتماعيّ في الحَضَر[٣٠]

أمَّا بوصفه لقبًا على هذا الموضوع، فالرؤية الحضارية هي: إدراك الأشياء وإبصارها وفهمها والتعامل معها

سواء كانت الرؤية من منظومة قيمة (أخلاقية وسياسية واقتصادية) أو تكون أوسع من ذلك، ولكن ما يهمنا في موضوعنا أنَّها من منظومة قيمية[٣١]

المبحث الثاني

نهج البلاغة وصناعة الإنسان

إنَّ صناعة الإنسان تعني صناعة نفسه وقلبه وروحه صناعة متكاملة مُحكمة، وفي حقيقتها أنها التزكية العلمية للنفس، وهذا المصطلح ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى لموسى (عليه السلام): ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

والصناعة هنا جاءت استعارة ومجازًا، ويُرادُ بها ما يفيد الاختصاص بشدة الرعاية، وفرط الحفظ والكلاءة الدائمة. ولمَّا كان الحافظ للشيء في الأغلب يديم بعينه مراعاته جاء تعالى باسم العين بدلًا من ذكر الحفظ والحراسة[٣٢]، وهذا ما نجده عند الإمام علي (عليه السلام) في صناعته للإنسان أدامت مراعاته بعينه عن طريق ما قرره في خطبه وتعهده للإنسان في زمنه، وهو يرقب به مستقبل ما يكون عليه الإنسان في سائر شؤونه ليعلّمه حسن العناية به[٣٣]، فالصنع: مستعار للتنمية والتربية، تشبيهًا لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم أحد عليه عظيم النعمة: هو صنيعة فلان[٣٤].

وهذا ما يبين لنا أن الصنعة التي قام بها الإمام علي (عليه السلام) من خلال التربية التي ربى بها أصحابه، وهو يتعهدهم بالنصيحة ومعالجة المواقف التي يمرون بها، وهذا ما سوف نشاهده عبر تلك الخطب والوصايا التي ألقاها، ولكن بعد أن نبيّن أركان تلك الصناعة التي اعتمدها (عليه السلام)، وهي الأسس التي تتحكّم في بناء الإنسان وتشكيله، وقد ذكرها الله تعالى في محكم التنزيل في سورة العصر بقوله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

﴿الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وهي تتمثّل بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ففي هذه السورة الصغيرة يتمثل منهج كامل للحياة الإنسانية كما يريدها الإسلام. فهي تصف الإنسان: حقيقته ووظيفته التي تمثل صناعته، فالحقيقة الكبيرة التي تقرّرها هذه السورة:

أنَّه على امتداد الزمان في جميع العصور، وامتداد الإنسان في جميع الدهور، ليس هنالك إلّا صناعة واحدة ذات منهج واحد رابح، وطريق ناجح واحد. هو المنهج الذي ترسم حدوده سور القرآن، وهذا الطريق الذي تصف معالمه السورة. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسارة[٣٥]، وهذا ما ارتقبه الإمام (عليه السلام) في صناعته للإنسان أنه الإيمان والعمل الصالح، ولطالما تحدَّث عن هذا العنصر المهم الذي له الدور الأساس في صحة الإنسان الروحية والنفسية وخلق الحياة الطيبة للإنسان في هذه الدنيا، فضلًا عن أثرها في الآخرة، فقال (عليه السلام): «وَسُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»[٣٦]، والتعهد له بأن يتواصى به بالحق والتصبّر، ومن هنا يتبيَّن أنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد أسس أصل صناعته على القرآن الكريم من دقيق الفهم، لِمَا يُراد من الإنسان في حياته اليومية ومواقفه التي يتكون منها، فمقومات الإيمان هي بذاتها المقومات الإنسانية الرفيعة الكريمة، فالجمع بين الصبر والحق أساسها، إذ إنَّه لا يقوم حق إلّا قام من ورائه الصبر.. إذ إنَّ كل حق يترصَّد له الباطل، ويزحمه الضلال... وتجلية الحق، ودفع الباطل عنه، يحتاج إلى عظيم المدد من الصبر والمصابرة[٣٧]، فالصبر ملاك الفضائل، فما التحلّم والتكرّم والتعلّم والتقوى والشجاعة والعدل والعمل في الأرض ونحوها

إلّا من ضروب الصبر. وقد لمح الإمام علي (عليه السلام) هذا الجانب في صناعته للإنسان، فقال: الشجاعة صبر ساعة[٣٨]. وهو من ضمن الخصائص التي تميز بها الخلقية والفضائل العريضة النفسانية والأوامر الدينية التي احتواها خطابه البليغ، وهو الشجاع الذي ما فرَّ من معركة قط، ولا ارتاع من فلول الكتائب، ولا بارز أحدًا إلّا أرداه قتيلًا، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية ليقضي عليه، وفي الحديث: "كانت ضرباته وترا"[٣٩]، وقوله عليه السلام: «نَجْدَةً أَكْرَمَنِيَ اَللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا» النجدة: بمعنى الشجاعة[٤٠].

والذي يلحظ في صناعة الإنسان عند الإمام (عليه السلام) أنه يسلك طريقين في تقرير ذلك؛ أولاها المعتقدات والقناعات والأفكار، وثانيها السلوك والمهارات والعادات، وفي حقيقة الأمر أن الثاني متوقف على الأول، والذي يؤثر في الإنسان وتفكيره أمور ثلاثة نجدها من استقراء خطب الإمام (عليه السلام)، وهي تتجلّى: في اللغة، والثاني التفكّر والنظر، والثالث المواقف والأحداث، وقد استحكمها الإمام في خطبه وفعله. وكلّها قد تجلّت في الإمام كون اللغة الحية التي تدل على فصاحته وعبارته المتينة، وهي تتحكّم في الإنسان ومشاعره، فيديرها كيف يشاء وإلى أية جهة، واللغة قد تفوق الصورة في مهارة التصوير وتجسيد المعاني الذهنية والحسية، وهذه من القضايا التربوية المهمة في صناعة الإنسان، ويمكن أن تسمَّى التربية بالنصوص، ويقصد بها القرآن والسنة وما يتصل بها، وقد استلهم الإمام (عليه السلام) هذا من القرآن الكريم في بيان الأحداث وتصويرها، وصياغة ذلك باللغة بأسلوب تربوي رشيق، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا

الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢- ٥٣] وهو في صميمه كتاب واحد، ودين واحد... وهو الإسلام... بهذا المعنى الواقعي في الناس وضمائرهم وواقعهم العملي على حد سواء. والذي يلتقي عليه كل المؤمنين أتباع الأنبياء في كل زمان ... متى كان معنى إسلامه هو الاعتقاد الصادق بوحدة الألوهية والقوامة والإتباع والطاعة في منهج الحياة كله بلا استثناء[٤١]. وهذا ما جسَّده القرآن في جميع آياته بألفاظ تكون أقوى من التصوير، وهذا ما اعتمده الإمام (عليه السلام) في صناعة الإنسان باستخدام اللغة وقد ذكر ملمحًا من ذلك في قوله: «أَعْسَر الْخِيَل تَصْوِير الْبَاطِل فِي صُورَة الْحَق عِنْد الْعَاقِل الْمُمَيز»[٤٢].

وما أثر عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قُلْنَا لِعَلِيٍّ (عليه السلام): هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ شَيْءٌ سِوَى الْقُرْآنِ؟" فَقَالَ: «لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِلَّا أَنْ يُعْطِيَ اللهُ رَجُلًا فَهْمًا فِي كِتَابِ اللهِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ» قَالَ: قُلْتُ: وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟، قَالَ: «الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»[٤٣].

وهذا كله يبيّن لنا أنَّ اللغة وفهمها يعد أسلوبًا من أساليب التربية الحديثة، فاللفظ هو الطريق الموصل إلى المعنى، وهو روح الكلمة وحياتها، فالنسبة بينه كالنسبة بين جسد الإنسان ووجهه. وقد كان الإمام (عليه السلام) آية في الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير والسبك المتين، فاستطاع عن طريق كلماته وفهمه أن يصوّر حقيقة الإنسان وصناعته، وقد كان أسُّه في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية واللذين يُعدَّان الأساس والمصدر الذي ارتكز عليه الإمام (عليه السلام) في صناعته للإنسان. والموضوع يطول ولا تحدّه هذه الصفحة، وقد تكلّمنا عن غيض من فيض. وهو كما يقول ابن أبي

الحديد: "إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرّع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وقد تقدَّم وتأخروا، لأنَّ كلامه (عليه السلام) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي"(٤٤)

المبحث الثالث:

أثر نهج البلاغة في إثراء العلوم

يُعَدُّ أثر نهج البلاغة في إثراء العلوم واضحًا بارزًا، فهو محلُّ اهتمام الباحثين في الدراسات العليا في كتابة الرسائل والأطاريح وبمختلف التخصصات الإنسانية، وهو مرجع واضح في السياسة والاقتصاد والاجتماع والنحو والبلاغة والفلسفة، فضلًا عن الأخلاق والتشريع، فهو معين لا ينضب، وثراء يغتني به الباحثون، والمنهل العذب لكل مكان وزمان؛ لأنَّ له تأثيرًا عجيبًا في العلوم التي تحتاج إلى مثل هذه الخطب التي نصت على تلك العلوم، فالإمام (عليه السلام) فارس الميدان في النحو، فهو يصف لأبي الأسود الدؤلي عوج لسان اللاحنين بما يقرره من مبادئ النحو العامة في اللسان واستقامته والاعتماد على القواعد التي سطرها، من ذلك ما جاء عنه في علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنَّه هو الذي أنشأه وابتدعه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي أصوله وجوامعه، من جملتها أنَّ الكلام له ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف... ومن جملتها: أن تقسيم المفردة إلى نكرة ومعرفة، وتقسيم الإعراب إلى الرفع، والنصب، والجر والجزم، وهذا كله يكاد يلحق بالمعجزات، لأنَّ القوة البشرية لا تفي بذلك الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط(٤٥).

ومن العلوم التي أثراها الإمام علي (عليه السلام): علم تفسير القرآن، فأخذ عنه، وفرع عليه. وإذا رجعت إلى التفاسير شاهدت صحة ذلك، لأنَّه عنه أُخذ أكثره، وكذلك عن ابن عباس، يقول ابن أبي حديد عن ابن عباس أنه كان ملازمًا له، وانقطع في طلبه إليه.

وقيل لابن عباس فيما ينقله ابن أبي حديد: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط[٤٦].

أمَّا العلم في الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والأمور الدينية، فهي أسسٌ تربوية كان الإمام على علمٍ جمٍّ فيها، وقد اتَّخذها أهل التربية منهجًا لهم في علومهم[٤٧].

أمَّا القضاء، فهو المبرَّز في ذلك، فقد قال عنه النبي (صلّى الله عليه وآله): «أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ»[٤٨].

فسرعة الفصل صنعته، والغوص على دقائق الأدلّة فطنته ونوعها الذي يمتلكها[٤٩]، فقد كان في الحكومات فيصلها المبرَّز[٥٠].

لذا يلحظ في نهج البلاغة الحياة فيه ديمومة؛ لأنَّها من ديمومة العلوم التي أثراها نهج البلاغة بأقوال أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهو أثر بلاغي لا تملّه الأسماع مهما تردَّد ذكره، وسرُّ هذه الديمومة أنَّه كان أوعى للقرآن الكريم والسنة النبوية؛ استنادًا لقوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام): «سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ، فقَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام): فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وآله فنسيته»[٥١]. وهذا يبيّن لنا سرَّ الخلود لهذا الكتاب عن الإمام علي (عليه السلام)؛ لأنه كان واعيًا لكل ما يقال له، و متثبتًا لما يقرأه من القرآن الكريم.

ويظهر الجانب التربوي والإصلاحي

في فكر الإمام (عليه السلام) الذي يركز على أسس متوازنة متينة تساهم في خلق مجتمع أسري صحي ومعافى، وذلك عبر تنشأته (عليهم السلام) أولاده، فهو يعد نموذجًا به يُقتدى، إذ تظهر الوصايا التاريخية والإرشادية التي توضح المناهج التربوية التي تساعد في إعداد الفرد اجتماعيًّا ودينيًّا، ومنها قوله: «**واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه، ويكرهه لعامة المسلمين، واحذر كل عمل يعمل في الستر، ويستحيا منه في العلانية، واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه**»، وهذه الوصايا الثلاث متقاربة في المعنى، وقد اعتمدها من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [هود: ٨٨]، لذا "يمكن للواعظ أو الناصح أن يساهل المأمور في كل ما يأمره به، ولكن يجب ألّا يجيز له ما ينهاه عنه، فإنَّ الإتيان بجميع الطاعات غير ممكن، ولكنّ التجرّد عن جميع المحرّمات واجب. ولهذا يقال: من لم يكن له حكم على نفسه في المنع عن الهوى لم يكن له حكم على غيره فيما يرشده إليه من الهدى"[٥٢]. لقد وعى الإمام (عليه السلام) هذا الأمر، فطبَّقه على بنيه في وصاياه التي تبنَّي أسرة متكاملة.

ومن العلوم أيضًا علم الفقه، وهو (عليه السلام) أصله وأسُّه، وكل فقيه في الإسلام هو عليه عالة، ومعتمد من فقهه، فإنَّ الصحابة وفقهاءهم كانوا من حياضه واردين، ومنهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي (عليه السلام) الفقه. وقد قال عمر: "لولا علي لهلك عمر"، وقوله: "لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن". ومن ذلك مثاله في عدة المتوفى عنها زوجها وهي حامل أنه قال: تعتد أبعد الأجلين احتياطًا. وذهب في ذلك إلى أن الاعتداد بوضع الحبل إذا ذكر.. في الطلاق، ولم يذكر في.. الوفاة؛

فيحتمل أن يكون ذلك في الوفاة كما هو في الطلاق ويحتمل ألّا يكون، فأمرها بذلك احتياطًا[٥٣].

ومن العلوم الأعلى شرفًا العلم الإلهي؛ لأنَّ شرف المعلوم بشرف العلم، وموضوعه من أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم. ومن كلامه (عليه السلام) اقتبس وأخذ، وعنه نقل وانتحل، وإليه انتهى كل معلوم[٥٤].

أمَّا علم السياسة، فهو أمامها ورائدها في هذا المجال، وهي تعرض لقضايا وملابسات جمة وعظيمة، وقد حدثت في زمنه (عليه السلام)، وليس المقصود بالسياسة ما هو معروف بالسياسة اليوم، بل هو ما ينظر إليها من المعنى اللغوي من سياسة الناس وقيادتها وتدبير شؤون الناس كافة، فيدخل فيها كل ما يتعلق بالسلم والحرب والاقتصاد والثروة، والولاة والرعية ممَّا يندرج ضمن القيادة، فإنَّه كان شديد السياسة، لا يخاف في ذات الله لومة لائم، ولم يراقب ابن عمه في عمل كان ولّاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلًا في كلام جبهه به، كما ينقل ذلك ابن أبي الحديد أنه من جملة سياسته أيام خلافته في حربه بالجمل وصفين والنهروان، وفي أقل القليل منها مقنع، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ بطشه وفتكه وانتقامه مبلغ العشر ممَّا قام به (عليه السلام) في هذه الحروب.

وأمَّا الرأي والتدبير، فكان من أشد الناس وأسدّهم رأيًا، وأحسنهم تدبيرًا، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لَمَّا عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حروب الروم والفرس بما أشار عليه. وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان فيها صلاحه، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث. وإنَّما قال خصماؤه: لا رأي له؛ لأنه كان بالشريعة متقيدًا، ولا يرى خلافها، ولا يعمل بالحرمة بما يقتضيه الدِّين[٥٥].

وقد ذكر ابن أبي الحديد عن الإمام

(عليه السلام): أن حقيقة الجواب هو أن عليًّا (عليه السلام) كان لا يرى في عمله مخالفة الشرع، لأجل السياسة، سواء أكانت تلك السياسة دينية أم دنيوية[٥٦].

ومن العلوم التي برع فيها وكان يضرب المثل به في الشعر وفنونه، فقد ذكر الشعبي قوله: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي (عليه السلام) أشعر الثلاثة[٥٧]، وقد كان أعلم الناس بأشعر الناس لَمَّا سئل من أشعرهم؟ قال: الملك الضلّيل ذو القروح[٥٩]...

ونكتفي بهذا الكلام الذي يوضح دور الإمام علي (عليه السلام) في إثراء العلوم من خلال ما جمعه الرضي عنه في كتابه نهج البلاغة.

المبحث الرابع: رؤية حضارية لصناعة الإنسان في نهج البلاغة من منظور قرآني

إنَّ الرؤية الحضارية تعد منظومة متكاملة؛ لكونها تشمل كل المعتقدات والعادات التي تعبر التعبير الدقيق عن حقائق أي أمة، والتي من منهجها بناء الإنسان والأمة والحضارة، وقد كان نهج البلاغة له الدور الكبير في صناعته للإنسان في الخطب والوصايا التي أرسى فيها الإمام علي (عليه السلام) أسس الصناعة المتميزة للإنسان التي كانت تستمد من منظور قرآني، لكي يؤسس لهذا الإنسان بأسس متينة، ما يجعله فردًا متميزًا يتميز بمقومات تجعل منه إنسانًا راقيًا مؤمنًا بالله تعالى حاملًا لقيم أخلاقية عالية، وهذا ما يدخل ضمن الرؤية الحضارية التي أرتأها في هذه الحياة، فهي تغطي كل مفردة في حياة المسلم المعرفية والسلوكية، ولعل من أسس الرؤية الحضارية التي صورها الإمام علي (عليه السلام) في خطبه الالتزام بمبدأ الحق ومناصرته، والنفور من الباطل ومكافحته القمم الحضارية المثلى؛ لأنَّ هذه النصوص التي ارتكن إليها الإمام علي (عليه

السلام) تحمل حربًا شعواء على الباطل حيث وجد، ومن أي مرجع ظهر. فقد كان علي (عليه السلام) إذا سار إلى قتال، ذكر اسم الله قبل أن يركب، فيقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣- ١٤]، ثم يستقبل القبلة، ويرفع يديه إلى السماء ويقول: اللهم إليك نقلت الأقدام، وأتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٨٩]، ثم يقول: سيروا على بركة الله، ويقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلّا الله، الله أكبر، يا الله يا أحد يا صمد، يا رب محمد، اكفف عنا بأس الظالمين: (الحمد لله رب العالمين الرحمن)[٥٩]. ومن خطبه قوله (عليه السلام) يحث فيها على الصلاة على محمد وآل محمد، فيقول: «اِجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ. اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ اَلْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ خَبِيثَاتِ اَلْأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلاَتِ اَلْأَضَالِيلِ»[٦٠].

والرؤية الحضارية في المنظور القرآني التي ارتقبها الإمام علي (عليه السلام) هي ذات طابع إنساني عالمي، فهي تتعامل مع الإنسان أيًّا كان موقعه، ولا تقتصر على الأفراد التي شكلتها فحسب، فضلًا عن الخصيصة المهمة، وهي الواقعية وعدم الانفصال عن أرضية الواقع والعالم، وفي ذلك يقول (عليه السلام): «إنَّ المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها، أصلها اتباع الأهواء، وابتداع الأحكام التي لم تعرف يخالف فيها الكتاب، وتحمل العصبية والهوى على تولى أقوام قالوا بها، على غير وثيقة من الدِّين»[٦١].

ومستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحق بالباطل في نظرتها التي

هي الطريق الواضح إلى استعلام المجهولات، فلو أنَّ النظر انتخبت مقدماته وترتبت قضاياه من قضايا باطلة، لكان الواقع عنه هو العلم المحض، وانقطع عنه ألسن المخالفين. فهو ينظر إلى العالمية من منظور قرآني، لكي تتحقق الرؤية الحضارية في المناهج التي أرادها في فصل الحق عن الباطل، والتي كانت الأسس التربوية للإنسان في القرآن الكريم، فضلًا عن الاستنباط وحسن القياس ممَّا يحتاج إلى معرفة علم الأحوال، وممَّا يحدث في كل واحد من تلك الأحوال، فإنَّ كل واحد منها له فعله الخاص المنفرد، ثم يؤلف تلك الأحوال بعضها مع بعض على كثرة اختلافاتها وفنونها، ليحصل من جميع ذلك قوة واحدة، والرؤية الحضارية هي في حقيقتها مجموع ما توصلت إليه دولة أو أمة أو بلاد في الحقول المختلفة من فكر وأدب وفن وصناعة وعلم، وحقيقة الحضارة في الإسلام تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية وما يدور في فلكها من معارف وعلوم وآداب، وقد تحققت في شخص الإمام (عليه السلام) ووصاياه وخطبه، فكانت وصاياه وخطبه فيها حقيقة تلك الحضارة؛ لأنَّها ترتكز على القرآن والسنة النبوية وما يحمله من فكر واع وفهم أعطاه الله تعالى ممَّا تحقق في أذنه الواعية، وهذا كلّه قد تحقق في شخصه (عليه السلام)، ومن العوامل التي شاركت في تكاملية شخصيته وقد ترجمتها خطبه ووصايا وشجاعته وفهمه الدقيق في صناعة الإنسان وعلومه[٦٢]، فالإمام علي (عليه السلام) استطاع أن يؤسس لحضارة فكرية مشرقة تنعطف بالأمة إلى مصاف التطور الحضاري في مقولته الفكرية الخالدة: «لا تقسروا أولادكم على عاداتكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»، وهذه المقولة بمنزلة تنمية فكرية تبقي العقل على قيد النقد والاستقصاء على أساس أن

الإنسان كائن تلقائي، يولد بقابليات فارغة متعطشة للمثيرات، وبكونه الأسبق إليه، وهو قابل للتشكيل بما هو سائد من الثقافات والعقائد(٦٣).

وبهذا يتبين لنا أنَّ نهج البلاغة يحتسب من مصادر التعاليم السامية للرؤى الحضارية القائمة على القيم والعلوم والفنون، وما فيه من تقديم حلول مختلفة لإقامة دولة إسلامية مترامية الأطراف، وهي قائمة على الإدارة السليمة القائمة على أسس متينة؛ لأنها مستقاة من منظور قرآني ومستندة على السيرة العطرة للنبي (صلى الله عليه وآله)، وقد استوحاها الإمام علي (عليه السلام) من حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو مَن عاش في كنفه، وهذا ما أشارته الخطب والتوجيهات من قبل الإمام علي (عليه السلام) في الجوانب السياسية والأخلاقية، وهو ما وجد في نهج البلاغة، وهي تعرفنا بالمميزات التي آلت إليها في الدور الحيوي في تأسيس الحضارة من خلال منظورها القرآني.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة في نهج البلاغة ووصايا الإمام (عليه السلام) وخطبه ودورها في صناعة الإنسان وعلومه نرسو في ساحل النتائج التي خرجت بها الدراسة وهي على النَّحو الآتي:

١- الإنسان يعد قادرًا على الصناعة التي صاغها الإمام (عليه السلام) عبر استيعاب أركان هذه الصناعة في خطبه ومواعظه ووصاياه، وذلك بسبب معايشته إنسان مرحلته.

٢- استكمالًا للصناعة التي أسَّس لها الإمام (عليه السلام) صياغة العلوم التي أثراها نهج البلاغة من خلال خطابات ووصايا الإمام (عليه السلام).

٣- أسَّس الإمام (عليه السلام) لوجود إنسان متكامل عن طريق صناعته وبنائه؛ لكي يكون قادرًا على المشاركة في عملية التنمية التي تؤهله

للبناء والتقدّم؛ وذلك عن طريق رؤية حضارية مستلهمة من القرآن الكريم في بناء مجتمع متمدّن، يساير ويواكب التطور.

٤- صناعة الإنسان تعني صناعة قلبه ونفسه وروحه صناعة مُحكمة متكاملة وفي حقيقتها أنها التزكية العلمية للنفس.

٥- الإمام علي (عليه السلام) قد أسس أصل صناعته على القرآن الكريم من فهم دقيق لما يراد من الإنسان في حياته اليومية ومواقفه التي يتكون منها، فمقومات الإيمان هي بذاتها مقومات الإنسانية الرفيعة الكريمة.

٦- يلحظ في نهج البلاغة ديمومة الحياة فيه؛ لأنَّها ترتكز على ديمومة العلوم التي أثراها نهج البلاغة بأقوال أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهو أثر بلاغي لا تمل الأسماع مهما تردَّد ذكره، وسرُّ هذه الديمومة أنَّه كان أوعى للقرآن الكريم والسنة النبوية.

٧- الرؤية الحضارية تعد منظومة متكاملة؛ لكونها تشمل المعتقدات والعادات التي تعبر عن حقائق أي أمة ومنهجها بناء الفرد والأمة والحضارة، وقد كان لنهج البلاغة الدور الكبير في ذلك.

٩- الرؤية الحضارية التي تنبع من منظور قرآني وارتقبها الإمام علي (عليه السلام) هي ذات طابع إنساني عالمي؛ لأنَّها تتعامل مع الإنسان أيًّا كان موقعه ولا تقتصر على الأفراد التي شكلتها فحسب، فضلًا عن الخصيصة التي تتجلّى في الواقعية وعدم الانفصال عن أرضية العالم.

الهوامش

(١) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال) مادة (نهج)، ٣/ ٣٩٣.

(٢) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة (نهج): ٥/ ٣٦١.

(٣) الإبانة في اللغة العربية: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري (العُمَاني الإباضي) (ت: ٥١١ هـ) المحقق: د. عبد الكريم خليفة، وآخرون: وزارة التراث القومي والثقافة- مسقط - سلطنة عمان: ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: ٢/ ٢٧١.

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب: ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: مادة (بلغ) ١/ ٢٤٢.

(٥) جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين - بيروت: ط١، ١٩٨٧م: ١/ ٣٦٩.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر: ١/ ٢٤٢.

(٧) نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)، المؤلّف محمد بن الحسين شريف الرضي: ١٩ ديسمبر ٢٠١٩م الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، بقم المشرفة.

(٨) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، (مادة: صنع) ٣/ ٣١٣.

(٩) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت: ط١: ٢٠٠١م: ٢/ ٢٤.

(١٠) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين - بيروت: ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: مادة (صنع): ٣/ ١٢٤٥.

(١١) كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان: ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م: ص ١٣٤.

(١٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون

والعلوم: محمد بن علي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت: ط١- ١٩٩٦م: ٢/ ١٠٩٧.

(١٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش- محمد المصري: مؤسسة الرسالة - بيروت: ص ٥٤٤.

(١٤) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال: ٢/ ١٥٢.

(١٥) جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين - بيروت: ط١- ١٩٨٧م: ٢/ ٩٤٨.

(١٦) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس: مادة (علم) ٤/ ١٠٩.

(١٧) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٢/ ١٥٤١.

(١٨) الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر: ٨١.

(١٩) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١٥٥.

(٢٠) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة (رأي): ٢/ ٨٤٠.

(٢١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): مادة (بصر): ٣/ ٥٩١.

(٢٢) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة: بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ١/ ١٢٨٥.

(٢٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة (رأي): ٢/ ٨٤٠.

(٢٤) كتاب التعريفات: ١٠٩.

(٢٥) التوقيف على مهمات التعاريف: للمناوي (ت: ١٠٣١هـ): عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة: ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م: ١٨٣.

(٢٦) تكملة المعاجم العربية"، رينهارت بيتر آن دُوزِي" نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ - ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، (وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة، من ١٩٧٩/ ٢٠٠٠م)، ٧/ ٣٠٦.

(٢٧) مقاييس اللغة" ابن فارس، مادة (حضر) ٢/ ٧٥.

(٢٨) المصدر نفسه (مادة: حضر): ٢/ ٧٥.

(٢٩) "تكملة المعاجم العربية" رينهارت بيتر آن دُوزِي: ٣/ ٢٢٦.

(٣٠) معجم اللغة العربية المعاصرة": د. أحمد مختار: ١/ ٥١٣

(٣١) هذا التعريف من قبل الباحث بعد الاستقراء في اللغة.

(٣٢) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضى: دار الأضواء - بيروت: ٢/ ٢٢٣.

(٣٣) ينظر: تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ) التحقيق: سيد عمران: دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت: ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ١/ ٤٤٣.

(٣٤) ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ: ١٦/ ٢١٧.

(٣٥) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ): دار الشروق- بيروت - القاهرة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ: ٦/ ٣٩٦٤.

(٣٦) نهج البلاغة الحكمة ٢٢٧، وينظر مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة من منظور كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة د. سمية حسنعليان بجامعة أصفهان مجلة المبين مجلة فصلية محكمة تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة عام ٢٠٢٣م.

(٣٧) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ): دار الفكر العربي- القاهرة: ٧/ ١٠٤.

(٣٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٤٧٨.

(٣٩) ينظر: شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت: ٦٥٦هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه: ١/ ٢٠.

(٤٠) المصدر نفسه: ١٠/ ١٨٢.

(٤١) ينظر: في ظلال القرآن: ١/ ٣٥٧.

(٤٢) شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣٠٣.

(٤٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ١/ ٢٥٠ برقم (٤٥١) مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، (ت: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد: دار المأمون للتراث- دمشق: ط١، ١٤٠٤- ١٩٨٤م.

(٤٤) شرح نهج البلاغة: ١/ ٤٤.

(٤٥) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠. وينظر لسان العرب ١٨/ ١٦٥.

(٤٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٩.

(٤٧) ينظر: لسان العرب: ١٨/ ١٦٥.

(٤٨) الحديث (٣٧٩٠) عن أنس بن مالك وقال الترمذي: "هذا حديث غريب"، إلّا أنه لم يرد في لفظ الترمذي: "أقضاكم علي"، وورد عند ابن ماجه (١٥٤)، وأبي يعلى (٥٧٦٣).

(٤٩) ينظر: المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك: القاضي محمد بن عبد الله المالكي (ت: ٥٤٣هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي: دَار الغَرب الإسلامي: ط١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م: ٦/ ٢٤٦.

(٥٠) ينظر: عُقودُ الزَّبَرْجَدِ على مُسْند الإِمَام أَحْمد: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) حَقّقه وَقَدم لَه: د. سَلمان القضَاة: دَار الجيل، بَيروت- لبنان: ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م: ١/ ٩٠.

(٥١) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة: ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م: ٢٢/ ٥٧٩.

(٥٢) تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر: ط٣: ٢/ ١٥٢.

(٥٣) ينظر: تفسير الماتريدي محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم: دار الكتب العلمية-

بيروت، لبنان: ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م: ٢/ ١٨٩.

(٥٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٩.

(٥٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٨.

(٥٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٤٦.

(٥٧) أنساب الأشراف: ٢/ ٣٨٢، وينظر: البداية والنهاية: ٨/ ٨.

(٥٨) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ١٥٤.

(٥٩) شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٧٦.

(٦٠) المصدر السابق: ٦/ ١٣٨.

(٦١) المصدر السابق: ٣/ ٢٤٠.

(٦٢) ينظر: دور الإمام علي (عليه السلام) في إرساء الحضارة الإسلامية: مركز الاشعاع الإسلامي:

https//:www.islam4u.com

(٦٣) ينظر: الإمام علي (عليه السلام) منظومة قيم وحضارة لم تر النور بعد: مدونة الكفيل.

المصادر والمراجع

١) الإبانة في اللغة العربية: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي (ت: ٥١١ هـ) المحقق: د. عبد الكريم خليفة، د. نصرت عبد الرحمن، د. صلاح جرار، د. محمد حسن عواد، د. جاسر أبو صفية: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان: ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٢) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ.

٤) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥) التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ): دار الفكر العربي - القاهرة.

٦) تفسير الماتريدي: محمد بن محمد، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان: ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

٧) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ - ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة، من ١٩٧٩/ ٢٠٠٠م.

٨) تلخيص البيان في مجازات القرآن:

الشريف الرضى: دار الأضواء - بيروت.
٩) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت: ط١: ٢٠٠١م.
١٠) التوقيف على مهمات التعاريف: للمناوي (ت: ١٠٣١هـ): عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة: ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
١١) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة: ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.
١٢) جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي: دار الفكر - بيروت: ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
١٣) جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين - بيروت: ط١، ١٩٨٧م.
١٤) حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ) التحقيق: سيد عمران: دار الكتب العلمية لبنان - بيروت: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٥) دور الإمام علي (عليه السلام) في إرساء الحضارة الإسلامية: مركز الإشعاع الإسلامي:
https:www islam4u.com
الإمام علي (عليه السلام) منظومة قيم وحضارة لم تر النور بعد: مدونة الكفيل.
١٦) سنن ابن ماجة: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٧) شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن

أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت: ٦٥٦هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين - بيروت: ط٤، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م: مادة بصر.

١٩) عُقودُ الزَّبَرْجَدِ على مُسْنَد الإِمَام أَحْمد: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) حَقّقه وَقَدم لَه: د. سَليمان القضَاة: دَار الجيل، بَيروت- لبنان: ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

٢٠) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال.

٢١) الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٢٢) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ): دار الشروق بيروت – القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢هـ

٢٣) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة: بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الكفوي، (ت: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٥) لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني:

الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر: ط ٣.

٢٦) المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي: دَار الغَرب الإسلامي: ط١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

٢٧) مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد: دار المأمون للتراث- دمشق: ط١، ١٤٠٤- ١٩٨٤م.

٢٨) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب: ط١، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

٢٩) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٠) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت: ط١- ١٩٩٦م.

٣١) نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) المؤلف محمد بن الحسين الشريف الرضي: ١٩ ديسمبر ٢٠١٩م الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٢) مؤشرات الصحة الروحية وعلاقتها بالحياة الطيبة من منظور كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة د. سمية حسنعليان بجامعة أصفهان مجلة المبين مجلة فصلية محكمة تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة عام ٢٠٢٣م.

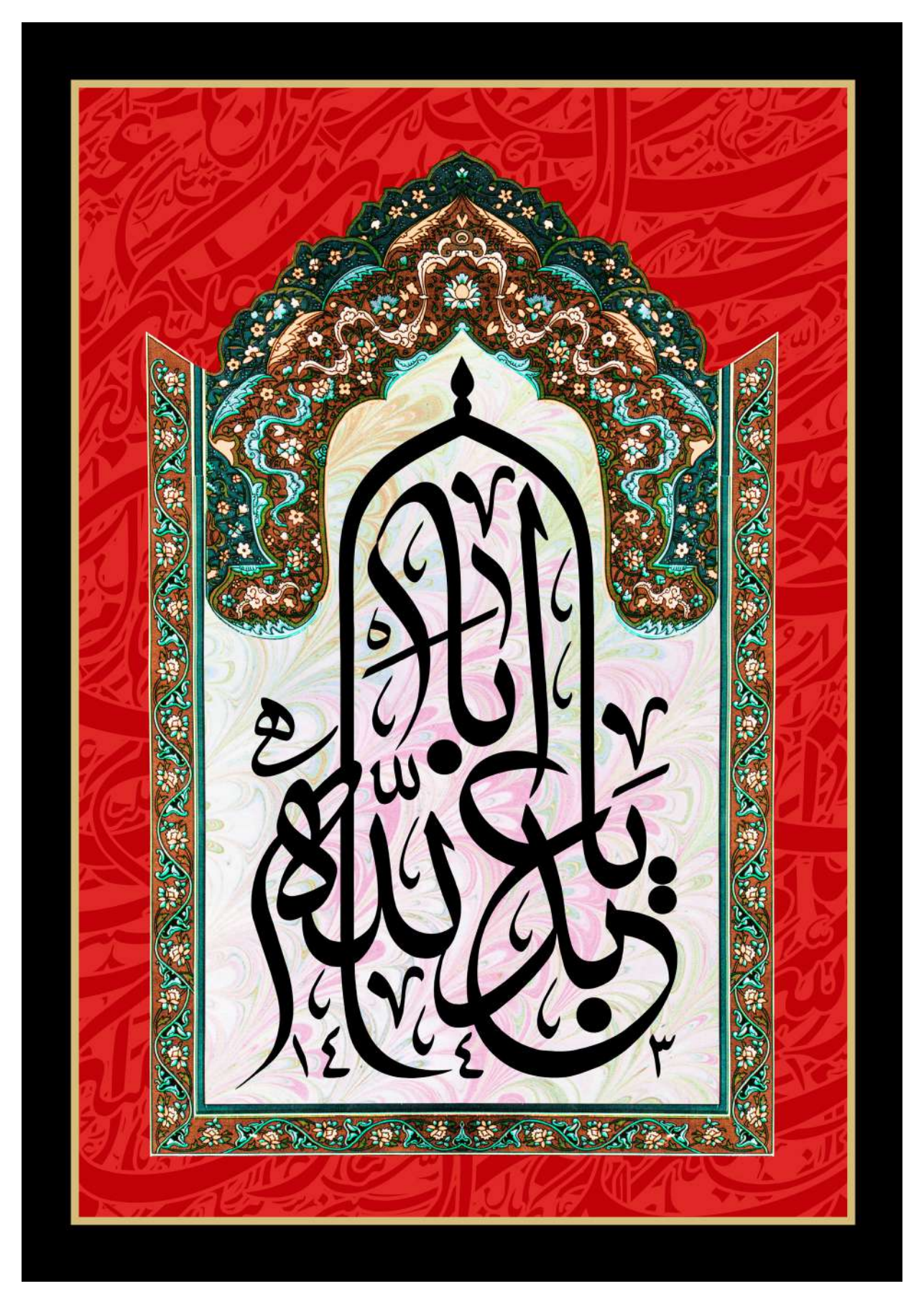
يا بقية الله
١٤٤٣

الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة: دراسة تحليلية

The Quranic Citations in Nahj al-Balagha: An analytical Study

م. م. محمد زكي جواد العميدي
ديوان الوقف الشيعي

Asst. Lect. Muhammed Zaki Jawad Al-Amidi

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012402

ملخص البحث

يسلط البحث الضوء على العلاقة المتبادلة بين القرآن الكريم ونهج البلاغة، وكيفية استلهام الإمام علي (عليه السلام) معاني القرآن واستعمالها في معالجة القضايا السياسية والدينية والاجتماعية.

Abstract

The study sheds light on the interrelationship between the Holy Qur'an and Nahjal-Balagha, and explores how Imam Ali (PBUH) was inspired by Qur'anic meanings and employed them to address political, religious, and social issues.

Keywords: The Holy Qur'an, Nahj al-Balagha, Imam Ali.

المقدمة

يُعَدُّ نهج البلاغة أكثر من مجرد كتاب يضمُّ خُطبًا ورسائل وأقوالًا قالها الإمام عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام). إنَّه عملٌ أدبيٌّ وفكريّ فريد، يتَّسم بعمق المعاني، وروعة البلاغة، وثراء المحتوى الفكري والروحي. يجمع هذا الكتاب بين الحكمة البالغة، التي تعكس تجربة حياة ممتدة على مستويات مختلفة من الصراع السياسي والاجتماعي، وبين الفصاحة التي تُعدُّ قمَّةً في التعبير العربي، ولكن أكثر ما يُميّز هذا النص هو توظيفه الكثيف والمتناغم للآيات القرآنية، التي لا تُستعمل لمجرد الاستشهاد اللفظي، بل لتُصبح جزءًا جوهريًّا من بنية النص ومعانيه. يهدف هذا البحث إلى دراسة توظيف القرآن في "نهج البلاغة"، وبيان كيف أسهم هذا التوظيف في تعزيز رسائله السياسية والاجتماعية والدينية.

وكان الإمام علي (عليه السلام) من أهم الشخصيات التي برزت في مجال البلاغة والفصاحة في العصر الإسلامي. وقد أقرَّ له الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله) بذلك حين قال: «أَنَا مَدِينَةُ اَلْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»، ممَّا يُظهرُ المكانة الخاصة له في مجال العلم والبيان. هذا التفوق اللغوي تجلّى في "نهج البلاغة"، الذي أظهر براعة الإمام في صياغة خطب ورسائل تتراوح بين العمق الفكري والجزالة اللغوية.

تتسم لغة الإمام باستعمال الكلمات الدقيقة والمُحمَّلة بالمعاني، ما يجعل النصوص قادرة على إيصال مفاهيم متعددة في عبارات موجزة. هذه الخصائص البلاغية تُعد نقطة التقاء مع القرآن الكريم؛ إذ يشترك النصان في استعمال الإيجاز والتكثيف المعنوي الذي يترك أثرًا بالغًا في المتلقي. ويظهر ذلك بوضوح في خطبٍ مثل الخطبة الشقشقية، التي تفيض بالقوة اللغوية والإيحاءات القرآنية.

القرآن الكريم هو النص المحوري في الفكر الإسلامي، وتفاعَلَ الإمام علي (عليه السلام) معه تفاعلًا يتجاوز الاستشهاد، ليشمل التضمين البنيوي واللغوي في "نهج البلاغة".

والإمام علي (عليه السلام) استعمل الآيات القرآنية في "نهج البلاغة" ليس فقط كاستشهاد مباشر، بل كجزء لا يتجزأ من نسيج خطبه ورسائله، ما يعكس فهمه العميق لمعاني القرآن الكريم وارتباطه الروحي به. هذا التوظيف يتميز بأساليب عدة تشمل الاقتباس المباشر، والتضمين الضمني، وإعادة صياغة الآيات بأسلوب يُبرز المعنى ضمن سياق الخطبة أو الرسالة.

يتجلّى الاقتباس المباشر في مواضع عديدة من "نهج البلاغة"، حيث يورد الإمام الآية القرآنية كما هي لتعزيز حجة أو شرح مفهوم. مثال على ذلك في خطبته عن حقيقة الدنيا وزوالها، يقول: «أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا... أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ... أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَطْوَلَهَا أَعْمَارًا، مَلَؤُوا الْبِلَادَ وَأَدْلَوْا فِيهَا الْأَوْتَادَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣). ثم يستشهد بالآية القرآنية: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق: الآية ٧]، إذ يظهر التناسق في تصوير زوال الحياة الدنيوية باستعمال الكلمات القرآنية.

وفي بعض المواضع، لا يقتصر الإمام علي (عليه السلام) على الاقتباس الحرفي، بل يُعيد صياغة المعنى القرآني بما يخدم مقاصد خطابه. مثال على ذلك، في خطبته عن خلق الإنسان ومحدودية قدرته، يقول: «فَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ؟ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، وَهُوَ بَيْنَ ذٰلِكَ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ»! (نهج البلاغة، الخطبة ١٩١). هنا نجد إشارة إلى المعاني القرآنية التي تصف ضعف الإنسان وابتداءه من النطفة وانتهاءه

بالموت، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٣] و﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: الآية ٢٨].

والإمام علي (عليه السلام) كان يوظف القرآن لإثبات شرعية موقفه الديني والسياسي، ولاسيَّما في سياق الفتنة والصراع على السلطة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله). ففي رسائله إلى معاوية بن أبي سفيان، نجده يُذكّر بالأسس القرآنية للحكم العادل، كما في قوله: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٦). هذا الاستشهاد يستند إلى مفاهيم قرآنية مثل الحكم بالشريعة والعدل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء: الآية ٥٨).

وأحد أبرز موضوعات "نهج البلاغة" هو الدعوة إلى العدالة الاجتماعية ومقاومة الظلم، فالإمام علي (عليه السلام) قد استعمل الآيات القرآنية كثيرًا؛ لتبيان مسؤولية الحاكم تجاه الرعية، كما في قوله: «وَاللَّهِ لَوْ وَجَدتُهُ قَد تُزُوِّجَ بِهِ النِّساءُ، ومُلِكَ بِهِ الإِماءُ؛ لَرَدَدتُهُ، فَإِنَّ فِي العَدلِ سَعَةً، ومَن ضاقَ عَلَيهِ العَدلُ فَالجَورُ عَلَيهِ أضيَقُ» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤). هذه الفكرة متأثرة بالآيات التي تأمر بالعدل، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (سورة النحل: الآية ٩٠).

والإمام علي (عليه السلام) لم يكن قارئًا ومفسرًا للقرآن فقط، بل كان يعيش القرآن عمليًّا ويوظف تعاليمه في أقواله وأفعاله. هذا التكامل يظهر في مواضع متعددة من "نهج البلاغة"، حيث تمتزج الآيات القرآنية مع النصوص العلوية بطريقة تعبيرية تُظهر القيم الروحية.

على سبيل المثال، في خطبته الشهيرة في وصف المتقين، يقول الإمام: «أَصْبَحَ

قَلْبُهُ مَحْزُونًا، وَشَرُّهُ مَأْمُونًا، وَحَسَدُهُ مَعْدُومًا... إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣). هذا النص يوضح لنا مفهومًا قرآنيًّا عن التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [سورة القمر: الآية ٥٤].

فالإمام علي (عليه السلام) استعمل القرآن بوصفه أساسًا لتعليم الناس، وبخاصة في المسائل الأخلاقية والسلوكية. ففي وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام)، يقول: «وَجَعَلَ لَكَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ، لِتَكُونَ شَاكِرًا لَهُ» (نهج البلاغة، الرسالة ٣١)، مقتبسًا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل: الآية ٧٨). هذا النمط من الإرشاد يؤكد العلاقة بين الإنسان وخالقه، ويدعو إلى التفكّر في النعم الإلهية.

وتُعدُّ الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة إحدى أبرز الأدوات البلاغية والفكرية التي استعملها الإمام علي (عليه السلام) لتأسيس خطاب متماسك عقليًّا وروحيًّا. ولم يكن الإمام يورد الآيات في مقام الزينة اللغوية أو التبرك اللفظي فحسب، بل كان يوظفها لتكون جزءًا بنيويًّا من حجته الخطابية. وقد أشار علي الفتال إلى أنَّ هذه الظاهرة تتجلّى في عشرات المواضع، حيث يستهل الإمام حديثه بحجّة عقلية ثم يختمها أو يعززها بآية قرآنية، ممَّا يمنح الخطاب تأصيلًا إلهيًّا يسهم في رفع حجّته إلى مستوى لا يمكن دحضه (الفتال، ٢٠٢٢).

على سبيل المثال، في إحدى خطبه السياسية التي يصف فيها انحراف المجتمع بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، يقول الإمام: «حَتّى إِذَا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ، وَارْتَدُّوا عَنِ الدِّينِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

رَسُولٌ﴾...»، [مقتبسًا من آل عمران: ١٤٤]. فهذا الاستعمال ليس تكرارًا للمألوف، بل هو إدراج موضعي يعزّز موقفه السياسي بتلاوة آية تُدين التراجع العقدي بعد وفاة الرسول، فاستحضار الآية في هذا السياق يمنح الإمام سلطة قرآنية ضمن مجاله الخطابي، ويُظهر استيعابه العميق لدلالة النص القرآني ضمن الظروف الاجتماعية والسياسية (الفتال، ٢٠٢٢).

ويشير الفتال إلى أنَّ الإمام لا يقتصر على الاقتباسات الظاهرة، بل يُضمّن بنيته الأسلوبية إشارات قرآنية غير مباشرة، أو ما يُعرف بالاقتباس غير النصي، مثلما يفعل عندما يقول: "ألا إن الشجرة تخرج من الصلب الغليظ"، في إحالة ضمنية إلى قصة الشجرة الملعونة (الإسراء: ٦٠)، على الرغم من أنَّه لم يذكرها نصًّا. ويعد هذا النمط من الإحالات نوعًا متقدّمًا من التضمين، يتطلب من المتلقي ثقافة قرآنية لفك شفرته الدلالية.

كذلك يستعمل الإمام القرآن بوصفه أداة تذكير، كما ورد في قوله: «وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ مَا لَا يَنْبَغِي، وَحَازٍ مَا لَا يَكْفِيه، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ؟» وهي جملة تحمل في طيّها أصداء واضحة من الخطاب القرآني، وبخاصةٍ من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ التي تتكرر في مواضع عدة (مثل: الأنعام: ٨٠، والقصص: ٦٠)، ممَّا يدلُّ على رسوخ النص القرآني في وجدان الإمام وأساليبه البلاغية (الفتال، ٢٠٢٢).

يشير الباحث كذلك إلى أنَّ الإمام يستدلُّ بالقرآن وجدانيًّا في المواقف الحاسمة، ففي الخطبة المعروفة بالقاصعة، يوظف الإمام آيات تتعلّق بإبليس، مثل: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ (البقرة: ٣٤)، ليُظهر خطر الكِبَر على الفرد والمجتمع، مشبّهًا أهل النفاق بإبليس في موقفهم الرافض للحق. فاستحضار هذه الآية في السياق يُعدُّ

أكثر من مجرّد اقتباس؛ بل هو استدعاء رمزي يعيد رسم الموقف العقائدي ضمن تصور قرآني محكم (الفتال، ٢٠٢٢).

في ضوء هذه المعاينات، يمكن القول إنّ الاستشهاد بالقرآن في نهج البلاغة لم يكن أداة بلاغية فقط، بل ممارسة فكرية تتداخل فيها العقيدة والسياسة والتربية، فلم يكن الإمام يوظف الآيات لتجميل خطابه، بل لبناء منهج متكامل يربط كل المواقف الدنيوية بحجج قرآنية. وبذلك، تُعدّ الاستشهادات القرآنية عند الإمام علي (عليه السلام) إحدى أدواته المعرفية لتأطير الواقع السياسي والروحي ضمن أفق إلهي.

وتوصّل الباحث إلى أنَّ هذه الطريقة الفريدة في الخطاب تفتح المجال أمام دراسات بلاغية جديدة، لا تنظر إلى الاقتباس القرآني على أنَّه مجرد تطعيم للنص، بل بوصفه عنصرًا تأسيسيًّا لبلاغة الحجة وبنية الرسالة (الفتال، ٢٠٢٢).

ففي بعض أدعيته (عليه السلام)، نلاحظ إدراجًا مباشرًا للآيات مع الحفاظ على ترتيبها القرآني، مثل الدعاء الذي يبدأ بـ: «يَا مَنْ قَالَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» (غافر: ٦٠). هنا يتم وضع الآية في بداية الدعاء كإطار عقدي يشرّع فعل الدعاء نفسه، ما يُظهر أنَّ الإمام يبني تواصله مع الله على أساس من النص الإلهي ذاته. وتكرار هذا الأسلوب في أدعية أخرى يظهر فهمًا عميقًا للوظيفة الدعائية للآية.

وفي موضع آخر، يقول الإمام: «يَا مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ»، وهي عبارة مشبعة من آية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦). لكن الإمام يُعدّلُ الصياغة قليلًا ليجعلها أكثر شخصية وصدقًا في لحظة التضرّع. يُشير هذا إلى ما يُعرف بـ"الاقتباس الحواري"، أي استعمال الآيات ضمن

خطاب ذاتي يخاطب به المؤمن ربّه، وليس جمهورًا عامًّا. ويعدُّ هذا النوع من الاقتباس أكثر عمقًا؛ لأنَّه يُفكّك الحدود بين النص المُنزَل والنص الناتج من القلب (الفتال، ٢٠٢٣).

ويبيّن الفتّال أنَّ الإمام كثيرًا ما كان يقتبس من الآيات التي تتحدث عن مغفرة الله، مثل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ (الزمر: ٥٣)، ثم يتبعها بعبارات إنسانية تُعبّر عن الشعور بالذنب، مثل: "إِلٰهِي، إِنِّي أَسْرَفْتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَتُبْ عَلَيَّ". هذا التناسق بين النص القرآني والنص الذاتي يُنتج خطابًا مزدوجًا، فيه تداخل بين كلام الله وكلام العبد. وزاد الفتال أنّ هذا التداخل يظهر فلسفة الإمام التوحيدية التي ترى في الإنسان صورة متفاعلة مع الوحي وليست مفصولة عنه (الفتال، ٢٠٢٣).

وعند تحليل مجموعة من الأدعية تحليلًا لغويًّا، ظهر للباحث أنَّ الإمام يستعمل الآيات كما وردت حرفيًّا، أو يعيد تركيبها لتتناسب مع السياق الوجداني. مثلًا، في أحد أدعيته يقول: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ»، في إحالة غير مباشرة إلى آية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، مع تطويعها بما يتلاءم مع لحظة الخشوع.

أهمية الموضوع

تكتسب العلاقة بين القرآن الكريم و"نهج البلاغة" أهمية استثنائية؛ لأنَّها تُظهر قدرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على توظيف النص القرآني في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية التي واجهها المجتمع الإسلامي في عصره. هذا التوظيف القرآني لم يكن عشوائيًّا أو مقتصرًا على الاقتباس البلاغي، بل كان استنادًا إلى فهم عميق للنص المقدَّس، ممَّا أضفى على خطبه ورسائله قوة شرعية وفكرية استثنائية. إنَّ دراسة هذه العلاقة تُتيح فرصة لفهم كيفية استثمار

النص القرآني بوصفه انموذجًا إرشاديًّا يعالج التحديات الواقعية، ويُقدّم حلولًا تُحقق التوازن بين القيم الروحية والممارسات العملية.

من أهم القضايا التي تناولها الإمام علي (عليه السلام) في "نهج البلاغة" قضية العدالة الاجتماعية، التي شكلت محورًا أساسيًّا لخطبه ورسائله. والعدالة على وفق رؤية الإمام، ليست مجرد مطلب اجتماعي، بل هي جزء أساسي من الرسالة الإلهية. عندما يتحدث الإمام عن العدل، يستند إلى آيات قرآنية تعزز المفهوم وتربطه بالمشيئة الإلهية، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠). هنا، يصبح القرآن مرجعًا يُكسبُ خطبه زخمًا فكريًّا وروحيًّا، ممَّا يجعل أفكاره تتجاوز كونها خطبًا بشرية لتُصبح جزءًا من رؤية إلهية أشمل.

وهناك جانب آخر محوري في خطب الإمام هو الزهد؛ إذ يضع الآخرة فوق المصالح الدنيوية، في انسجام واضح مع رؤية القرآن الكريم للعالم. فعندما يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ» (نهج البلاغة، الخطبة ٤٢)، يُعيد الإمام صياغة مفاهيم قرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (القصص: ٨٣). هذا الاقتباس لا يُضيف قوة بلاغية إلى نصه فقط، بل يُظهر فلسفة الإمام التي تعد الدنيا محطة اختبار، في انسجام كامل مع الرؤية القرآنية.

إلى جانب ذلك، استعمل الإمام علي القرآن بوصفه أداة للإصلاح الاجتماعي، متناولًا قضايا الفساد والظلم، فعندما يُطالب الحُكّام بالعدل والرعية بالصبر، يُعيد تذكيرهم بالمبادئ القرآنية التي تُعزّز وحدة الأمة، وتنبذ الفرقة والظلم. هذا التداخل بين القرآن و"نهج البلاغة" يظهر التفاعل

الحيّ بين النصوص المقدَّسة والواقع الاجتماعي، إذ تحوّل الآيات إلى أدوات عملية لمواجهة مشكلات الزمن.

إنَّ دراسة العلاقة بين القرآن ونهج البلاغة ليست مجرد تحليل نصي، بل هي استكشاف لكيفية تحويل النصوص الدينية إلى مصدر توجيه وإصلاح مجتمعي. يُبرز هذا التداخل قدرة الإمام علي (عليه السلام) على الجمع بين عمق المعنى القرآني وبلاغة التعبير الإنساني، ليُقدِّم انموذجًا خالدًا يُحتذى به في كيفية التعامل مع النصوص المقدَّسة واتخاذها وسيلة لفهم الواقع وإصلاحه.

أهداف البحث

١. تحليل النصوص القرآنية المستشهد بها في نهج البلاغة، لفهم سياقاتها وأهميتها.

٢. استكشاف الدلالات الفكرية والروحية للاستشهادات.

٣. إظهار البُعد الجمالي والبلاغي لهذه النصوص.

٤. دراسة أثر هذه الاستشهادات في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية.

الإشكالية البحثية

السؤال الرئيس: كيف استعمل الإمام علي بن أبي طالب الآيات القرآنية في نهج البلاغة لتعزيز المعاني الفكرية والبلاغية؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما أبرز الآيات القرآنية المستشهد بها ؟

٢. كيف ساهمت الاستشهادات في تقوية الرسائل الفكرية؟.

٣. ما القيم الدينية والاجتماعية التي يُظهرها هذا التوظيف؟.

الفصل الأول:

الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة

تعريف الاستشهاد القرآني

الاستشهاد القرآني هو عملية توظيف الآيات القرآنية في داخل نصوص أدبية أو خطابية لتحقيق أهداف متعددة، من أهمّها دعم الأفكار المطروحة وإضفاء

عمق معنوي وقوة دينية على النص. في سياق الخطابة الإسلامية، يُعدُّ هذا الاستشهاد أداة فعّالة تضفي على النصوص مشروعيَّة دينيَّة وأخلاقيَّة، ممَّا يزيد من تأثيرها وإقناعها لدى المتلقين. هذه العملية ليست مجرد إدراج للآيات في النص، بل تتطلب فهمًا عميقًا لمعانيها وسياقاتها، لضمان استعمالها بما يخدم الرسائل الفكرية والبلاغية التي يهدف الكاتب أو الخطيب إلى إيصالها (Jur--Al jani,٢٠١٠).

يُظهر الاستشهاد القرآني أهميته في كونه وسيلة تربط بين النصوص البشرية والنصوص الإلهية، ممَّا يظهر التداخل بين المعرفة الدينية والخطاب البشري. في الخطابة الإسلامية، على سبيل المثال، يُستعمل هذا الاستشهاد لإضفاء قوة حجاجية على الأفكار، إذ يستند الخطباء إلى القرآن الكريم بوصفه نصًّا مقدَّسًا يتفق الجميع على مصداقيته وحُجيّته. هذا الاستخدام يُعزّز من قبول الرسائل المُقدّمة، ويمنحها بُعدًا يتجاوز حدود اللغة إلى الأبعاد الروحية والفكرية، ممَّا يترك تأثيرًا عميقًا في النفوس.

على المستوى الأدبي، يُستعمل الاستشهاد القرآني لإثراء النصوص بالجمال البلاغي والإيحاءات المعنوية. والنصوص التي تحتوي على آيات قرآنية تصبح أكثر قدرة على التأثير، ليس فقط بسبب قوة الآيات نفسها، بل لأنَّ القرآن الكريم يُمثّل مصدرًا للبلاغة والفصاحة في اللغة العربية. هذا التأثير يظهر بوضوح في الأدب العربي الكلاسيكي، إذ اعتمد الكُتّاب والشعراء على الآيات القرآنية لإضفاء رونق خاص على إبداعاتهم.

وفي خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المجمّعة في نهج البلاغة، نجد أمثلة غنية على استعمال الاستشهاد القرآني بأسلوب فني عميق. والإمام لم يقتصر على إدراج الآيات القرآنية، بل

جعلها جزءًا من سياق النصوص، ممَّا يظهر تفاعلًا حيًّا بين النصوص المقدَّسة والواقع. على سبيل المثال، عند حديثه عن أهمية الزهد، استشهد الإمام بالآية: ﴿وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (القصص: ٨٣)، ليُبيّن موقفه الرافض للتعلّق بالمظاهر الدنيوية، وليؤكد على أهمية القيم الأخروية.

من ناحية أخرى، يُمكن عدُّ الاستشهاد القرآني أداة تعليمية في الخطابة الإسلامية، إذ يُستعمل لتذكير الناس بمبادئ الدِّين وتعاليمه. والقرآن الكريم يشكّل مرجعًا روحيًّا وأخلاقيًّا شاملًا، ممَّا يجعل إدراجه في الخطاب وسيلة لربط القضايا المطروحة بالأصول الدينية، وتوجيه المتلقين نحو التفكير في المعاني الأعمق. هذا النهج التعليمي يظهر جليًّا في الوصايا والخطب التي تدعو إلى العمل الصالح، مثل استعمال الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠) لتوضيح أهمية العدالة كركيزة أساسية في المجتمع.

ووفقًا للجرجاني (٢٠١٠)، فإنَّ البلاغة القرآنية توفر نماذج لغوية ومعنوية يُحتذى بها، ولذلك فإنَّ الاستشهاد بالآيات لا يُعدُّ وسيلة إقناع فقط، بل يظهر تمازجًا بين جمال النص القرآني وبلاغة الخطاب البشري. هذا التمازج يُمكن عدُّه انعكاسًا للتكامل بين الفكر الديني واللغة، ممَّا يجعل النصوص التي تحتوي على استشهاد قرآني تحمل بُعدًا مزدوجًا، يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الروحي.

الاستشهاد القرآني ليس مجرد أداة زخرفية في النصوص الأدبية والخطابية، بل هو وسيلة فاعلة لإيصال المعاني، وتعزيز الحجج، وإغناء النصوص بالجمال البلاغي والقوة الروحية. في الخطابة الإسلامية، يُستعمل الاستشهاد لإضفاء مشروعية على الأفكار وتوجيه

المتلقين نحو المبادئ والقيم المستمدة من القرآن الكريم، ويمنح دمج الآيات في النصوص البلاغية فهمًا عميقًا للمعاني القرآنية وقدرة على تطويعها لخدمة الرسائل التي يراد إيصالها.

نماذج من الاستشهادات في نهج البلاغة

الإمام علي يُوظف الآيات القرآنية بأسلوب يجعلها جزءًا من بناء النص. ففي خطبته المعروفة بـ"الشقشقية"، ينتقد الإمام الاستئثار بالسلطة، قائلًا: ﴿وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ...﴾ (القصص: ٨٣)، ليُعزّز فكرة الزهد عن السلطة والطمع في الدنيا (نهج البلاغة، ٢٠١٠، ص ٤٦).

مثال آخر يظهر في وصيته لمالك الأشتر، إذ يقول: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ...»، وهو مفهوم مرتبط بالآية: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨). يُبيّن الإمام علي كيف ينبغي للقائد أن يكون رحيمًا ومتسامحًا مع شعبه، مستلهِمًا هذا المبدأ من النص القرآني.

الفصل الثاني:

تحليل الدلالات الفكرية للاستشهادات

تعزيز الفكرة الرئيسة

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُظهر في نهج البلاغة قدرة استثنائية على استعمال القرآن الكريم لتوضيح أفكاره الجوهرية وتعميق دلالاتها. ومن أبرز الموضوعات التي تناولها الإمام هو الزهد، الذي يُعدّ أحد الركائز الأخلاقية في رؤيته للحياة. فهو عند الإمام ليس عزوفًا عن الحياة بقدر ما هو تجاوز لفتنة الدنيا ومتعلقاتها الزائفة، والتركيز على القيم الأخروية الخالدة.

ففي خطبته الشهيرة، يخاطب الإمام الدنيا قائلًا: «يَا دُنْيَا غُرِّي غَيْرِي، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا...»، ليُعلن موقفه الحاسم من إغراءات الدنيا وزخارفها (نهج البلاغة، الخطبة ٧٣). هذا الموقف يتسق مع الآية القرآنية: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل

عمران: ١٨٥)، التي تُحذّر من الاغترار بالدنيا واعتبارها الغاية النهائية. هنا، يظهر الاستشهاد القرآني بوصفه أداة لتعزيز المفهوم الذي ذكره الإمام، إذ يضفي البُعد الديني على رؤيته للزهد، ممَّا يجعلها أكثر تأثيرًا وإقناعًا.

هذا الاستعمال للآيات لا يُضفي شرعية دينية على فكرة الزهد فحسب، بل يُثري النص بلاغيًّا ويُظهرُ فهمًا عميقًا لمعاني القرآن الكريم. الزهد كما يذكره الإمام علي هو موقف روحي يرتكز على التوازن بين الدنيا والآخرة، في انسجام تام مع القيم القرآنية التي تدعو إلى عدم الانغماس في متاع الدنيا الفاني. بهذا الشكل، يُحوّل الإمام الزهد إلى فكرة تنبض بالروح القرآنية، ممَّا يمنحها عمقًا فكريًّا وروحيًّا خالدًا.

الدلالات السياقية

يتجلّى وعي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) العميق بالواقع السياسي والاجتماعي في استشهاداته القرآنية التي يستعملها لتوجيه الأمة ومعالجة الأزمات التي واجهتها. ففي أعقاب معركة الجمل، وهي واحدة من أكثر الأحداث التي هزت وحدة المسلمين، وظَّف الإمام علي آية قرآنية لتحذير الأمة من الفتن وعواقبها، حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥).

باستشهاده بهذه الآية، أظهر الإمام فهمًا عميقًا لطبيعة الفتنة بوصفها خطرًا جماعيًّا لا يقتصر ضررها على الظالمين فقط، بل يمتد ليشمل الجميع إذا لم تُواجه بحزم. هذه الكلمات جاءت في سياق سياسي مشحون؛ حيث سعى الإمام إلى إعادة الاستقرار ووحدة الصف الإسلامي بعد نزاع داخلي مؤلم. وعن طريق هذا التحذير، دعا الإمام الأمة إلى اليقظة والتكاتف لمواجهة الفتن التي يمكن أن تؤدي إلى تدمير الكيان الإسلامي.

هذا الاستعمال للآية يُظهر رؤية

الإمام للفتنة بوصفها أزمة لا تقتصر على الصراعات السياسية فقط، بل تتجاوزها إلى التأثير في القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تمثل أساس المجتمع الإسلامي. هنا، ظهر الاستشهاد القرآني كوسيلة دينية وأخلاقية تحاكي الواقع وتوجه المسلمين نحو التصرّف بما يتوافق مع تعاليم الإسلام، ولا سيما في أوقات الأزمات.

إنَّ توظيف الإمام لهذه الآية يبين كيف استطاع المزج بين النص القرآني والواقع السياسي، ليقدّم انموذجًا قياديًّا يُظهر الحكمة والفهم العميق لقضايا الأمة، مسلطًا الضوء على أهمية الوحدة والعدالة في مواجهة التحديات.

أثر الاستشهاد في المتلقي

الاستشهاد القرآني في خطاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يقتصر على كونه أداة بلاغية، بل يُعزّز الأثر النفسي والروحي على المستمعين، ويُضفي قوة شرعية على مضامين كلامه. الإمام كان يستعمل الآيات القرآنية بطريقة تتفاعل مع المتلقين، فتُثير مشاعر الخشوع والرهبة من جهة، وتُعزّز القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية التي يدعو إليها من جهة أخرى. هذا التوظيف المتناغم يجعل من خطاب الإمام نصًّا ينطوي على ثقل ديني واجتماعي، وبخاصة عندما يتعلّق الأمر بمفاهيم مركزية مثل العدل.

والعدلُ يُعدُّ أحد المبادئ الأساسية في الحكم الإسلامي، إذ كان محورًا رئيسًا في خطب الإمام علي ورسائله لتعزيز هذا المبدأ، استشهد بآيات قرآنية تُبيّن مكانة العدل في الشريعة الإسلامية. على سبيل المثال، في رسالته إلى مالك الأشتر عندما ولّاه على مصر، قال الإمام: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ...». هذه الوصية مستوحاة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

﴿بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

الآية لا تُضفي فقط شرعية إلهية على دعوة الإمام للعدل، بل تعمل على تذكير الحاكم والمحكوم بمسؤوليتهم أمام الله. هذا الاستشهاد القرآني يُعمّق الرسالة، ويجعلها ترتكز على أساس ديني وأخلاقي يصعب تجاهله. العدل في خطاب الإمام ليس مجرد قيمة قانونية، بل هو مسؤولية تُحتمها العقيدة، ممَّا يربط بين الحكم الإسلامي وقيم القرآن بشكل وثيق.

الآيات المُستشهد بها تؤثر على المستمعين بعمق؛ لأنها تستدعي النص الإلهي الذي يحمل معاني الخلود والقداسة. فعندما يستشهد الإمام بآيات مثل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، فإنَّه يُحفّز النفوس للتفكّر في العدالة الإلهية بوصفها ركيزة للحياة الإنسانية. وهذا التأثير النفسي يدفع المستمعين ليس قبول كلام الإمام وحسب، بل إلى التفاعل معه بوصفه واجبًا دينيًّا.

يُزادُ على ذلك، فإنَّ ربط خطاب الإمام بالقرآن يُضفي عليه بُعدًا روحيًّا يُقرّب المستمعين من القيم التي يدعو إليها العدل، كما يُقدّمه الإمام علي، فهو لا يُعد مجرد نظام دنيوي بل هو إظهارٌ لقيم الإسلام الأزليَّة، ممَّا يجعل الالتزام به شرطًا لإرضاء الله وإقامة مجتمع عادل ومستقر.

إنَّ الاستشهاد القرآني في خطاب الإمام علي يُظهرُ قدرته الفريدة على الجمع بين الأثر النفسي والروحي، وتعزيز شرعية رسالته. عن طريق استدعاء آيات تتعلّق بالعدل، إذ يؤكد الإمام على مكانة هذا المبدأ في الحكم الإسلامي، مستندًا إلى النص القرآني لتعميق تأثير كلماته وترسيخ قيمه في قلوب المستمعين.

الفصل الثالث:

القيمة البلاغية والجمالية للاستشهادات

الإمام علي بن أبي طالب (عليه

السلام) يُعد أحد أعظم أعلام البلاغة والفصاحة في التاريخ الإسلامي. فخطبه ورسائله في نهج البلاغة ليست نصوصًا تعبر عن أفكار دينية وفلسفية عميقة فقط، بل أيضًا هي نماذج من البيان الذي يجمع بين المعنى العميق والجمال اللغوي، ممَّا يجعلها نصوصًا خالدة في التراث الإسلامي والعربي. وإنَّ أحد أبرز السمات التي تُميّز أسلوب الإمام البلاغي هو قدرته على توظيف النصوص القرآنية في خطبه، ممَّا يُضفي عليها أبعادًا روحية وفكرية عميقة. يناقش هذا المقال الأسلوب البلاغي للإمام علي مع التركيز على استعماله القرآن الكريم بوصفه جزءًا من جماليات النص وتكامل معانيه.

وكان الإمام علي شديد الحرص على بيان العقيدة الإسلامية بأسلوب يجمع بين الإيجاز والدقة، مع استخدام الصور البلاغية والتشبيهات التي تُقرّب المفاهيم إلى الأذهان. في حديثه عن التوحيد، يقول الإمام: «**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ**» (نهج البلاغة، الخطبة ١).

هذا النص يُظهر قدرة الإمام على الغوص في أعماق المفاهيم العقائدية بأسلوب يوازن بين المعنى الدقيق والجمال البلاغي. فهو يُعبّرُ عن مراحل التوحيد بتسلسل منطقي يظهر فهمًا فلسفيًّا عميقًا لمفهوم الإيمان بالله. هذا العمق المعنوي يُظهر قدرة الإمام على معالجة أكثر القضايا تعقيدًا بأسلوب مبسط، لكنه في الوقت ذاته مشحون بالجمال اللغوي.

في السياق نفسه، يستشهد الإمام بالآية الكريمة: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ (النور: ٣٥)، لتوضيح مفهوم التوحيد. هذا الاقتباس ليس مجرد إدراج لفظي، بل هو توظيفٌ،

يُعزّز الفكرة التي يذكرها الإمام حول نورانية الله وظهوره في كل أرجاء الكون، مع تنزيهه عن الصفات المادية. بهذا الأسلوب، يُبرز الإمام علي براعته في استعمال النص القرآني لإضفاء أبعاد روحية وجمالية على خطبه، ممَّا يجعل المستمع يعيش تجربة فكرية ولغوية وروحية في آن واحد.

ومن أبرز مظاهر الجمال في خطاب الإمام علي هو استعماله الصور البلاغية التي تجعل المعاني المجردة محسوسة. على سبيل المثال، عند حديثه عن خلق الكون، يقول: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ» (نهج البلاغة، الخطبة ١).

في هذه العبارة، نجد أنَّ الإمام قد استعمل التكرار والطباق، إلى جانب الصور البلاغية مثل: "غوص الفطن"، ليُظهر استحالة إدراك الله بالعقل البشري. هذه الأساليب تُعطي النص جمالية لغوية عميقة، إذ تصبح الألفاظ وسيلة لإظهار عجز الإنسان أمام عظمة الخالق.

الإمام علي يُتقن فن الإيجاز دون إخلال بالمعنى، إذ يُعبّر عن أفكار عميقة بأقل عدد ممكن من الكلمات. ففي وصيته لابنه الحسن (عليه السلام)، يقول: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ» (نهج البلاغة، الرسالة ٣١).

في هذه الوصية، استعمل الإمام أسلوبًا موجزًا ولكنَّه مكثّفٌ، إذ تختصر الكلمات معاني واسعة عن الزهد

والتفكر في الحياة والموت. والإيجاز هنا ليس مجرد أسلوب بلاغي، بل هو أيضًا طريقة تجعل النص سهل الحفظ والتأمل، ممَّا يزيد من تأثيره في المستمع والقارئ.

الإمام علي لم يكن يقتبس القرآن الكريم بشكل حرفي فقط، بل كان يوظفه في سياقات تجعل النص القرآني جزءًا لا يتجزأ من خطبته. على سبيل المثال، عندما يتحدَّث عن الفتنة والظلم، يقول: «اِتَّقُوا اَللهَّ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ اَلْبِقَاعِ وَاَلْبَهَائِمِ»، ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥).

في هذا الموضع، يستعمل الإمام الآية لتوسيع نطاق تحذيره من الفتنة ليشمل المسؤولية الجماعية التي تتجاوز الفردية. وهذا التوظيف يجعل الاستشهاد القرآني ليس مجرد إضافة بلاغية، بل هو جزء محوري من الحجة التي يقدّمها الإمام لتعميق فهم المستمع وتحفيزه على العمل.

ولا شك في أنَّ آيات القرآن المُستشهد بها تُضفي بُعدًا روحيًّا على النص، ممَّا يُعزّز تأثيره النفسي على المستمعين. فعندما يستشهد الإمام بآية مثل: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، فإنه لا يدعم فكرة العدل كقيمة دينية فقط، بل يجعلها واجبًا إلهيًّا مرتبطًا برضا الله. وهذا الأسلوب يُحفّز النفوس على الالتزام بالقيم الإسلامية، ويجعل من الخطاب وسيلة تربوية تُرسّخ المفاهيم الدينية.

ومن المواضيع المهمّة في نهج البلاغة الزهد، إذ يُبيّنُ الإمام قصر الحياة الدنيا وزوالها. في خطبته الشهيرة عن الدنيا، يقول: «يَا دُنْيَا غُرِّي غَيْرِي، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثاً لاَ رَجْعَةَ فِيهَا...» (نهج البلاغة، الخطبة ٧٣). هذا التعبير يُظهر موقفًا حاسمًا من إغراءات الدنيا، ويستند إلى الآية الكريمة: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

فالإمام لا يقتصر على ذكر الآية، بل يجعلها جزءًا من بناء نصه البلاغي الذي يُظهر فكرة الزهد كقيمة أخلاقية وروحيَّة. هذا المزج بين النص القرآني والجماليات البلاغية يُعطي الخطبة قوة تعبيرية وروحية تجعلها تؤثر في القلوب وتوجه النفوس نحو التفكّر في الحقيقة الأخروية.

الإمام علي (عليه السلام) يُعدُّ انموذجًا متفردًا في الجمع بين المعنى العميق والجمال اللغوي. فأسلوبه البلاغي يعتمد على التفاعل الحي بين النصوص القرآنية وخطبه، ممَّا يخلق نصوصًا تمتاز بالعمق الفكري والروحاني. عن طريق توظيفه المتقن للقرآن الكريم، الذي يُضفي على كلامه بُعدًا شرعيًّا وروحيًّا، يُعزّز من قوة الحجة ويُضفي عليها طابعًا خالدًا.

إنَّ خطاب الإمام ليس مجرد بلاغة لغوية، بل هو أيضًا مدرسة فكرية وأخلاقية وروحية، تسعى إلى توجيه الناس نحو القيم الإسلامية العليا. هذا المزج بين القرآن والبلاغة في خطب الإمام يُظهر عبقرية لغوية وفكرية جعلت من نهج البلاغة أحد أهم النصوص في التراث الإسلامي.

الجماليات الأدبية

الجمال يظهر في كيفية دمج النصوص القرآنية بسلاسة. مثلاً، قوله: «**اَلنَّاسُ أَعْدَاءَ مَا جَهِلُوا...**» يرتبط ضمنيًّا بقوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ (يونس: ٣٩). هذا الدمج يُظهر فهمًا عميقًا للعلاقة بين الفكر الإنساني والنص القرآني.

والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُعدُّ من أبرز الأعلام الذين استطاعوا الجمع بين الفكر الفلسفي والجمال البلاغي، ممَّا يجعل نصوصه في نهج البلاغة نموذجًا فريدًا يتفاعل فيه العقل مع الروح. وأنَّ أحد الجوانب الأكثر تميزًا في أسلوبه هو قدرته على

دمج النصوص القرآنية في خطبه ورسائله بطريقة طبيعية وسلسة، حيث تصبح الآيات جزءًا عضويًّا من بنيان الخطاب، لا مجرد اقتباسات تدعم المعنى. وهذا الدمج ليس مجرد إضافة نصوص إلهية على كلام بشري، بل هو عملية تكامل بين الفكرة الإنسانية والنص المقدس، ممَّا يُعطي فهمًا عميقًا للقرآن الكريم وللعقل البشري في آنٍ واحد.

ومن الأمثلة التي تُظهر عبقرية الإمام في دمج النص القرآني مع خطابه البشري قوله: «**النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا، وَحَلِيفُ لِمَا أَنْكَرُوا**» (نهج البلاغة، الحكمة ١٧٣). هذه العبارة التي تفيض بالحكمة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ (يونس: ٣٩). وهنا يظهر الدمج بطريقة غير مباشرة، ولكنها عميقة؛ فالإمام يستحضر الجوهر القرآني الذي يشير إلى طبيعة الإنسان في رفض ما يجهل وتكذيب ما لا يدركه.

هذا التداخل بين النص البشري والنص الإلهي يظهر رؤية فلسفية عميقة لدى الإمام علي، وهي أنَّ الفكر الإنساني محدود بمقدار ما يستطيع إدراكه. والجهل هنا ليس مجرد نقص في المعرفة، بل هو موقف سلبي يمنع الإنسان من التفاعل مع الحقيقة. فالإمام (عليه السلام)، عن طريق استحضار الروح القرآنية، يضع قضية الجهل في سياق معرفي وأخلاقي، إذ يربط بين رفض الجاهل للحقيقة وقصور عقله عن فهم التعقيد الإلهي.

والإمام علي لا يقتصر على الاقتباس المباشر من القرآن، بل يُدمج روحه ومعانيه في نسيج خطابه بأسلوب يجعل القارئ أو المستمع يشعر بأنَّ النصَّين، البشري والإلهي، ينتميان إلى مصدر واحد. في قوله: «**اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا**»، لا نجد استشهادًا حرفيًّا بالآية

القرآنية، بل نجد تفاعلًا بلاغيًّا وفكريًّا عميقًا مع المعنى القرآني. هذا الدمج يُظهرُ جمالًا بلاغيًّا يتجاوز حدود اللغة ليصل إلى مستوى المفهوم، حيث يستدعي الإمام المعنى القرآني ليصبح جزءًا من خطابه.

والإمام علي لم ينظر إلى النص القرآني بوصفه نصًّا ثابتًا ومغلقًا، بل تعامل معه بوصفه نصًّا حيًّا، يتفاعل مع الفكر الإنساني والواقع الاجتماعي. في المثال السابق، نجد أنَّ الإمام يُظهر فهمًا فلسفيًّا للعلاقة بين العقل الإنساني والنص الإلهي. والجهل، كما يذكره الإمام، ليس مجرد حالة فكرية، بل هو عقبة نفسية وأخلاقية تمنع الإنسان من الانفتاح على الحقيقة. وهذا الفهم يتناغم مع الآية القرآنية التي تُظهر أن تكذيب الإنسان للحقيقة مرتبط بحدود علمه وإدراكه.

إنَّ الإمام (عليه السلام)، عن طريق هذا الدمج، يعيد تفسير العلاقة بين النصوص القرآنية والفكر الإنساني، إذ يجعل من الآيات القرآنية منطلقًا لفهم طبيعة الإنسان ومعضلاته الفكرية والأخلاقية.

والجمال في أسلوب الإمام علي يظهر في كيفية جعله المعاني الفلسفية العميقة تتدفق بسلاسة في قالب لغوي مميز. عندما يستحضر روح الآية: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩)، فإنَّه لا يُقدّم تفسيرًا تقليديًّا للنص، بل يعيد صياغة المعنى في إطار فلسفي يظهر طبيعة العلاقة الجدلية بين الإنسان والمعرفة. فالعبارة: «اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا» تحمل دلالة جمالية تتجاوز اللفظ، وتنطوي على صورة عميقة تُظهر الإنسان في مواجهة الحقيقة التي تتطلب منه جهدًا فكريًّا وروحيًّا لفهمها.

وهنا يكمن الجمال في البساطة الظاهرة التي تخفي وراءها تعقيدًا فكريًّا، يجعل النص مفتوحًا للتأمل

والتفسير. الإمام لا يُخاطب عقول الناس فقط، بل يُخاطب أرواحهم أيضًا، ممَّا يجعل عباراته تتجاوز الزمن وتظل مؤثرة عبر العصور.

فالإمام علي يُضيف بُعدًا إنسانيًّا وروحيًّا للنص القرآني عندما يُدمجه بخطابه. ففي قوله المرتبط بآية سورة يونس، لا يكتفي بتوضيح طبيعة الجهل، بل يُبدي ضرورة تجاوز الإنسان لهذه الحالة للوصول إلى الحقيقة. وهذه الرسالة تُظهر فهمًا عميقًا للقرآن كونه كتابًا ليس للوعظ فقط، بل كونه منهجًا لفهم الطبيعة البشرية. فالإمام يجعل من الآية نقطة انطلاق لتأمل أوسع حول المعرفة، والجهل، والارتباط بينهما.

عبارات الإمام المستوحاة من القرآن تُحدث أثرًا نفسيًّا عميقًا في المستمع. واستعماله لعبارة: «اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا»، المرتبطة ضمنيًّا بالآية القرآنية، يُثير في النفوس الإحساس بالمسؤولية تجاه البحث عن المعرفة وتجنب الوقوع في فخ الجهل. هذه الرسائل ليست مجرد تأملات فلسفية، بل هي دعوات للتغيير الذاتي والإصلاح الاجتماعي.

والإمام، عن طريق هذا الدمج، يُحوّل النص القرآني إلى أداة تربوية تُعلّم الناس قيمًا إنسانية عميقة، مثل التواضع أمام الحقيقة، والسعي المستمر لاكتساب المعرفة.

فالإمام علي (عليه السلام) يُعدُّ انموذجًا فريدًا في كيفية دمجه بين الجمال البلاغي والفكر الفلسفي، مع استلهام النصوص القرآنية لتعزيز مفاهيمه وتوضيحها. فقوله: «اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا»، الذي يرتبط بآية: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾، يُظهرُ هذا التفاعل العميق بين الفكر الإنساني والنص الإلهي. والجمال في هذا الدمج لا يقتصر على اللفظ أو المعنى الظاهري، بل يشمل العمق الفلسفي الذي يجعل النصوص مفتوحة للتأويل والتفكير

عبر العصور.

وبهذا الأسلوب، يُظهر الإمام علي فهمًا متقدّمًا للقرآن بوصفه كتابًا حيًّا يتفاعل مع الحياة والفكر، ممَّا يجعل من خطبه مصدرًا للإلهام الفكري والروحي لكل من يسعى لفهم أعمق لطبيعة الإنسان وعلاقته بالحقيقة.

الخاتمة

الاستنتاج الذي يمكن استخلاصه من دراسة أسلوب الإمام علي (عليه السلام) البلاغي وتفاعله مع النصوص القرآنية هو أنَّ خطابه يشكّل انموذجًا فريدًا من التفاعل بين الفكر الإنساني والإلهي. والإمام لم يكن مجرد خطيب أو واعظ ينقل النصوص الدينية بأسلوب تقليدي، بل كان مفكّرًا عميقًا استطاع أن يُوظّف القرآن بطريقة تجمع بين جمال التعبير وقوة الفكرة. وأنَّ دمج النصوص القرآنية في خطبه ورسائله لم يكن سطحيًّا أو زينة بلاغية، بل عملية تكامل فكري وروحي تُظهر عمق فهمه للقرآن كمنظومة معرفية وقيمية متكاملة. ومن هذا النهج، قدَّم الإمام علي انموذجًا عمليًّا لكيفية استعمال النصوص المقدَّسة ليس لتأكيد المواقف الفكرية فقط، بل أيضًا لتوجيه الإنسان نحو قيم أعمق تتعلّق بالعدل، والزهد، والمعرفة، ومواجهة الجهل.

ما يميز تجربة الإمام هو إدراكه العميق لحاجة الإنسان إلى لغة تحمل أبعادًا متعددة: عقلية، نفسية، وروحية. وعند الحديث عن التوحيد، أو الزهد، أو العدالة الاجتماعية، كان الإمام يُخاطب الناس بلغة تنبض بالروح القرآنية، فتتجاوز حدود الكلمات لتلامس القلوب والعقول في آن واحد. ورسائله حول العدل، على سبيل المثال، لم تكن مجرد دعوة سياسية، بل رؤية أخلاقية تتجذر في قيم القرآن. هذا النهج يُعطي درسًا أخلاقيًّا عظيمًا مفاده أنَّ النصوص المقدَّسة يجب أن تُفهم وتُوظف بطريقة تعزّز القيم الإنسانية

الجامعة، وتساهم في إصلاح الواقع بدل أن تُستخدم كأداة للجدل العقيم أو الانغلاق الفكري.

إنَّ البحث في أسلوب الإمام علي وأثر القرآن في خطابه يُظهر أهمية فهم السياق عند دراسة النصوص الدينية، فالإمام علي استعمل النصوص القرآنية بوعي كامل بالسياقات التي يخاطبها، ممَّا يعني أنَّ النصوص لا تنفصل عن ظروف الناس وحاجاتهم. وهذه نقطة يجب أن تُلهم الباحثين في العصر الحالي عند تناول النصوص الدينية، إذ تظهر الحاجة إلى قراءة النصوص المقدسة ضمن سياقها التاريخي والواقعي لفهم الرسائل التي تحملها للزمن المعاصر. وهذه المنهجية تجعل من النصوص الدينية أداة لتوجيه الإنسان نحو التطور والإصلاح بدلًا من الجمود أو التأويل السلبي.

ونوصي الباحثين المستقبليين الذين يدرسون أسلوب الإمام علي أو أي شخصية تاريخية دينية النظر إلى النصوص بوصفها نتاجًا لتفاعل عميق بين الإنسان وظروفه التاريخية من جهة، وبين القيم الإلهية من جهة أخرى. وأنَّ دراسة خطب الإمام لا يجب أن تتوقف عند حدود تحليل الجماليات البلاغية أو عمق الفكرة، بل ينبغي أن تشمل أيضًا الأثر النفسي والاجتماعي لهذه النصوص على المستمعين. كيف استطاعت هذه النصوص أن تُلهمهم؟ كيف كانت أداة لتحفيزهم على التغيير أو مواجهة الأزمات؟ هذه أسئلة لا تقل أهمية عن التحليل النصي.

والدرس الأخلاقي الذي نستخلصه من دراسة أسلوب الإمام هو أهمية البحث عن التوازن بين الفكر والقيم في كل خطاب ديني أو فلسفي. فالإمام علي لم يفصل بين الحقائق العقلية والمبادئ الأخلاقية، بل كان يرى أنَّ الإنسان بحاجة إلى البُعدين كليهما معاً ليعيش حياة ذات معنى. هذه الرؤية يمكن أن

تكـون أساسًـا لأي خطـاب يُـراد لـه أن يكـون مؤثـرًا وعميقًـا، ولاسـيَّما في زماننـا هـذا حيـث تعـاني المجتمعـات مـن التوتـر بين الفكـر المادي والقيـم الروحيـة.

الإجابـة عـن سـؤال البحـث حـول تـأثير القـرآن في بلاغـة الإمـام علي تكمـن في فهـم الطريقـة التـي اسـتطاع بهـا الإمـام أن يجعـل مـن النـص القـرآني مصـدرًا للإبـداع الفكـري والروحـي. هـذا التـأثير لم يكـن مجـرد توظيـف للنصـوص، بـل إعـادة إحيـاء لمعانيهـا في سـياقات جديـدة، بحيـث تصبـح جـزءًا مـن الحلـول لمشـكلات العصر. فالإمـام علي قـدَّم انموذجًـا عمليًّـا للإبـداع في اسـتعمال النصـوص الدينيـة، بحيـث تتحـول مـن مجـرد نصـوص جامـدة إلى مفاهيـم ديناميكيـة تُلهـم الأفـراد وتُصلـح المجتمعـات.

في النهايـة، مـا يجعـل دراسـة أسـلوب الإمـام علي مُلهمـة هـو أنَّهـا تُظهـر كيـف يمكـن للبلاغـة أن تكـون أكثـر مـن مجـرد فـن لغـوي؛ فهـي وسـيلة للتعبير عـن قيـم أعمـق تتعلّـق بحيـاة الإنسـان ومـصيره. والباحـث الـذي يسـعى لفهـم خطـب الإمـام يجـب أن يُـدرك أنَّ الجمال في هـذه النصـوص لا ينفصـل عـن جوهرهـا الإنسـاني والروحـي. والخطـاب الـذي يُحـدث تغـييرًا حقيقيًّـا هـو ذلـك الـذي يجمـع بين صـدق الفكـرة، وعمـق القيـم، وجمـال التعبير. هـذا مـا قدَّمـه الإمـام علي في خطبـه ورسـائله، ومـا يجـب أن يكـون درسًـا لـكل مـن يسـعى لصياغـة خطـاب إنسـاني خالـد.

النتائج

١. أظهـر الإمـام علي في نهـج البلاغـة قـدرة فريـدة على توظيـف القـرآن لتعزيـز القيـم الدينيـة والاجتماعيـة.

٢. تُظهـر الاستشـهادات البُعـد البلاغـي والفكـري لنصـوص الإمـام، ممَّـا يجعلهـا ذات تـأثير كـبير على المسـتمعين.

٣. أدَّت السـياقات السياسـية والاجتماعيـة دورًا مهمًّا في اختيـار الآيـات

المستشهد بها.

التوصيات

١. دراسة مقارنة بين الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة والخطابة الإسلامية الأخرى:

يُعدُّ هذا المحور من المجالات الخصبة التي يمكن أن تفتح آفاقًا جديدة في دراسة البلاغة الإسلامية. ومن المهم أن تتناول دراسة مقارنة كيفية استشهاد الإمام علي (عليه السلام) بالقرآن الكريم في نهج البلاغة مقارنة بالخطباء الآخرين من الحقبة نفسها، مثل الخلفاء أو الصحابة البارزين، وكذلك مع خطباء العصور اللاحقة في التاريخ الإسلامي.

ومن النقاط التي يمكن تناولها في هذه الدراسة:

أسلوب التوظيف: هل كان استشهاد الإمام علي مباشرًا أو ضمنيًّا؟ وكيف يختلف هذا عن أسلوب خطباء آخرين؟

الموضوعات المشتركة: مقارنة الموضوعات التي كانت محور الاستشهاد، مثل العدل، الزهد، التوحيد، والإصلاح الاجتماعي.

الأثر البلاغي: دراسة التأثير الجمالي والاستدلالي الذي أحدثته الآيات القرآنية في خطب الإمام مقارنة بخطب الآخرين.

السياق السياسي والاجتماعي: كيف تباينت أهداف الاستشهاد القرآني لدى الإمام علي في مواجهة الفتن، مع استشهادات خطباء آخرين في سياقات مشابهة أو مختلفة.

هذه الدراسة لن تُظهر تفرد أسلوب الإمام علي في الاستشهاد فقط، بل ستكشف أيضًا عن تطور الخطابة الإسلامية وتأثير النص القرآني في تشكيل ثقافة البلاغة والخطاب الديني.

٢. التعمق في دراسة التأثيرات النفسية والروحية للنصوص القرآنية ضمن الخطب السياسية:

يُعدُّ نهج البلاغة مثالًا واضحًا على كيفية استثمار النصوص القرآنية لتوليد تأثير عميق على المستوى النفسي والروحي لدى المستمعين، وبخاصة في سياقات سياسية مشحونة مثل مرحلة ما بعد الخلافة الراشدة. يمكن أن تكون هذه الدراسة بمنزلة استكشاف لتأثير الخطاب الديني السياسي على تشكيل العواطف والمواقف داخل المجتمعات الإسلامية.

المحاور التي يمكن أن تشملها هذه الدراسة:

التأثير النفسي للآيات القرآنية: تحليل كيفية استدعاء الإمام علي للآيات القرآنية لتوجيه مشاعر الرهبة، والخشوع، أو الإصرار لدى مستمعيه.

التأثير الروحي: دراسة كيف استطاع الإمام أن يجعل من الآيات القرآنية أداة لإحياء القيم الروحية مثل التواضع، الصبر، والرضا بالقضاء الإلهي في مواجهة أزمات سياسية واجتماعية.

الآيات القرآنية في مواجهة الأزمات: تحليل خطب الإمام في فترات الصراع، مثل معركة الجمل أو صفين، ودراسة كيف وظّفَ القرآن لتقوية الروح المعنوية لدى أتباعه، أو لتوجيه خطابه نحو تحقيق الوحدة بين المسلمين.

النتائج الاجتماعية والسياسية: كيف ساهم هذا التأثير النفسي والروحي في تحقيق أهداف سياسية، مثل تهدئة الفتن، أو تعزيز شرعية القيادة، أو ترسيخ القيم الإسلامية في مواجهة الانقسامات.

يمكن أيضًا توسيع الدراسة لتشمل خطبًا سياسية لشخصيات تاريخية إسلامية أخرى، مثل الخلفاء الأمويين أو العباسيين، لمعرفة كيف استعملت الطبقات السياسية القرآن الكريم لتحقيق أغراضها.

٣. دراسة دور الاستشهاد القرآني في تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية:

يُوصى بأن تركز دراسات أخرى على كيفية استثمار الإمام علي للنصوص القرآنية لتعزيز قيم مثل العدل، والشورى، والزهد، والتسامح. هذه القيم ليست موجهة للأفراد فقط، بل للمجتمع عامة. وأنَّ دراسة هذه النقطة يمكن أن تلقي الضوء على دور الخطاب القرآني في إعادة صياغة المجتمع الإسلامي بعد الفتن الكبرى.

المحاور الممكنة لهذه الدراسة:

التأكيد على العدل: كيف جعل الإمام العدل مركز خطابه، وكيف استند إلى القرآن لإظهاره كقيمة إلهية لا غنى عنها في الحكم.

إعادة تشكيل الهوية الاجتماعية: كيف استُعمل القرآن كأداة لخلق وعي جماعي يعيد بناء المجتمع الإسلامي على أسس أخلاقية بعد الانقسامات السياسية.

توجيه الحكام والرعية: دراسة النصوص التي استشهد بها الإمام في خطبه ورسائله لتوجيه الحاكم نحو العدالة، والرعية نحو الطاعة المشروطة بالحق.

٤. البحث عن آليات جديدة لاستثمار النصوص القرآنية في الخطاب المعاصر:

إحدى التوصيات المهمة هي البحث عن كيفية توظيف تجربة الإمام علي في الاستشهاد القرآني لتطوير الخطاب الإسلامي المعاصر. في عالم يعاني من أزمات أخلاقية وفكرية، يمكن أن تكون خطب الإمام انموذجًا يُحتذى به في توجيه الخطاب الديني نحو تعزيز الوحدة، والتفاهم بين الشعوب، وترسيخ القيم الإنسانية.

التواصل مع الجمهور الحديث: دراسة كيف يمكن تكييف أسلوب الإمام علي في استحضار القرآن لجعله مؤثرًا في الخطاب الإعلامي والدعوي الحديث.

التعامل مع الأزمات الحديثة: تحليل

استشهادات الإمام المتعلّقة بالفتنة والانقسام، وكيف يمكن استعمالها في مواجهة الأزمات الفكرية والسياسية في العالم الإسلامي اليوم.

الربط بين الدين والواقع: دراسة كيفية استلهام تجربة الإمام في جعل القرآن مرتبطًا بقضايا الإنسان اليومية، ممَّا يُعزّز دور الدين بوصفه أداة لحل المشكلات، وليس مجرد نصوص جامدة.

هذه التوصيات ليست سوى خطوات مبدئية لدراسة تراث الإمام علي بشكل أعمق، وبخاصة في كيفية تعامله مع النص القرآني وتوظيفه لخدمة قضايا إنسانية واجتماعية وسياسية عميقة. عبر استثمار هذه النقاط البحثية، يمكن للباحثين أن يُعيدوا اكتشاف الجماليات البلاغية، والفلسفة الأخلاقية، والرؤية القيادية التي قدَّمها الإمام علي، ممَّا يُثري فهمنا للتراث الإسلامي، ويُقدّم حلولًا جديدة للتحديات الفكرية والروحية في العصر الحديث.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الجاحظ، (٢٠٠٦)، البيان والتبيين. القاهرة: دار المعارف.

٢. الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠٠٠)، دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣. عبد الحليم، م. أ. س، (٢٠٠٥)، القرآن: ترجمة جديدة. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.

٤. الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠١٠)، دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتب.

٥. الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠١٠)، أسرار البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. المودودي، أبو الأعلى، (٢٠٠٢)، نحو فهم القرآن. ليستر: المؤسسة الإسلامية.

٧. الرضي، محمد بن الحسين (المجمع)، (٢٠١٧)، نهج البلاغة (ترجمة: ياسين التيجاني الجيبوري). قم: منشورات أنصاريان.

٨. الطبري، محمد بن جرير، (١٩٨٧)، تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. القاهرة: دار المعارف.

٩. أيوب، م، (١٩٨٤)، القرآن ومفسروه: المجلد الأول. ألباني: منشورات جامعة ولاية نيويورك.

١٠. إسبوزيتو، جون، (١٩٩٨)، الإسلام: الطريق المستقيم. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.

١١. حسين، طه، (١٩٩٤)، روح الحضارة الإسلامية. القاهرة: دار الهلال.

١٢. خليدي، ت، (٢٠٠٥)، الفكر التاريخي العربي في العصر الكلاسيكي. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.

١٣. مادجان، دانييل أ، (٢٠٠١)، الصورة الذاتية للقرآن: الكتابة والسلطة في نص الإسلام المقدس. برينستون: مطبعة جامعة برينستون.

١٤. نصر، سيد حسين، داغلي، كنان

كريمو، دقاق، محمد مصطفى، لومبارد، جوزيف إبنر بيرمان، رستم، محمد (محررون)، (٢٠١٥)، دراسة القرآن: ترجمة جديدة وتعليق. نيويورك: هاربر وان.

١٥. الفتال، ع. (٢٠٢٢). من خصائص نهج البلاغة: الاستشهاد بالقرآن. مجلة المبين. مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة.

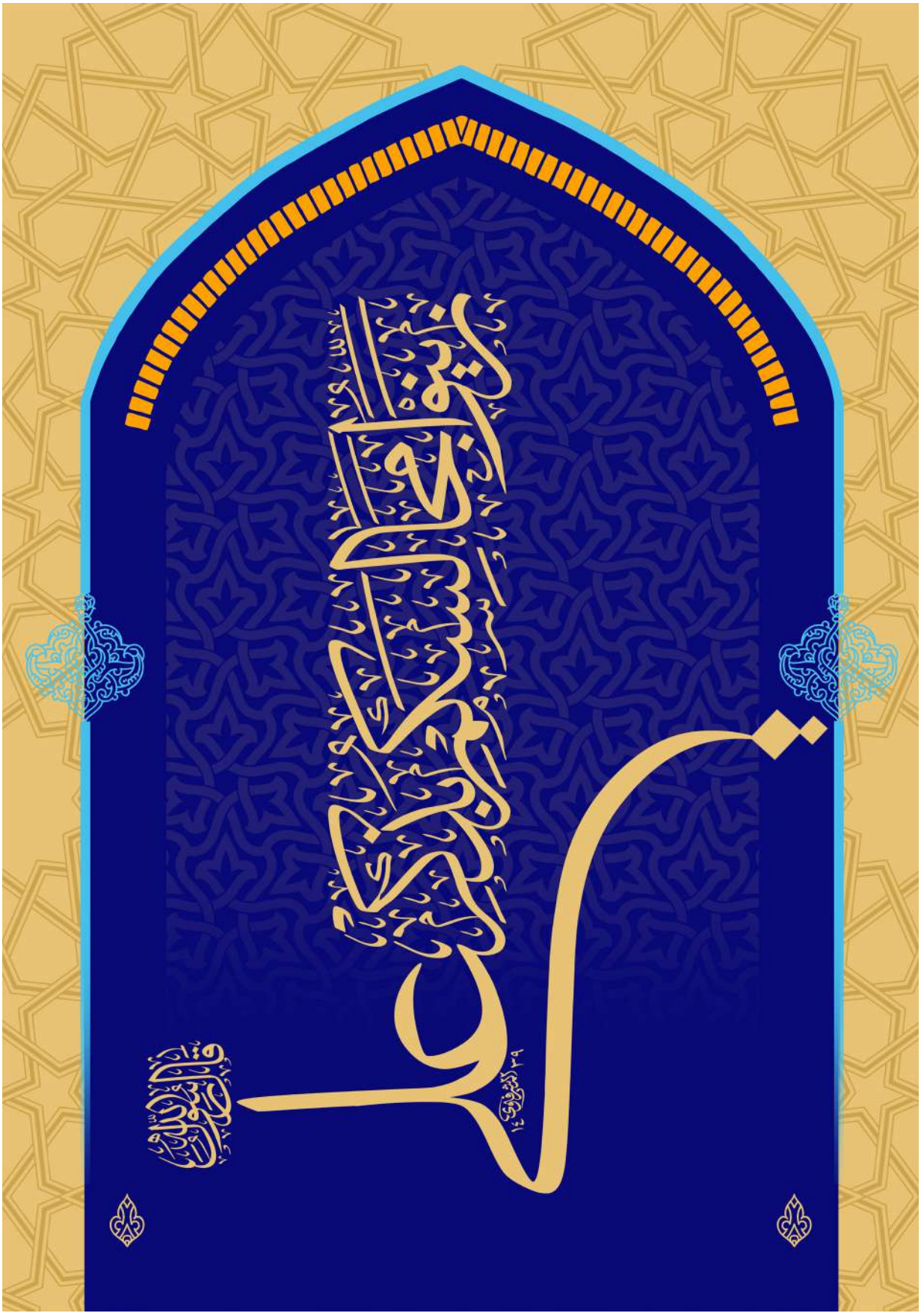
قال رسول الله صلى الله عليه وآله
٢٩ ذي القعدة ١٤٠٧

أثر نهج البلاغة
في بيان المعارف القرآنية

The Impact of Nahj al-Balagha in Explaining Qur'anic Knowledge

الباحث: محمد حمزة عباس الخفاجي

مؤسسة علوم نهج البلاغة.

by Mohammed Hamza Abbas Al-Khafaji

Nahj al-Balagha Sciences Foundation

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012403

ملخص البحث

الفكرة من البحث بيان أهمية النهج في تأصيل العلوم والمعارف القرآنية، فأمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من ابتدأ بتأصيلها، وكان له مصحف خاص فيه سبب نزول الآيات، وفيمن نزلت، ومتى نزلت، وقد ذكر في الكثير من خطبه ووصاياه أهم المواضيع المختصة بعلوم القرآن كالحلال والحرام، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، وغير ذلك من الأحكام الأخرى، وبيَّن فرائض القرآن وفضائله، وما يحوي هذا الذكر من مفاهيم دينية ومعارف إنسانية، لذا قسمت دراستنا على مبحثين، فكان الأول في بيان: (المعارف الدينية)، والثاني في بيان: (المعارف الإنسانية).

الكلمات المفتاحية: المعارف القرآنية، نهج البلاغة، علوم القرآن، الفرائض القرآنية.

Abstract

This research explores how Nahj al-Balagha Contributes to the methodological rooting of Qur'anic knowledge and Sciences. The prince of true belivers was the first to establish its foundations. He Possessed a special manuscript that included the reasons for the revelation of the verses, and to whom and when they were revealed. He mentioned in many of his sermons and Counsels the most important topics related to the sciences of the Qur'an, such as the lawful and the unlawful (halal and haram), the abrogating and the abrogated (nasikh and mansukh), the clear and the ambiguous (muhkam and mutashabih), and the general and the specific. He also explained the obligations prescribed in the Qur'an and its inclusion of religious concepts and humanitarian knowledge. Therefore, our study is divided into two sections: the first devoted to religious knowledge, and the second to humanitarian Knowledge.

Keywords: Qur'anic Knowledge, Nahjal- Balagha , Qur'anic Sciences, Qur'anic Obligations.

المقدمة:

يحوي الذكر الحكيم أسرارًا وعلومًا لا تُعد ولا تُحصى، تسهم في رفع مستوى الإنسان دينيًّا وعلميًّا وأخلاقيًّا، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى هذه العلوم في كثيرٍ من الخطب، وبيَّن لنا شمولية القرآن، ومنزلته، ومكانته، وفضله، وأثره في بناء الإنسان.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَإِنَّ اَلْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلاَ تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلاَ تُكْشَفُ اَلظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِهِ»[1].

فالقرآن كتاب سماوي، يحاكي القلوب والعقول، ويهدي النفوس، وفيه نظم الأمور، وكل ما يحتاجه الإنسان فيما يخص الدين والدنيا والآخرة، إذ فيه علم الأولين والآخرين، وفي ذلك يقول الإمام علي (عليه السلام): «وَفِي اَلْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ»[2]، وإن علومه متجدِّدة لا تنفد، وهذا هو سرُّ إعجازه، فكل زمان ينهلون من علمه، دستور سماوي يرشد الناس ويهديهم إلى الصراط المستقيم، لذا صار حجة الله على الخلق، به ختم الله الأديان، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وقد اقتضت الدراسة أن يقسم البحث إلى مبحثين، فكان الأول بعنوان: «أثر نهج البلاغة في بيان المعارف الدينية في الذكر الحكيم»، والثاني بعنوان: «أثر نهج البلاغة في بيان المعارف الإنسانية في الذكر الحكيم» ومن ثم ختمنا بخاتمة بيَّنّا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

«منهاج لا يضلُّ نهجه»

تمهيد:

للخطاب العلوي أثرٌ كبير في تنمية العلوم والمعارف الدينية والأخلاقية، وغيرها من المعارف الأخرى التي

تنمي الإنسان وتبنيه بناء كاملًا، كالمعارف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، وغيرها من المعارف الأخرى، ولم تقتصر خطب الإمام علي (عليه السلام) على هذه العلوم فقط؛ بل تطرق الإمام إلى سيرة الأنبياء والمعصومين؛ لنتعظ بحياتهم ونجعلهم المثل الأعلى بالاقتداء.

ومن خطب الإمام وكتبه ورسائله وحِكَمِهِ رسم لنا نهجًا للحياة، ورسم لنا طريقًا واضحًا، يسعى إلى تطوير العلوم الإنسانية وتهذيب النفس البشرية.

ومن أهم هذه المعارف التي تطرَّق إليها الإمام علي (عليه السلام) المعارف القرآنية، فقد أصَّل الإمام (عليه السلام) هذه العلوم السماوية، وتحدَّث في الكثير من خطبه عن أسرار القرآن وما يحويه هذا الكتاب المقدَّس من كنوز وجواهر حكمية جمَّة، فالقرآن كتاب كامل شامل، رسم فيه سبحانه جميع مناهج الحياة، يقول الإمام في وصف القرآن: «**وَمِنْهَاجاً لاَ يُضِلُّ نَهْجُهُ**»[٣]، فهو معجزة النبيّ الخالدة.

وكان لأمير المؤمنين (عليه السلام) مصحف خاصّ، فيه بيان سبب نزول الآيات، وفيمن نزلت، ومتى نزلت، وجميع المواضيع المختصة بعلوم القرآن كالحلال والحرام، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والفرائض والفضائل وغير ذلك من الأحكام الأخرى، وما يحوي هذا الذكر من مفاهيم دينية ومعارف إنسانية.

فعلي بن أبي طالب ترجمان القرآن، وأوَّل من أصَّل هذه العلوم؛ إذ أمره النبي بجَمْع القرآن وتفسيره وتأويله وبيان غوامضه ثقةً به، يقول الإمام علي (عليه السلام): «**مَا نَزَلَتْ آيَة على رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ**

أَقْرَأَنِيها وَأَمْلاها عَلَيَّ، فَأَكْتُبُها بِخَطِّي، وَعَلَّمَني تَأْوِيلَها وَتَفْسِيرَها وَنَاسِخَها وَمَنْسُوخَها وَمُحْكَمَها وَمُتَشابِهَها، وَدَعا اللهَ لِي أَنْ يُعَلِّمَنِي فَهْمَها وَحِفْظَها، فَما نَسِيْتُ آيَةً مِنْ كِتابِ اللهِ ولا عِلماً أَمْلاهُ عليَّ فَكَتَبْتُهُ، مُنْذُ دَعا لي بما دعا وَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللهُ مِنْ حَلالٍ ولا حَرامٍ ولا أَمْرٍ ولا نهيٍ كان أو يكونُ مِنْ طَاعَةٍ أو مَعْصِيَةٍ إلاّ عَلَّمْنِيهِ وَحَفِظْتُهُ فَلَمْ أَنْسَ مِنْهُ حَرْفاً واحِداً، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ على صَدْرِي وَدَعا اللهَ أن يَمْلأَ قَلْبِي عِلْماً وَفَهْماً وَحِكْمَةً وَنُوراً فلَمْ أَنْسَ شَيْئاً وَلَمْ يَفُتْنِي شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَوَ تَخَوَّفْتَ عليَّ النِّسيَانَ فِيمَا بَعْدُ؟ فَقالَ: لَسْتُ أَتَخَوّفُ عَلَيْكَ نِسياناً ولا جَهْلاً، وَقَدْ أَخْبَرَني رَبِّي أَنَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ لي فِيكَ وفي شُرَكَائِكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ شُرَكائي مِنْ بَعْدِي؟ قَالَ: الَّذِينَ قَرَنَهُم اللهُ بِنَفْسِهِ وَبِي فَقَالَ: الأَوْصياءُ منّي إلى أنْ يَرِدُوا عَلَيَّ الحَوْضَ كُلُّهُم هَادٍ مُهْتَدٍ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، هُمْ مَعَ القُرآنِ والقُرْآنُ مَعَهُمْ»[٤].

وهو ما يبرز عمق العلاقة بين علي والقرآن، فتجلّت بوضوح في كلام الإمام (عليه السلام) والتي سنقف عند آثارها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول:

أثر نهج البلاغة في بيان المعارف الدينية في الذكر الحكيم.

اشتمل المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول - في بيان الحلال والحرام:

لم يترك كتاب الله شيئًا إلّا وبيَّنه للعباد، فقد أكمل به سبحانه دينه الذي ارتضاه لنفسه، لئلّا يكون للناس حجة على الله يوم القيامة؛ فيقولون لم نكن نعلم شيئًا، أو لم ينزل بهذا الأمر شيء، وقد قال تعالى في محكم كتابه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾[٥].

وفي النهج يقول الإمام علي (عليه السلام): «أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٦]، وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّه أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَه ولَكُمْ، فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِه دِينَه الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِه، وأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِه مَحَابَّه مِنَ الأَعْمَالِ ومَكَارِهَه، ونَوَاهِيَه وأَوَامِرَه»[٧].

وقال (عليه السلام): «كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ»[٨].

فالقرآن حبل الله المتين وصراطه المستقيم، يقول الإمام علي (عليه السلام): «وتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ واسْتَنْصِحْه، وأَحِلَّ حَلاَلَه وحَرِّمْ حَرَامَه»[٩].

فكل ما يحتاجه الإنسان من أمور الدِّين يجده في كتاب الله العزيز من حلال وحرام، فعنه (عليه السلام) أنَّه قال: «إِنَّ الله حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وأَحَلَّ حَلاَلًا غَيْرَ مَدْخُولٍ»[١٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١١].

والفواحش كالزنا، والبغي، والقتل، وانتهاك الحرمات، والكفر، وغيرها قد فصلها الله في كتابه العزيز.

فسبحانه أنزل كتابًا بيَّن فيه الخير والشر، فعنه (عليه السلام) أنه قال: «إِنَّ الله سُبْحَانَه أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً، بَيَّنَ فِيه الْخَيْرَ والشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، واصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا»[١٢].

ومن وصيّةٍ له (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) قال: «وأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ الله عَزَّ وجَلَّ، وتَأْوِيلِه وشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ وأَحْكَامِه وحَلاَلِه وحَرَامِه، لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِه»[١٣].

وكان (عليه السلام) كثيراً ما يحثُّ

الناس على العمل بكتاب الله، إذ يقول (عليه السلام): «وتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّه أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وتَفَقَّهُوا فِيه فَإِنَّه رَبِيعُ الْقُلُوبِ»[١٤].

وكان (عليه السلام) حجة الله على الخلق إذ بيَّن لهم جميع ما جهلوا من أمور الدِّين، وفي ذلك يقول (عليه السلام): «قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ وفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ، وعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَوْ كَانَ الأَعْمَى يَلْحَظُ أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ»[١٥].

ومن أمثلة الحلال والحرام في القرآن:

أوَّلًا- ممَّا حرَّمه الله من النكاح:

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١٦]، وفي هذه الآية تفصيلًا فيما حرَّم الله من النساء على الرجال.

وفي النهج يقول الإمام (عليه السلام) في قصة آدم (عليه السلام): «فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ»[١٧]، وعمارة الأرض لا تتم إلّا بالنكاح الحلال، فمنذ أن أهبط سبحانه نبينا آدم (عليه السلام) وجعله خليفة في أرضه، أمره بتحريم الأمهات والأخوات، وما فصلته الآية المباركة أعلاه فيما حرم علينا سبحانه من النساء، ولولا ذلك لم تتم الحجة على العباد[١٨].

ثانياً- فيما يخص الكسب الحلال وما حرَّمه سبحانه:

قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَا﴾[١٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾[٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[٢١].

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «لاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ اَلْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ اَلْمَعْصِيَةَ وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيْلَ اَلطَّاعَةِ»[٢٢].

وقال (عليه السلام): «طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَطَابَ كَسْبُهُ»[٢٣]، والشواهد كثيرة لا يسعنا ذكرها تجنّبًا للإطالة.

(فكان عليٌّ (عليه السَّلام) أعلم الصحابة بفقه القرآن، بالحلال والحرام، والأمر والنهي، والطاعة والمعصية، كما جاء في قوله (عليه السَّلام): «..... وَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ الله مِنْ حَلالٍ ولا حَرَامٍ ولا أَمْرٍ ولا نهي كان أو يكونُ مِنْ طَاعَةٍ أو مَعْصِيَةٍ إلاّ عَلَّمْنِيهِ وَحَفِظْتُهُ فَلَمْ أَنْسَ مِنْهُ حَرْفاً واحِداً، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ على صَدْرِي وَدَعا الله أن يَمْلاَ قَلْبي عِلْماً وَفَهْماً وَحِكْمَةً وَنُوراً»)[٢٤].

المطلب الثاني- في بيان الفرائض:

فرض الله علينا فرائض منها: الصلاة، والصيام، والخمس، والزكاة، وفيها طريق النجاة، يقول الإمام (عليه السلام): «اَلْفَرَائِضَ اَلْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى الله تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ»[٢٥].

وقال (عليه السلام): «وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ»[٢٦].

ومن الأمثلة القرآنية فيما يخص الفرائض، قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا الله قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ الله هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٧].

ومن حكمة له (عليه السلام) أنَّه قال: «فَرَضَ اَلله... اَلصَّلاَةَ تَنْزِيهاً عَنِ اَلْكِبْرِ وَاَلزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ وَالصِّيَامَ

اِبْـتِلاَءً لِإِخْلاَصِ اَلْخُلْـقِ وَاَلْـحَـجَّ تَقْوِيَـةً لِلدِّيـنِ وَاَلْجِهَـادَ عِـزّاً لِلْإِسْلاَمِ وَاَلْأَمْـرَ بِالْمَعْـرُوفِ مَصْلَحَـةً لِلْعَـوَامِّ وَاَلنَّهْـيَ عَـنِ اَلْمُنْكَـرِ رَدْعـاً لِلسُّـفَهَاءِ وَصِلَةَ اَلرَّحِـمِ مَنْمَاةً لِلْعَـدَدِ...»[٢٨].

فعِلّـةُ فـرض الـصلاة تنزيهًـا عـن الـكِبر؛ إذ إنَّ الـصلاة طاعـة وعبوديـة لـه سـبحانه، ومـن تواضـع لله عُصِـم مـن الـكِبر، ومـن كان أشـدَّ تواضعًـا كان الأقـرب إلى الله، فعـن أبي عبـد الله (عليـه الـسلام) قـال: «أَوْحَـى الله عَـزَّ وجَـلَّ إِلَى مُوسَـى (عليـه الـسلام) أَنْ يَـا مُوسَـى أَتَـدْرِي لِمَ اصْطَفَيْتُكَ بِكَلَامِي دُونَ خَلْقِي قَـالَ يَـا رَبِّ ولِمَ ذَاكَ قَـالَ فَأَوْحَـى الله تَبَـارَكَ وتَعَـالَى إِلَيْـه أَنْ يَـا مُوسَـى إِنِّي قَلَّبْتُ عِبَـادِي ظَهْـراً لِبَطْـنٍ فَلَـمْ أَجِـدْ فِيهِـمْ أَحَـداً أَذَلَّ لِي نَفْسـاً مِنْـكَ يَـا مُوسَـى إِنَّـكَ إِذَا صَلَّيْـتَ وَضَعْـتَ خَـدَّكَ عَلَى التُّرَابِ أَوْ قَـالَ عَلَى الأَرْضِ»[٢٩].

وكما اخـتبر سـبحانه الملائكـة، وأمـر إبليـس بالسـجود لآدم، ليميـز الخبيـث مـن الطيـب، كذلـك اختـبر الله عبـاده بالمكاره والطاعـات ليخـرج جوهرهـم، فعنـه (عليـه السلام) أنـه قـال: «ولَكِـنَّ الله يَخْـتَبِرُ عِبَـادَهُ بِأَنْـوَاعِ الشَّـدَائِدِ، ويَتَعَبَّدُهُـمْ بِأَنْـوَاعِ الْمَجَاهِـدِ... ولِيَجْعَـلَ ذَلِـكَ أَبْوَابـاً فُتُحـاً إِلَى فَضْلِـهِ، وأَسْـبَاباً ذُلُلاً لِعَفْـوِهِ»[٣٠].

وفي الخطبـة نفسـها يوضـح الإمـام (عليـه الـسلام) العلّـة التـي مـن أجلهـا فـرض الله هـذه العبـادات، يقـول الإمـام (عليـه الـسلام): «وعَـنْ ذَلِـكَ مَـا حَـرَسَ الله عِبَـادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَـوَاتِ والزَّكَوَاتِ، ومُجَاهَـدَةِ الصِّيَـامِ فِي الأَيَّـامِ الْمَفْرُوضَـاتِ، تَسْـكِيناً لأَطْرَافِهِـمْ، وتَخْشِـيعاً لأَبْصَارِهِـمْ، وتَذْلِـيلاً لِنُفُوسِـهِمْ، وتَخْفِيضـاً لِقُلُوبِهِـمْ، وإِذْهَابـاً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُـمْ، ولِمَا فِي ذَلِـكَ مِـنْ تَعْـفِيرِ عِتَـاقِ الْوُجُـوهِ بِـالتُّرَابِ تَوَاضُعـاً، والْتِصَـاقِ كَرَائِـمِ الْجَـوَارِحِ بِـالأَرْضِ تَصَاغُـراً، ولُحُـوقِ الْبُطُـونِ بِالْمُتُـونِ مِـنَ الصِّيَـامِ تَـذَلُّلاً مَـعَ مَـا فِي الـزَّكَاةِ مِـنْ

صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ والْفَقْرِ»[٣١].

فمن خلال الصلاة والصيام وباقي العبادات الأخرى، تذلُّ النفوس، فتخضع وتخشع وتتواضع لله (عز وجل).

كذلك باقي الفرائض، فكل فريضة فيها أثر معنوي؛ لذا فرض الله علينا هذه الفرائض؛ كي يزكّينا ويمُنَّ علينا من فضله الواسع.

المطلب الثالث- الرخص والعزائم:

أولًا- الرُّخَصُ:

ورد في اللغة: (الرُّخصة في الأمر خلاف التشديد فيه)[٣٢].

وفي الشرع قال الشيخ محمد جواد مغنية: (وشرعًا الإذن للمكلّف بفعل ما كان ممنوعًا عنه، الإذن له بذلك لسبب موجب؛ كالإذن للمضطر بالأكل من الميتة)[٣٣].

قال (عليه السلام): «ورُخَصَه وعَزَائِمَه»[٣٤].

ومن الشواهد القرآنية، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٥].

فالمضطر يجوز له أكل الميتة وما حرّم عليه وقت الاضطرار فقط؛ فهذه حدود الله، ومن يتعدَّ ذلك يؤثم.

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾[٣٦].

قال (عليه السلام) في بعض كتبه إلى (العمال الذين يطأ الجيش عملهم: «وأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِه، فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ، والتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاه مِنْهُمْ»)[٣٧].

وفي أحكام الطهارة يجوز للمكلف

التيمم عند عدم وجود الماء، وكذلك في حالة الجنب أو المرض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣٨]، فسبحانه تعالى يريد من هذه الأحكام أن يُطهّر عباده من الرذائل النفسية والجسدية.

يقول الإمام (عليه السلام): «فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ومَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، ولَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ»[٣٩].

ثانياً- العزائم:

قال علي بن زيد البيهقي: (والعزائم: الفرائض المضيَّقة لا الموسَّعة)[٤٠].

وقال حبيب الله الخوئي: (أمَّا العزائم، فهي الأحكام التي لا يجوز مخالفتها بحال من الأحوال، مثل وجوب الإقرار بالتَّوحيد، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[٤١])[٤٢].

قال (عليه السلام): (وعَزَائِمَه)[٤٣].

ومن أمثلته، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤٤]، فالباغ لا يجوز له أكل الميتة، وكذلك العاد، فيروى (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ (عليه السلام) فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولا عادٍ﴾ قَالَ: «الْبَاغِي بَاغِي الصَّيْدِ

والْعَادِي السَّارِقُ لَيْسَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا الْمَيْتَةَ إِذَا اضْطُرَّا إِلَيْهَا هِيَ حَرَامٌ عَلَيْهِمَا لَيْسَ هِيَ عَلَيْهِمَا كَمَا هِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ولَيْسَ لَهُمَا أَنْ يُقَصِّرَا فِي الصَّلَاةِ»)[٤٥].

المطلب الرابع- المحكم والمتشابه:

في الذكر الحكيم آيات محكمات وأُخر متشابهات، وقد أشار سبحانه إلى ذلك في سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٤٦].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ومُحْكَمَه ومُتَشَابِهَه»[٤٧].

ولبيان المحكم والمتشابه نبتدئ:

أوَّلًا- في بيان الآيات المُحكمة:

قال تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٤٨].

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (هذه الآيات المحكمات تسمَّى في القرآن «أُمّ الكتاب» أي هي الأصل والمرجع والمفسّرة والموضّحة للآيات الأُخرى.... إذ لفظة «أُم» في اللغة تعني الأصل والأساس، وإطلاق الكلمة على «الأُم» أي الوالدة؛ لأنَّها أصل الأُسرة والعائلة، والملجأ الذي يفزع إليه أبناؤها لحلّ مشاكلهم. وعلى هذا فالمحكمات هي الأساس والجذر والأُم بالنسبة للآيات الأُخرى)[٤٩].

فمن خلال الآيات المحكمة تفسر الآيات الأخر التي اشتبه على الناس تأويلها.

ونفهم ممَّا تقدَّم أنَّ الآيات المحكمة هي الآيات الواضحة الدلالة التي لا تحتاج إلى بيان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾[٥٠] أي مبينة.

ومن الأمثلة القرآنية في الآيات المُحكمة:

قولـه تعـالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾[٥١].

وقولـه تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٥٢].

فهـذه الآيـات مقصدهـا واضـح للعمـوم، قـال (عليـه السـلام): «فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ وصَامِتٌ نَاطِقٌ... ولَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَه أَوْ كَرِهَه إِلَّا وجَعَلَ لَه عَلَماً بَادِياً، وآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْه أَوْ تَدْعُو إِلَيْه»[٥٣]. قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[٥٤].

ثانياً- في بيان الآيات المتشابهة:

الآيـات المتشـابه مـا خفـي معناهـا على العامـة مـن النـاس واحتاجـوا إلى تأويلهـا وبيـان غوامضهـا، أمّـا الراسـخون في العلـم فلا يشـتبه عليهـم شيء، قـال تعـالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٥٥].

عـن الأصبـغ بـن نباتـة، قـال: لَمّا قـدم أمير المؤمـنين (عليـه السـلام) الكوفـة صلّى بهـم أربـعين صباحًـا ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[٥٦] قـال: فقـال المنافقـون: لا والله، مـا يحسـن ابـن أبي طالـب أن يقـرأ القـرآن، لـو أحسـن أن يقـرأ القـرآن لقـرأ بنـا غير هـذه السـورة. قـال: فبلغـه ذلـك، فقـال: «وَيلٌ لَهُم، إنّي لَأَعرِفُ ناسِخَهُ مِن مَنسوخِهِ، ومُحكَمَهُ مِن مُتَشابِهِهِ، وفَصلَهُ من فِصالِهِ، وحُروفَهُ مِن مَعانيهِ. وَاللهِ ما مِن حَرفٍ نَزَلَ عَلى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) إلّا أنّي أعرِفُ فيمَن أُنزِلَ، وفي أيِّ يَومٍ، وفي أيِّ مَوضِعٍ»[٥٧].

وقـد بيَّن سـبحانه في هـذه الآيـة المباركـة سـبب اتبـاع هـؤلاء مـا تشـابه مـن القـرآن بقولـه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٥٨].

وفي ذلـك يقـول الإمـام (عليـه السـلام): «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ

الله»[٥٩]. فأهل الفتن والضلالة هم من يفسرون ظاهر هذه الآية؛ ليوهموا الناس ويفتنونهم في دينهم لمصالح شخصية، كطلب الجاه والسلطان والمال.

ومن أمثلة الآيات المتشابه:

قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[٦١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٦٢].

فسبحانه وتعالى ليس له حيِّز، وليس بجسم، وهذه الآيات لا تُؤخذ على ظاهرها، وإنَّما تحتاج إلى تأويل وبيان، كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ﴾، فاليد هنا تعني القوة والقدرة[٦٣]؛ لأن كل جسم محدود، وكل محدود منقوص، يحتاج إلى غيره، والمحدود ليس له الإحاطة بالكون، وسبحانه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٦٥]، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «استوى تدبيره وعلا أمره»[٦٦].

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام): «اسْتَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ ولَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ قَرِيبٌ اسْتَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ»[٦٧].

وسبحانه لا ينام ولا يغفل ولا يسهو وليس كالأشياء، وقد وصف نفسه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٦٨] وهذه الآية واضحة وصريحة بأنَّه تعالى ليس بجسم، وليس كالأشياء، فهو سميع بغير جارحة، وناطق بلا أدوات، يقول الإمام علي (عليه السلام) في بيان صفة الخالق: «لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ ولَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ ولَا يَشْغَلُه سَائِلٌ ولَا يَنْقُصُه نَائِلٌ، ولَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ ولَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ ولَا يُوصَفُ بِالأَزْوَاجِ، ولَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ ولَا يُدْرَكُ

بِالْحَوَاسِّ ولَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً وأَرَاه مِنْ آيَاتِه عَظِيماً، بِلَا جَوَارِحَ ولَا أَدَوَاتٍ ولَا نُطْقٍ ولَا لَهَوَاتٍ، بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرِيلَ ومِيكَائِيلَ وجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِين، فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ والأَدَوَاتِ، ومَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّه بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَه إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِه كُلَّ ظَلَامٍ، وأَظْلَمَ بِظُلْمَتِه كُلَّ نُورٍ»[٦٩].

المبحث الثاني:

أثر نهج البلاغة في بيان المعارف الإنسانية في الذكر الحكيم.

وقد اشتمل المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: (القرآن الكريم واعظ وناصح).

من الأساليب التربوية التي اعتمدها القرآن الكريم أسلوب الوعظ والنُّصح، فمن شواهد الوعظ في الكتاب العزيز، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٧٠].

ولم يعظ سبحانه عباده بأفضل من القرآن؛ إذ فيه مواعظ بالغة، يقول الإمام علي (عليه السلام): «وَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ الله الْمَتِينُ وَسَبَبُهُ الأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ»[٧١].

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٧٢].

والواعظ والناصح إنسان تربوي يحب الخير، وهذا ما كانت عليه الرسل والحجج الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين)، لذا اصطفاهم الله لرسالته، وقد اعتمد الإمام أسلوب الوعظ في تبصرة الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم اقتداءً بكتاب الله ورسوله، فعنه (عليه السلام) أنَّه قال: «إِنَّه لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ

رَبِّـه، الإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَـةِ، والِاجْتِهَـادُ فِي النَّصِيحَـةِ»[٧٣].

والنـاس أصنـاف؛ فصنـف لا تنفعـه العظـة، ولكـن ينفعـه السـوط، يقـول (عليـه السـلام): «وَلَا تَكُونَـنَّ مِمَّـنْ لَا تَنْفَعُـه الْعِظَـةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْـتَ فِي إِيلَامِـه، فَـإِنَّ الْعَاقِـلَ يَتَّعِـظُ بِـالآدَابِ، والْبَهَائِـمَ لَا تَتَّعِـظُ إِلَّا بِـالضَّرْبِ»[٧٤]، هكـذا بعـض النـاس لا تأدبهـم المواعـظ ولكـن تأدّبهـم الأيـام والسـياط.

وصنـف آخـر لا تنفعهـم العظـة إطلاقًـا، وهـؤلاء كالأنعـام بـل أضـلُّ، قـال تعـالى واصفـاً إياهـم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُـمْ يَسْـمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُـونَ إِنْ هُـمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـامِ بَـلْ هُـمْ أَضَـلُّ سَـبِيلًا﴾[٧٥].

وقـد وصـف الإمـام هـؤلاء بقولـه: «أَقْبَلُـوا عَلَى جِيفَـةٍ قَـدِ افْتَضَحُـوا بِأَكْلِهَـا، واصْطَلَحُـوا عَـلَ حُبِّهَـا، ومَـنْ عَشِـقَ شَـيْئاً أَعْشَـى بَصَرَه، وأَمْـرَضَ قَلْبَـه، فَهُـوَ يَنْظُـرُ بِـعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَـةٍ، ويَسْـمَعُ بِـأُذُنٍ غَيْرِ سَـمِيعَةٍ.... لَا يَنْزَجِـرُ مِـنَ اللهِ بِزَاجِـرٍ، ولَا يَتَّعِـظُ مِنْـه بِوَاعِـظٍ»[٧٦].

وصنـف ثالـث هـم أهـل التقـوى وأهـل الـعبر، فمـن خطبـة لـه (عليـه السـلام) في وصـف المتّقين؛ إذ قـال لـه «همـام»، صـف لي المتـقين، فخطـب الإمـام خطبـة بليغـة، وحينما انتهـى مـن وصفهـم، فَصَعِـقَ هَمَّـامٌ صَعْقَـةً كَانَـتْ نَفْسُـه فِيهَـا، فَقَـالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِـنِينَ (عليـه السـلام): «أَمَـا واللهِ لَقَـدْ كُنْـتُ أَخَافُهَـا عَلَيْـه، ثُـمَّ قَـالَ أَهَكَـذَا تَصْنَـعُ الْمَوَاعِـظُ الْبَالِغَـةُ بِأَهْلِهَـا»[٧٧].

ومـن هنـا نعـرف أثـر الموعظـة في أصحـاب العقـول والقلـوب النـيّرة، يقـول سـبحانه لنبيّـه الأكـرم: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَـا عَلَيْـكَ الْقُرْآنَ لِتَشْـقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَـنْ يَخْشَـى﴾[٧٨]، فهـذه تذكـرة وعظـة لمـن يخشـى الله، وأمَّـا القاسـية قلوبهـم، فلا يزيدهـم ذلـك إلّا بُعـدًا، قـال تعـالى: ﴿أَلَمْ يَـأْنِ لِلَّذِيـنَ آمَنُـوا أَنْ تَخْشَـعَ قُلُوبُهُـمْ

لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٧٩].

ومن شواهد النصح، قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٨٠].

يقول الإمام علي (عليه السلام): «واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، والْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ والْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، ومَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْه بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى... أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ، فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[٨١].

لذا يحثنا الإمام (عليه السلام) على قراءة القرآن؛ كونه ناصحًا للعباد، وما قام منه أحد إلّا ازدادت بصيرته، وكشفت الغشاوة عن قلبه.

وهكذا صفة الإنسان الناصح، فهو لا يغش، ولا يضل، ولا يكذب، يقول الإمام علي (عليه السلام): «مَا كَذَبْتُ ولَا كُذِّبْتُ ولَا ضَلَلْتُ ولَا ضُلَّ بِي»[٨٢].

ومن الإنسانية أن يكون الإنسان ناصحًا لعامة المسلمين مشفقًا عليهم، يرشدهم إلى ما هو أصلح وأنصح لهم.

وإن منزلة الناصح أعظم منزلة عند الله عن سائر الخلق، يقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «إِنّ أعظَمَ النّاسِ مَنزِلَةً عِندَ اللهِ يَومَ القِيامَةِ أمشاهُم في أرضِهِ بالنَّصيحَةِ لِخَلقِهِ»[٨٣].

وإنَّ معصية الناصح سواء أكان الناصح كتابًا منزلًا أم عالمًا مجرّبًا هو ما يورث الحسرة، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَإِن مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ، تُورِثُ الْحَسْرَةَ وتُعْقِبُ النَّدَامَةَ»[٨٤].

فمن هنا نعرف أهمية العظة

والنصيحة في بناء الإنسان خلقيًّا ودينيًّا.

المطلب الثاني: (القرآن شفاء الصدور).

القرآن نور الله في أرضه وسببٌ لهداية خلقه، جعله سبحانه شفاء الصدور وعللَ النفوس، إذ فيه شفاء من جميع الأمراض الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٨٥).

قال الإمام علي (عليه السلام) في حق القرآن: «وشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُه... وأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وغِيطَانُه... ودَوَاءً لَيْسَ بَعْدَه دَاءٌ»(٨٦). وعنه (عليه السّلام): «خَيرُ الدَّواءِ القُرآنُ»(٨٧).

روي: (شكى رجل إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) وجعًا في صدره، فقال: استشفِ بالقرآن؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾(٨٨).

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ»(٨٩).

وما احترز أحدٌ بمثله، فهو حرز من وساوس الريب، ومن نفثات إبليس وجنوده، الذين ينفثون في الصدور، قال أبو عبد الله (عليه السلام) في حق القرآن: «شِفَاءٌ مِنْ أَمْرَاضِ الخَوَاطِرِ وَمُشْتَبِهَاتِ الأُمُورِ»(٩٠).

وفي القرآن شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق وغيرها من الرذائل النفسية الأخرى، فعنه (عليه السّلام) أنه قال: «فَاسْتَشْفُوه مِنْ أَدْوَائِكُمْ، واسْتَعِينُوا بِه عَلَى لأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيه شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وهُوَ الْكُفْرُ والنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلَالُ...»(٩١).

(وقد أكّدت البحوث الطبّية الحديثة أنَّ الطبَّ الروحاني من أهمِّ الأسباب المؤدّية إلى تخفيف الأمراض النفسية المستعصية، وهي كثيرة الشيوع في زماننا هذا، ولا ريب أنَّ القرآن الكريم والدعاء يقفان على رأس مفردات الطبّ الروحاني والعلاج النفساني، لما

لهما من الأثر البالغ في نفوس المؤمنين المعتقدين)[٩٢].

وقد تتصدَّأ القلوب بسبب الذنوب المتراكمة، وقد حكى سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز، بقوله: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٩٣]، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وفِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً خَرَجَ فِي النُّكْتَةِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ وإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتَّى يُغَطِّيَ الْبَيَاضَ فَإِذَا غَطَّى الْبَيَاضَ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُه إِلَى خَيْرٍ أَبَداً وهُوَ قَوْلُ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٩٤]».

١٤٠ وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٩٥].

ولكي تعود القلوب إلى صفائها وتنجلي ظلمات القلب لا بد من شفيع نستشفع به عند الله كي نسترجع نقاء القلب، وخير شفيع لنا عند الله هو القرآن، فما غيره يجلي القلب، يقول الإمام علي (عليه السلام): «وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ»[٩٦].

وقال (عليه السام): «إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ»[٩٧].

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[٩٨].

ولأنَّ آل البيت (عليهم السلام) قرنوا بكتاب الله، فقد صار ذكرهم شفاء لهذه الأمراض أيضًا، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ذِكْرُنا أهلَ البَيتِ شِفاءٌ مِنَ الوَعكِ وَالأسقامِ وَوَسواسَ الرَّيبِ»[٩٩].

فمن أراد أن يطهر سريرته من هذه العلل النفسانية يجب أن يتعلم القرآن

ويتبعه، بوصفه دواء هذه العلل، وقد بيَّن الإمام (عليه السلام) ذلك في الكثير من خطبه وحكمه ووصاياه.

المطلب الثالث- القرآن عصمة للمعتصم:

فإن الغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب السماوية ليصل الإنسان إلى أعلى مراتب الرُّقي الديني والخلقي، فكتاب الله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[100]، وبما أنه مصون من الزلل، فهو معصوم، وفي ذلك يقول الإمام علي (عليه السلام): «وعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ الله فَإِنَّه الْحَبْلُ الْمَتِينُ والنُّورُ الْمُبِينُ، والشِّفَاءُ النَّافِعُ والرِّيُّ النَّاقِعُ، والْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ والنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ ولَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ.. مَنْ قَالَ بِه صَدَقَ ومَنْ عَمِلَ بِه سَبَقَ»[101].

فقوله (عليه السلام): «فَإِنَّه الْحَبْلُ الْمَتِينُ»، فالقرآنُ حبلُ الله الممدود من السماء إلى الأرض، وهو الصراط الذي لا يميل بصاحبه، بل طريقه واضح، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾[102]، ومعنى اعتصموا: أي تمسَّكوا.

ومن اتبع هذا النهج وسلك مسلكه وولج موالجه ضمن النجاة وأمن الزلل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[103].

فقوله (عليه السلام): «والنُّورُ الْمُبِينُ».

توضحه الآية المباركة، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[104].

وقوله (عليه السلام): «والْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ».

وكونه معصومًا، فهو عصمة للمتمسك به، والسائر على خطاه، وفي ذلك يقول الإمام (عليه السلام): «لا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ الله» والذي لا

يخالف بصاحبه عن الله، فهو معصوم.

وآل محمد (صلى الله عليه وآله) هم أكثر الخلق اتبعوا هذا النهج القويم، لذا صاروا الثقل الثاني، فهم أهل العصمة، وذلك لعدم مفارقتهم كتاب الله، فمن خطبة له (عليه السلام): «وكَيْفَ تَعْمَهُونَ وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وأَعْلَامُ الدِّينِ وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ»[١٠٥].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «إِنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى طَهَّرَنَا وعَصَمَنَا وجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِه وحُجَّتَه فِي أَرْضِه وجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ، وجَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنَا لَا نُفَارِقُه ولَا يُفَارِقُنَا»[١٠٦].

لذا أمرنا رسول الله أن نتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة لنصل إلى أعلى مراتب الإنسانية، يقول الإمام علي (عليه السلام) في وصف آل البيت: «فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»[١٠٧].

قال العلّامة المجلسي: (المراد بكرائم القرآن: مدائحهم التي ذكرها الله فيه)[١٠٨].

فمن كرائم صفاتهم الصدق والأمانة والبصيرة والكرم والحكمة وغيرها، فكل هذه الصفات من صفات الإنسان الكامل.

وقد قال تعالى في محكم كتابه العزيز مادحاً نبيَّه الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١٠٩]، حيث اجتمعت فيه جميع الصفات الخلقية العظيمة حتى نال هذه المديح منه تعالى.

وقال تعالى بفضل النبي وعترته: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١١٠]، فسبحانه طهّر نبيه وأهل بيته من جميع

الفواحش ما ظهر منها وما بطن، لذا أمرنا باتباعهم بوصفهم أهل العصمة والطهارة.

ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها المتقين «قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِه، فَهُوَ قَائِدُه وإِمَامُه يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُه، ويَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُه»(١١١).

خطب النبي (صلّى اللهَّ عليه وآله) الناس بمنى، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ مَا جَاءَكُم عَنِّي يُوَافِقُ كِتَابَ الله فَأَنَا قُلْتُهُ وَمَا جَاءَكُم يُخَالِفُ كِتَابَ الله فَلَم أَقُلْهُ»(١١٢).

فالمتقون هم من جعلوا القرآن قائدهم وإمامهم، ومن كان إمامه معصومًا عُصِم من الزلل، يقول الشارح البحراني: (استعار وصفى الحلول والنزول الّذين هما من صفات المسافر، وكنّى بحلوله حيث حلّ عن لزوم أثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره إلى الله بحيث لا ينفكّ عنه وجودا وعدما)(١١٣).

فالقرآن كتاب حضاري يسعى إلى تطوير الإنسان بكل مجالات الحياة، فمن تبعه سعد في الدنيا والآخرة، والإمام علي (عليه السلام) هو أكثر إنسان عمل بالكتاب، بل هو الكتاب الناطق، لذا سبق الأولين والآخرين بفضله وعلمه ومناقبه، ونستثني سيد الخلق محمدًا (صلى الله عليه وآله)، فهو أول السابقين بالعمل بكتاب الله.

نتائج البحث

توصل البحث إلى نتائج عدة، فكان من أبرزها:

أولًا: أنَّ العلوم الدينية والمعارف الإنسانية مرجعها الكتاب والعترة، لذا حينما نأخذ هذه العلوم عن سيد الوصيّين، فإنَّا أخذنا العلم من مَعينه ونميره، ممَّن قدَّمه اللهُ ورسوله وأمرنا بالرجوع إليه.

ثانيًا: اتضح لنا عبر كلام أمير المؤمنين

(عليه السلام) عمق العلاقة بينه والقرآن الكريم، وتجلّى أثرها بوضوح في ربط المخاطب بالقرآن الكريم، فعليٌّ هو القرآن الناطق، وهو تلميذ مدرسة القرآن.

ثالثًا: فرض الله العبادات ليربّينا دينيًّا ونفسيًّا؛ لأنَّ الصلاة والصيام والزكاة كلها فرائض تقينا من الكِبر والنفاق والحسد والعصبية، وهذه الرذائل هي داء عظيم لا يندفع إلّا بالعبادات والطاعات، وهذه الطاعات والعبادات جُنة ووقاية من النار.

رابعًا: أنَّ المعارف الدينية والإنسانية لا ينفكان، فكلاهما يربّيان الإنسان ويسيران به إلى الصراط المستقيم، وقد بيَّن الإمام (عليه السلام) ذلك فيما تقدَّم ذكره.

خامسًا: أنَّ الله سبحانه أكمل الدِّين وأتمَّ النعمة، وبهذا لم يترك لعباده أي حجة، فما أُشكل على الناس يجدونه في كتاب الله، وقد بيَّنه النبي والحجج الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم)، فكلُّ شيء واضح ومفصل، ولولا ذلك لم يكن لله على خلقه حجة يوم القيامة.

سادسًا: أول من أصَّل المعارف القرآنية بأمر من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هو الإمام علي (عليه السلام)، فما نزلت على النبي سورة أو آية إلّا وكان يخبره عن سبب نزولها، وفيمن نزلت، ومتى نزلت، في سهل أو جبل، بليل نزلت أم نهار، وكان (صلّى الله عليه وآله) يعلّمه تفسيرها وتأويلها، وناسخها ومنسوخها، حتى صار لعلي (عليه السلام) مصحف، فيه جميع أسباب النزول وما تحويه هذه الآيات من علوم ومعارف ظاهرة وباطنة، فكان الإمام يعلم ظاهر القرآن وباطنه، فهو وارث علم النبيين.

سابعًا: نهج البلاغة كتاب يحوي الكثير من المعارف الدينية والتربوية وغيرها من المعارف الأخرى، وهو

مصدر لجميع هذه العلوم بعد كتاب الله وسنة النبي.

ثامنًا: القرآن فيه شفاء من الأمراض الجسدية والنفسية، وهو عاصم في نفسه وعاصم لغيره، وهذا ما أكَّده الإمام (عليه السلام).

الهوامش

(١) نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، الخطبة: ١٨/ ص٦١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة: ٣١٣/ ٥٣١.

(٣) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٩٨/ ص ٣١٦.

(٤) البرهان، السيد هاشم البحراني: ١/ ٢٠.

(٥) المائدة، من الآية: ٣.

(٦) النحل، من الآية: ٨٩.

(٧) نهج البلاغ من الخطبة: ٨٦/ ١١٧.

(٨) نهج البلاغة من الخطبة: ١/ ٤٤.

(٩) نهج البلاغة من الكتاب: ٦٩/ ٤٥٩.

(١٠) نهج البلاغة من الخطبة: ١٦٧/ ٢٤٢.

(١١) الأعراف، الآية: ٣٣.

(١٢) نهج البلاغة من الخطبة: ١٦٧/ ٢٤٢.

(١٣) نهج البلاغة من الوصية: ٣١/ ٣٩٤.

(١٤) نهج البلاغة من الخطبة: ١١٠/ ١٦٤.

(١٥) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٨٠/ ٢٥٨.

(١٦) النساء، الآية: ٢٣.

(١٧) نهج البلاغة، من الخطبة: ٩١/ ١٣٣.

(١٨) ومن أراد التفصيل فليراجع، بحار الأنوار: ١١/ ٢١٨، الباب الخامس: (تزويج آدم حواء وكيفية بدء النسل منهما).

(١٩) البقرة، من الآية: ٢٧٥.

(٢٠) آل عمران، من الآية: ١٣٠.

(٢١) النساء، من الآية: ٢٩.

(٢٢) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٥١/ ٢١١.

(٢٣) نهج البلاغة، الحكمة: ١٢٣/ ٤٩٣.

(٢٤) مجلة المبين، العدد: ٢٢، سنة: ٢٠٢٥، ص ٢٦٢.

(٢٥) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٦٧/ ٢٤٢.

(٢٦) نهج البلاغة، من الخطبة: ١/ ٤٥.

(٢٧) المزمل، من الآية: ٢٠.

(٢٨) نهج البلاغة، من الحكمة: ٢٥٢/ ٥١٢.

(٢٩) الكافي، الكليني: ٢/ ١٢٣.

(٣٠) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٩٢/ ٢٩٤.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) الصحاح، الجوهري: ٣/ ١٠٤٣، مادة: «رخص».

(٣٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٦٦.

(٣٤) نهج البلاغة، من الخطبة: ١/ ٤٤.

(٣٥) البقرة، الآية: ١٧٣.

(٣٦) المائدة، من الآية: ٣.

(٣٧) نهج البلاغة، من الكتاب: ٦٠/ ٤٥٠.

(٣٨) المائدة، الآية: ٦.

(٣٩) نهج البلاغة، من الخطبة: ٩١/ ١٢٥.

(٤٠) معارج نهج البلاغة، البيهقي: ٧٣.

(٤١) محمد، من الآية: ١٩.

(٤٢) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ٢/ ١٨١.

(٤٣) نهج البلاغة، من الخطبة: ١/ ٤٤.

(٤٤) البقرة، من الآية: ١٧٣.

(٤٥) الكافي: ٣/ ٤٣٨.

(٤٦) آل عمران، الآية: ٧.

(٤٧) نهج البلاغة، من الخطبة: ١/ ٤٥.

(٤٨) آل عمران، من الآية: ٧.

(٤٩) تفسير الأمثل: ٢/ ٣٩٧ـ٣٩٨.

(٥٠) محمد، من الآية: ٢٠.

(٥١) الإسراء، الآية: ٢٢.

(٥٢) التحريم، الآية: ٨.

(٥٣) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٨٣/ ٢٦٥.

(٥٤) القمر، الآية: ٤.

(٥٥) آل عمران، من الآية: ٧.

(٥٦) الأعلى، الآية: ١.

(٥٧) البرهان، السيد هاشم البحراني: ١/ ١٩.

(٥٨) آل عمران، من الآية: ٧.

(٥٩) نهج البلاغة، من الخطبة: ٥٠/ ٨٨.

(٦٠) الفتح، من الآية: ١٠.

(٦١) الأنفال، من الآية: ١٧.

(٦٢) الأعراف، من الآية: ٥٤.

(٦٣) ينظر: شرح أصول الكافي: ٩/ ٢٠.

(٦٤) البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٦٥) الأعراف، من الآية: ٥٤.

(٦٦) الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ٣٧٣.

(٦٧) الكافي: ج١/ ١٢٨.

(٦٨) الشورى، من الآية: ١١.

(٦٩) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٨٢/ ٢٦٢.

(٧٠) يونس، من الآية: ٥٧.

(٧١) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٧٦/ ٢٥٥.

(٧٢) النحل، من الآية: ١٢٥.

(٧٣) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٠٥/ ١٥٢.

(٧٤) نهج البلاغة، من الوصية: ٣١/ ٤٠٤.

(٧٥) الفرقان الآية: ٤٤.

(٧٦) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٠٩/ ١٦٠.

(٧٧) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٩٣/ ٣٠٦.

(٧٨) طه، الآية: ١ – ٣.

(٧٩) الحديد، الآية: ١٦.

(٨٠) الأعراف، الآية: ٦٨.

(٨١) نهج البلاغة من الخطبة: ١٧٦/ ٢٥٢.

(٨٢) نهج البلاغة، الحكمة: ١٨٥/ ٥٠٢.

(٨٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦/ ٣٨٢.

(٨٤) نهج البلاغة، من الخطبة: ٣٥/ ٨٠.

(٨٥) الإسراء، من الآية: ٨٢.

(٨٦) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٩٨/ ٣١٦.

(٨٧) كنز العمال، المتقي الهندي: ١٠/ ٩.

(٨٨) يونس، من الآية: ٥٧.

(٨٩) نهج البلاغة، من الخطبة: ١١٠/ ١٦٤.

(٩٠) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ١/ ٥١٥.

(٩١) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٧٦/ ٢٥٢.

(٩٢) منافع القرآن العظيم، المنسوب جعفر بن محمد الصادق: ٩.

(٩٣) المطففين، من الآية: ١٤.

(٩٤) الكافي: ٢/ ٢٧٣.

(٩٥) الحج، من الآية: ٤٦.

(٩٦) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٧٦.

(٩٧) نهج البلاغة، من الخطبة: ٢٢٢/ ٣٤٢.

(٩٨) يونس، من الآية: ٥٧.

(٩٩) المحاسن: ١/ ٦٢.

(١٠٠) فصلت، من الآية: ٤٢.

(١٠١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦/ ٢٢٠.

(١٠٢) آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(١٠٣) الأنعام، من الآية: ١٥٣.

(١٠٤) إبراهيم، الآية: ١.

(١٠٥) نهج البلاغة، من الخطبة: ٨٧/ ١٢٠.

(١٠٦) الكافي، الكليني: ١/ ١٩١.

(١٠٧) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٥٤/ ٢١٥.

(١٠٨) بحار الأنوار: ٢٩/ ٦٠٣.

(١٠٩) القلم، الآية: ٤.

(١١٠) الأحزاب، الآية: ٣٣.

(١١١) نهج البلاغة، من الخطبة: ٨٧/ ١١٩.

(١١٢) المحاسن: ١/ ٢٢١.

(١١٣) شرح نهج البلاغة، البحراني: ٢/ ٢٩٦.

المصادر:

القرآن الكريم:

١- الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق: صححه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران - إيران.

٢- المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، الوفاة: ٢٧٤، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع: ١٣٧٠- ١٣٣٠ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٣- الصحاح: الجوهري، الوفاة: ٣٩٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧- ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت- لبنان.

٤- الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، الوفاة: ٥٤٨، تحقيق: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، سنة الطبع: ١٣٨٦- ١٩٦٦ م.

٥- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني، الوفاة: ١١٠٧، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية/ مؤسسة البعثة - قم.

٦- التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني، الوفاة: ١٠٩١، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨- ١٣٧٦ ش، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، معاصر.

٨- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، الوفاة: ١١١١، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣- ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان.

٩- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، الوفاة: ١٤٠٠، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢، المطبعة: مطبعة

ستار، الناشر: انتشارات كلمة الحق.
١٠- كنز العمال: المتقي الهندي، الوفاة: ٩٧٥، تحقيق: ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني/ تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت - لبنان.
١١- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، الوفاة: ٣٨١، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٢- معارج نهج البلاغة: علي بن زيد البيهقي، الوفاة: ٥٦٥، تحقيق: محمّد تقي دانش پژوه/ إشراف: السيد محمود المرعشي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٩، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- قم المقدسة.
١٣- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، الوفاة: ١٣٢٤، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، الطبعة: الرابعة، المطبعة: مطبعة الإسلامية بطهران.
١٤- منافع القرآن العظيم المنسوب إلى الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الثالثة، تحقيق علي موسى الكعبي، الأمانة العامة للعتبة الحسينية دار القرآن.
١٥- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) (تحقيق صالح)، الوفاة: ١٩٨٦م، تحقيق: ما أختاره وجمعه الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٧- ١٩٦٧ م.

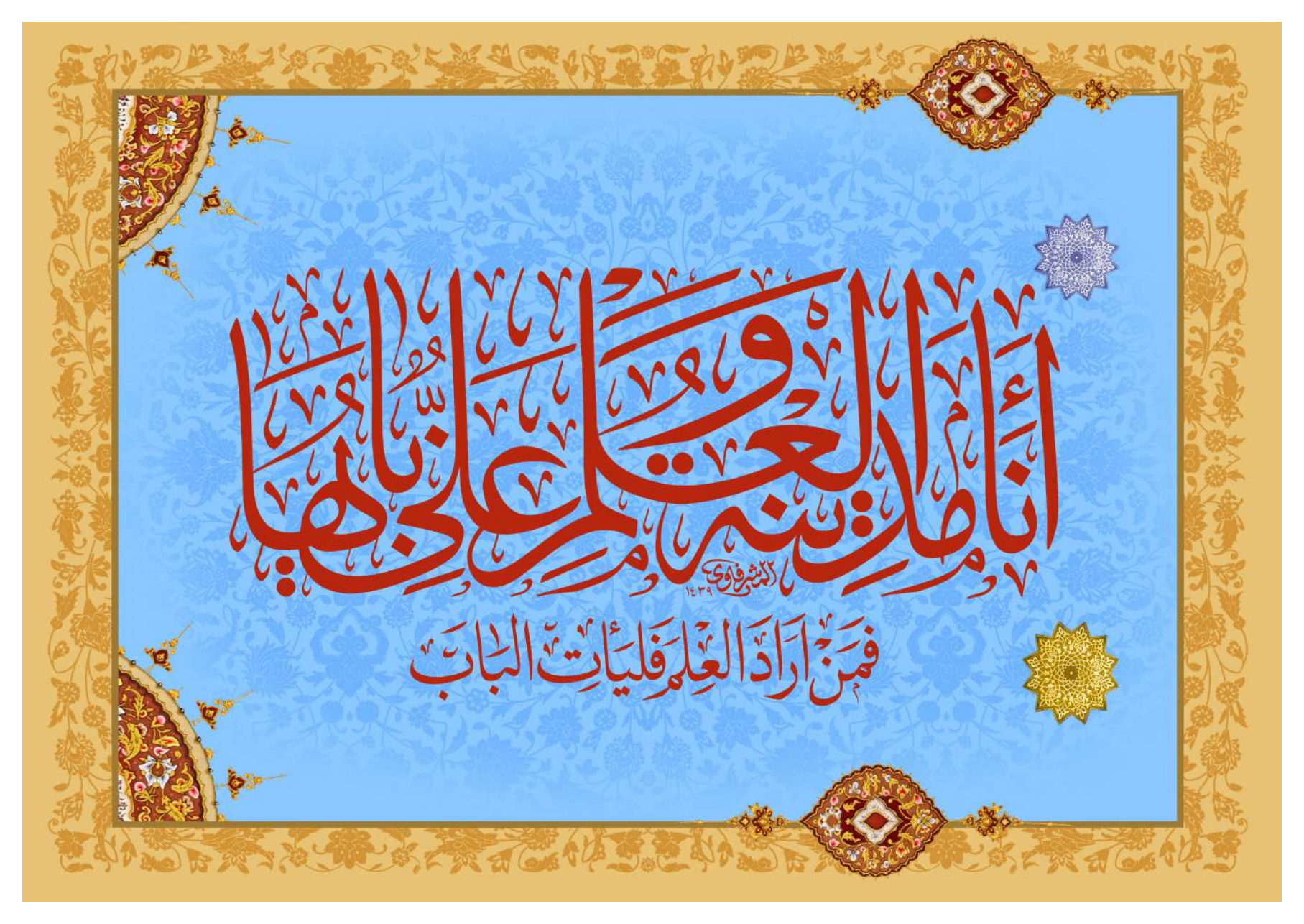
أنا مدينة العلم وعلي بابها
الشرفاوي ١٤٣٩
فمن أراد العلم فليأت الباب

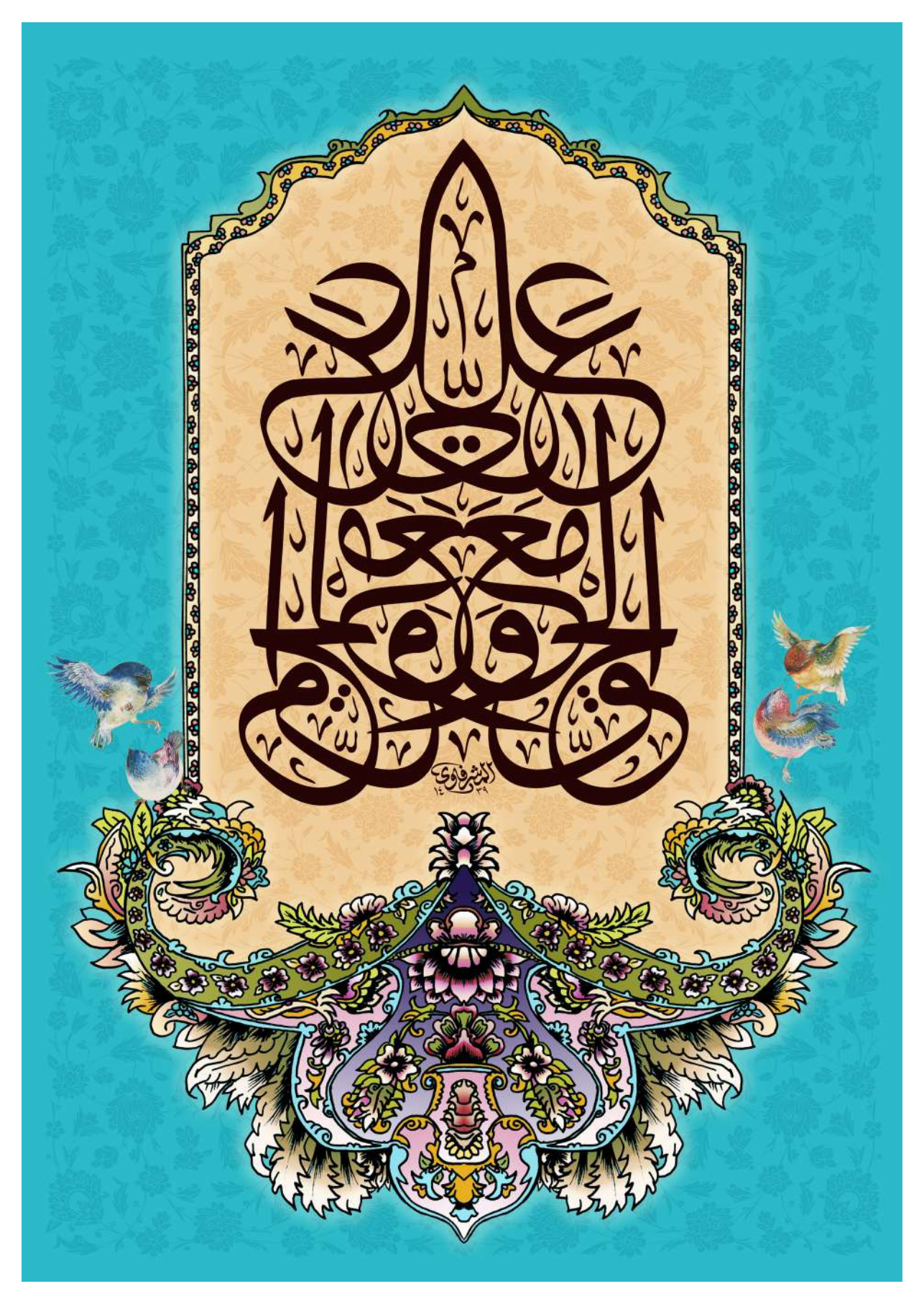

التوجيهات التداولية في نهج البلاغة (خطب السلطات المجتمعية اختيارًا)

Feigned Ignorance in the Rhetoric of Imam Ali Ibn Abi Talib's. Speeches in Light of Modern Linguistics

أ. م. د. خالد إسماعيل صاحب

جامعة سومر – كلية التربية الأساسية

Asst. Prof. Dr. Jawad Hadi Hussein Al-Fadhli

Sumer University - College of Basic Education

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012404

الملخص

الخطاب التوجيهي شكل من أشكال الخطاب، يعمل المتكلّم (فردًا كان أو جماعةً) بواسطته على مواصلة تملك السلطة في الصراع اللغوي، ضد أفراد أو جماعات أخرى، من أجل إحداث التأثير، بوصفه خطابًا مرتبطًا على الدوام بالتأثير في المخاطب.

وقد كان الخطاب التوجيهي لدى أهل البيت (عليهم السلام) - منذ ظهور الرسالة النبويَّة وبعد وفاة الرسول - المرتكز الأساس في خطابهم المتمثل بـ(الخطاب الديني، والخطاب السياسي). وهذا يدلُّ على وحدة الهدف في المشروع الرسالي النبوي، إذ يُعَدُّ الأئمة الأطهار المكمّل الشرعي لهذه الرسالة المقدسَّة. ومن ثَمَّ، فقد كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أول السلسلة الإمامية التي نشأت وترعرعت في كنف التوجيه والإرشاد النبوي، إذ شهدت حياته السياسية أحداثًا انقسمت على مراحل: الأولى تبدأ حياته مع النبي قبل البعثة، والثانية تبدأ في عهد النبوة، والثالثة تبدأ بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله). هذه المراحل تخلّلها إرثٌ خطابي توجيهي كبير، دفع بنا إلى دراسة مرحلته الأخيرة، ولاسيما بعد تولّيه الحكم الإسلامي. وذلك في إطار نظرية لسانية في حقل التوجيهات التداولية، التي تعمل على فهم الخطاب في الاستعمال ضمن المدلول التداولي للخطاب، وهي إحدى استراتيجيات الخطاب التي يتوخاها المتكلّم من أجل التأثير في المخاطب بوصفه خطابًا مخططًا له، وتنفذه آليات لغوية. كل هذا تتحكم به في خطاب الإمام معايير أثرت في توجيهه -على سبيل المثال- بوصفه السلطة الدينية، والسلطة التشريعية باتجاه سلطة تنفيذية. وقد اعتمدنا بناء البحث على تمهيد وسم بـ(الاستراتيجية التداولية التوجيهية - مفهوم وتأصيل)، أعقبه محوران؛ يبحث الأول في: الخطاب التوجيهي بوصفه سلطة تشريعية، فيما ناقش المحور الثاني: الخطاب التوجيهي بوصفه سلطة تنفيذية، ومن ثم خاتمة ضمّت أهم نتائج البحث أعقبتها قائمة بمضان البحث.

الكلمات المفتاحية: البراجماتية، التوجيهات البراجماتية، نهج البلاغة، السلطات المجتمعية.

Abstract

Directive speech is a form of discourse through which the speaker - Whether an individual or a group - seeks to maintain authority and power within a linguistic struggle against other individuals or groups, aiming to bring about change. It is a type of speech inherently connected with influencing the addresse. The life of Imam Ali (Pb) witnessed several distinct stages, each marked by significant events. These stages encompassed a rich heritage of directive discourse that motivates us to study his final stage, particularly after assuming the Islamic leadership, within the framework of linguistic theory in the field of pragmatic directives.

Keywords: Pragmatics, Pragmatic Directives, Nahj al-Balagh, Community Authorities.

التمهيد

التداولية التوجيهية- مفهوم وتأصيل

التوجيهية إحدى أنواع الاستراتيجيات التخاطبية، تتضافر مع طرف مقابل يعرف بالاستراتيجية التضامنية، التي بدورها تهتم بالتعامل بين المتخاطبين، والتوجيهية تضع الأولوية للتواصل بينهما. فالتوجيه هو ((نصائح وأوامر ونواهٍ يفترض أنَّها لصالح المخاطب أو المرسل إليه))[1].

ومن هنا كان بناء تعريف التوجيهيات حديثًا بأنَّها ((مجموع الخطط أو السبل التي يتبعها المخاطِب من أجل تبليغ قصده، وتوجيه المخاطَب إلى الأخذ به،))[2]. فالمقصود بالخطط والسبل هي الوسائل والأساليب اللغوية، فهو نشاط لغوي بحد ذاته محددًا بمقتضيات السياق المحيط في بيئة إنشاء النص. فكان توظيف الأمر والنهي والاستفهام والتنبيه والتحذير من أهم مصاديق التوجيه.

وإذا كان لابد من مراجعة هذا المفهوم -التوجيهية التداولية- في الإرث اللغوي العربي القديم، فإنَّنا نجد إشارات عامة له ضمن باب مراعاة المخاطب. فقد تبدأ محصلته من الدراسات النحوية، فهذه الأساليب (الأمر والنهي والاستفهام والتنبيه والتحذير) متعلقة بالمخاطَب. فعلى سبيل المثال نجد تعليل سيبويه على قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[3]، إذ علّل فائدته تحقيق الخبر وتوكيده للسامع بمعنى توجيهي[4].

وكان المفهوم التوجيهي لهذه الأساليب حاضرا لدى البلاغيين أيضًا، فقد عمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) لمعنى التوجيه بفعل الأمر في كلامه عن قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ...﴾[5]، أي أنَّه أمرها بما هو من شأنها، وأمرها كذلك بما

يخصها، فالفعل (غيض) دلالة على أمر آمر، وقدرة قادر[٦].

أمَّا في المنظور الغربي، فقد استقرَّت مفهومًا وتطبيقًا، يقول جورج يول: ((هي الخطاب الموجّه إلى المرسل إليه، لحمله على القيام بفعل أو الامتناع عنه))[٧].

فاللغة تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه، من أجل ذلك فإنها تمتلك قوة المخالفة في الأمر والنصيحة والرجاء، وهذه المقاصد هي ما يبتغي المرسل إنجازه[٨].

المحور الأول

الخطاب التوجيهي بوصفه سلطة تشريعية

يمكن أن ننبّه إلى أنَّ تطبيق هذه النظرية على مجموعة نصوص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من جهة أنَّها تداولية اجتماعية تهتم بدراسة الاستعمال اللغوي المستنبط من السياق الاجتماعي، وكذلك بوصفها تداولية لغوية تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية. فكانت التوجيهات إحدى تقسيمات الفعل الإنجازي الذي يُراد به الحدث الذي يقصده المتكلّم، كالأمر أو النصيحة، أو التحذير، أو الوعيد، تتمثل في توجيه المخاطب لفعل معين[٩].

أوَّلًا: التوجيه أسلوب الأمر

وضع النحويون حدودًا نحوية للأمر، فسيبويه أَفرد بابًا خاصًّا سمّاه باب الأَمر والنهي، جمع فيه الصيغ المختلفة التي يأتي بها هذا الأَسلوب والمعاني التي يُفيدها[١٠]. كقولهم: إنَّ الأمر هو ((طلب إِيجاد الفعل))[١١]، أو ((قول القائل لمن دونه افعل))[١٢]، قال ابنُ منظور (ت ٧١١ هـ): ((الأمر معروف نقيض النهي، أمره به، وأمره... وأمره إيّاه يأمره أمراً فأتمر، أي: قبِل أمره))[١٣].

وقد صنّفه علماء اللغة قديمًا بوصفه قسمًا من أقسام الكلام، وهو من

صميم التوجيهية لدى التداوليين، إذ ليس العملية الأمرية التوجيهية لغوية ألبتة، بل لغوية تداولية. فإنّ من أبرز أهداف الاستراتيجية التوجيهية بشكل عام، هو البعد السلطوي الذي يحكم طبيعة العلاقة بين المتكلّم والمخاطب. ويتضح ممَّا تقدَّم أن يكون المرسل أعلى من المرسل إليه، فالسلطة واللغة قرينتان لا تفترقان ((فحكمه حقيقة في الوجوب عند توفر هذين الشرطين أي الصيغة اللغوية والسلطة))[١٤].

وقد يكون فعل الأمر مقتطعًا من الفعل المضارع، وذلك بزيادة لام الأمر عليه، فصيغة (افعل) تدل على طلب فعل شيء ولكن في زمن المستقبل، و(لتفعل) صيغة تكونت من لام الأمر، و(تفعل) الذي هو للحاضر، فدلّت هذه الصيغة على طلب فعل الشيء في الوقت الحاضر، وهذا ما أكَّده ابن جني (ت ٣٩٢هـ) [١٥].

فكانت مقولات الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) التوجيهية لا تخرج عن هذا الإطار، بل عُدّت في مقدمتها. فمن دلالات الأمر التوجيهية الدعوة للاعتدال في الحكم، فهي صورة البُعد التوجيهي في خطاب الإمام (عليه السلام)، إذ كان هدفه الأول التواصل مع المتلقي في إطار يقع ضمن الاستراتيجية التوجيهية بل هو الهدف الأسمى في جميع توجيهاته. كقوله: «**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ،... فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ**»[١٦]، فربط نتيجة الفعل بالسبب ربطًا وثيقًا، فكان النمط الإيقاعي في الألفاظ واستعمال الفعل اللغوي الصريح من الدرجة الثانية أكثر وقعاً في تأدية المعنى المراد في مراعاة العلاقة العاطفية مع المخاطبين. فبعد أن وجّه الفعل الكلامي انتقل الإمام (عليه السلام) بحالة تبيّن المحتوى القضوي إلى أنَّ نتيجة الأوامر يعرفها ويفسرها

المخاطب.

وهذا التوجيه الأمري ينطلق من حكم مسؤولية الراعي لرعيته، وكأنَّها هنا مسؤولية شخصية أخلاقية دينية محضة، فالمساواة بين الناس بالعدل، قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[17]. وهذا ما نسجله عامة، وهو أنَّ وسائل الاستراتيجية التوجيهية لدى الإمام (عليه السلام) تقريرية مباشرة، لا تحمل في أغلبها قوة إنجازيه غير مباشرة. إذ سعى عِبرَ استعمال الاستراتيجية التوجيهية إلى تبليغ مقصده بصيغ صريحة مباشرة بعيدًا عن استعمال التأويل والبحث عن المعنى المضمر.

ومن أدوات التوجيه التي ((يستعملها المرسل لتوجيه المرسل إليه وفق ما يريده، كالتوجيه بذكر ما تصير إليه الأمور من عواقب حسنة))[18]. فالمحتوى القضوي في بعض نصوصه التوجيهية هو عبارة عن ثنائيات تقابلية، يعمل فيها الشرط والجزاء المقرون بفعل الأمر كقوله (عليه السلام): «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ للنَّاسِ إماماً، فَلْيَبْدَأْ بِتَعْليمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعليمِ غَيْرِهِ؛ وَلْيَكُنْ تَأديبُهُ بِسيرَتِهِ قَبْلَ تأديبِه بِلِسانِهِ؛ وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا احَقُّ بِالاجلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»[19].

ومن الأوامر التوجيهية باستعمال الأمر لمحتوى قطع الظن لدى الحاكم والانتباه إلى اليقين، قول الإمام (عليه السلام): «فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ»[20]. فقد أسبغ على النص معنى مصحوبًا بتوجيه وإرشاد؛ ذلك أنّ ((المضارع المتصل باللام فيه شيء من اللين والتلطف يكاد يقربه من الرجاء والالتماس وبذل

النصيحة))[٢١]. فقد أثرت قضية الظن واليقين في الحكم بين الناس، فأراد بها إقناع المخاطب، فهي غاية صاحب الخطاب بشكل عام، فقد ((يسعى إلى إقناع المرسل إليه، يمارس سلطة عليه، يمكن تسميتها بسلطة الإقناع، وبذلك فالإقناع يجسد السلطة))[٢٢].

أمَّا صيغة التوجيه في الأمر الحقيقي المباشر، فقد قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوصي التزام بعض المبادئ بقوله: «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهَ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ للَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ»[٢٣]. فناسب فعل الأمر (أنصِف) امتداد المعنى الذي أفاده أسلوب الشرط في الجمل اللاحقة، وسارت الجملة التوجيهية بمتوالية حجاجية أبانت معنى عدم إنصاف الناس هو الظلم، والظلم هو عداوة الله، فالفعل (أنصف) حمل قوة إنجازيه تمثّلت في حفظ الوصية والعمل بها، بوصفه أمرًا توجيهيًّا يحتاج إلى المداومة والاستمرارية. فصيغة فعل الأمر هي ذات طبيعة توجيهية مباشرة، أراد الإمام (عليه السلام) إلزام هذه الفئة – الحاكمون- بشكل عام، وهم خاصته، الالتزام بأوامره ونواهيه.

وقد تكرَّرت صياغة الجملة التوجيهية بالأمر المباشر مقترنًا بتكراره، وإن كان بصيغة أخرى، فمن أمثلته دلالات الأمر التوجيهية في محتواه القضوي بالتأكيد على عدالة الحاكم الاقتصادية، فقال الإمام (عليه السلام): «وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلَّاتِ»[٢٤]. فقد استعمل الأمر وسيلة توجيهية مباشرة، ولكن مع اختلاف الأمر، الأول في (أنظر) والثاني

(اصرف)، إذ كانت وسيلته لبلوغ مقصده وغايته من هذا الخطاب. فأمره التوجيهي هنا لا يخلو من حجة دامغة ممثلة بقول الله، فالتوجيهية متداخلة مع الإقناع والتأثير في سلوك المخاطب من منطلق الحجة القوية.

وأيضًا من توجيهاته (عليه السلام) خطابية الأمر التوجيهي في العطف والرحمة بالناس، قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ،... فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ»[٢٥]. فقد شكل الأمر التوجيهي مع تتابع الكلام تناسبًا مقطعيًّا ناسب التأكيد، والحثّ على إقامة العدالة، فكان الأمر واضحًا أراد عن طريقه أن يحثّ المخاطب على الالتزام بتوجيهه لفهم قصده (عليه السلام)، فيؤثر في السامع ويحمله على العمل بمضمونه.

ومن دلالة الأمر التوجيهي الوعظ والإرشاد، كما في قوله (عليه السلام): «وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ»[٢٦]. فجمع في كلامه بين الأضداد، لإفادة معنى عميق مقصود لا يتأتّى من دونها، لأثرهما في تجسيد المعنى، ومن ثَمَّ أردفها بالأمر لاختيار إحداها. وكان أسلوبه (عليه السلام) في جمع الأضداد لأجل معنى حرفي غير مباشر؛ ((لأن وراء كل نص إرادة إنسانية واعية، وغايات مقصودة، وليس ظاهر النص كباطنه))[٢٧]. لا ريب أنَّ فعل الأمر يحمل هنا شحنة إنجازية؛ لأنَّ الأفعال التوجيهية الإنجازية ((تكمن حجاجيتها بقوتها الإنجازية المباشرة، الواجبة التنفيذ، كونه من العناصر اللغوية التي تدل على قوة إلزامية))[٢٨].

وكان لتكرار هذه الأضداد مساحة واسعة في توجيهات الإمام، فمن أمثلته أيضًا قوله (عليه السلام): «**إذا أدَّتِ الرَّعِيَّةُ إلَى الوالي حَقَّهُ، وأدَّى الوالي إلَيها حَقَّها عَزَّ الحَقُّ بَينَهُم، وقامَت مَناهِجُ الدّينِ، وَاعتَدَلَت مَعالِمُ العَدلِ، وجَرَت عَلى أذلالِهَا السُّنَنُ.... فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذلِك، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ**»[٢٩]. فكان لفعل الأمر التوجيهي غير المباشر (عليكم) أثره في نفس السامع، بتناسق إيقاعي هادئ جمع فيه تراتبية جملية، تحمل معاني متسلسلة قريبة من كونها سلّمًا حجاجيًّا، أثّرت في فهم المعنى إيجابًا. وهذه التراتبية في النص تنبئ أنَّ الإمام ذو معرفة ودراية واسعة بأمور وأحوال الرعية، فالخطيب الديني يجب ((أن يكون ملمًّا بالاجتماع والاقتصاد والسياسة والشرائع، ليستطيع أن يصل إلى قلوب السامعين، يربط صلاحهم الديني في كل نواحيه، بصلاح دينهم وقلوبهم))[٣٠].

ثانيًا: النهي

عُرِّف النَّهي لغةً: بأنَّه ((خلافُ الأَمر، نَهاه، يَنْهاه نهياً فانتهى وتناهى، كفَّ... ونَفْسٌ نهاةٌ: منتهية عن الشيء، وتناهوا عن الأَمر والمنكر نهى بَعْضُهم بعضًا))[٣١]. والنهي قرين الأمر في التوجيه، فهو يعد ((بمنزلة من الأمر يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر))[٣٢]، وأيضًا يشترك معه في أنَّ النهي يصدر من مرتبة عليا.

وقد كان خطاب النهي التوجيهي لدى الإمام (عليه السلام) حقيقيًّا؛ أي نهي مباشر لم يخرج لأغراض مجازية أخرى، فهو يريد من المخاطب عدم فعل شيء وتركه، أي أنَّه أراد بذلك الطلب هدفًا معيّنًا يترتّبُ عليه. وبذلك تكون أغراض التوجيه التي يهدف إليها كثيرة تتعدد بتعدد المواقف التي يتمُّ فيها الخطاب، فقد رافق ذلك تعدّد دلالات الطلب لاسيما النهي الذي نحن بصدده، فالأُسلوب واحد

ودلالاته متعددة.

ومن أمثلة دلالته النصح والإرشاد، عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في توجيهه لأحد ولاته، وهو يحمل في محتواه حالة من متابعة الحاكم لولاته بقوله: «فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ»[٣٣]. فالغرض المتضمن هو توجيه المخاطب إلى الانتهاء عن فعل، فأُريد من توجيه الخطاب تثبيت المخاطب على ما هو عليه من الاعتقاد والاحتراز من الانجراف مع الأفعال التي تعد مشبوهة وتخالف أوامر الدِّين والأتباع.

وأيضًا يأتي النهي التوجيهي في باب العلاقة بين الحاكم والمحكوم في موضوعة معرفة نوعية الخطاب بينهما، بقوله (عليه السلام): «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ»[٣٤]. وأيضًا بقوله (عليه السلام): «فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشْوَرَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي»[٣٥]. فالاستراتيجية التوجيهية هنا تنطوي على اختيار الفعل الكلامي، وجعل خاصيته في مخاطب معين، فقد أوضح المعنى هنا، وهو النهي عن القيام بالفعل ثم أردف النهي بالنهي عنه مرة أخرى، فلا يخفى أنَّ المعاني المتقدّمة تدلُّ على بيان شدة العاقبة التي ترتبت على مخالفة النهي، فكأنَّ نتائج الفعل معلومة لدى المخاطب، فكأنَّما عاقبته قوّية شديدة مؤثرة في النفس الإنسانية، فجيء بها مقدّمة على الفعل.

ومن دلالات النهي التوجيهية لدى الإمام (عليه السلام) المهمّة والقريبة من إنجازية الفعل، فمن أمثلته، إذ قال مخاطبًا عبد الله بن عباس حينما

ولّاه البصرة: «فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ»[٣٦]. فهذا النهي فيه من القوة والشدة ما لا يخفى، لا سيَّما أَنَّ الخطاب موجّهٌ إلى أحد أتباعه، فاستراتيجية التوجيه تحمل قوة إنجازية واحدة تحمله على التحذير.

ومثله قوله (عليه السلام): «وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ. وَلْيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ»[٣٧]. خطاب الإمام (عليه السلام) قد اهتم بالمخاطب، فالتوجيه ليس عملًا لغويًّا فحسب، بل هي قوة إنجازية تديرها وتحققها سلطة المتكلّم.

وأيضًا في توجيه الأمانة على أسرار الرعية، قال الإمام (عليه السلام): «فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ. فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ. وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ. وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ. وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ»[٣٨]. وبتأمّل هذا الحرص

في عدم كشف العيوب؛ لأنَّه مؤتمنٌ عليها، حتى إنَّه قد أردف توجيهه بمؤكّد لا يقبل الشك، واعتمده مع النهي لإثبات الحكم الذي يترتب على مخالفتها. فعدم الخوض في ذكر عيوبهم، وترك سرد قبحهم، أو جرح خواطرهم وأحاسيسهم، ممَّا يؤدي إلى الفرقة والتمزّق وكذلك في العمل الجاد والإخلاص وعدم إيذاء الناس ((ليردع نفسه عن محارم الله، ويلبس ثوب الأخلاق الفاضلة، ليبتعد عن سوء الخلق ويتحلّى بالوفاء؛ ويكون أيضًا بعيدًا عن الخيانة، ويلتزم الصدق؛ ليتجنب شرور الكذب، ويعمل في سبيل الخير، لينأى عن مزالق الشر)) (٣٩).

ومن دلالات النهي عنده (عليه السلام) توجيهه في تعزيز العدالة، والابتعاد عن الظلم، إذ قال: «وَاقْدَمُوا عَلَى اللهَّ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ»(٤٠). فأسلوب النهي في هذا الموضع قصد به صفة أخلاقية من خلال الحفاظ على تركيبة الحكم أوّلًا، والحفاظ على الترابط الديني ثانيًا. وتأتي أهمية هذا التوجيه؛ لِمَا في التوجيه من المظاهر، وهو من المواضع التي عنيت بتنظيم الحياة للمجتمع. فقد أكَّدها بأسلوب النهي؛ لِمَا للمنهي عنه من أَهميةٍ بالغةٍ يُراد الالتزام بها. فالخطبة عامة عند الإمام لا تخلص تمامًا للسياسة ((بل امتزجت فيها السياسية بالإرشاد الديني، بل والاجتماعي أحيانًا)) (٤١).

وأيضًا من دلالات النهي التوجيهية المهمّة، في قول الإمام (عليه السلام) في النهي لبيان قوة القرار: «وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ

فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ»[٤٢]. فقد تصدَّر النهي ليأتي بجملة ثنائيات من الأضداد المنهى عنها، مهّد لها بأسلوب النهي، وكأنَّه استعمل أسلوب السبر والتقسيم، فهي جملة توجيهات بالنهي عن أضداده. وكان يسيرًا على الإمام علي أن يختار مثل هذه الدروس والمفاهيم والعِبَر والحِكَم في التوجيه، ويسلط الأضواء عليها ويعطيها ((شيئًا من الوعظ الذي يدخل قلب الإنسان كما يدخل عقله، حتى نظل نعيش مع الله ومع الآخرة))[٤٣].

المحور الثاني

الخطاب التوجيهي بوصفه سلطة تنفيذية

أوّلًا: أسلوب الاستفهام

الاستفهام أسلوب يقصد به طلب الفهم، قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): ((الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المُستخبر، وهو الاستفهام))[٤٤]. والمحدثون كان اهتمامهم واسعًا بالجملة الاستفهامية، وما تجيء عليه من دلالات وأساليب، قد وقف الدرس اللغوي الحديث على تفسيرها وتصنيفها بحسب مقاصد المتكلّم. فقد وصف بأنَّه من الأساليب التوجيهية الرئيسة، يستعمله المتكلّم ((للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون))[٤٥].

وقد تناولنا في هذا المحور أثر الاستفهام في الخطاب التوجيهي لدى الإمام (عليه السلام)، ولا بدّ من وضع ملحوظة ألا وهي أنَّ جميع توجيهاته الاستفهامية جاءت في ميدان التوجيه لولاته أو عماله في الأمصار، وهو يمكن أن نطلق عليه التوجيه الخاص، والآخر توجيه الرعية، وهذا يمكن أن نسمّيه أيضًا التوجيه العام. إذ كانت توجيهات الإمام (عليه السلام) الاستفهامية من أجل إثبات، أو نفي، فيخرج الاستفهام عن صورته الأصلية

إلى أغراض أخرى، الغرض منها التأثير بالمخاطب، لأجل هذا يُعَدُّ من أهم أدوات استراتيجية التوجيه[٤٦].

قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في إطار توجيهه لأحد عماله: «فَسُبْحَانَ اللهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ، أَوَمَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ؟! أَيُّهَا الْمَعْدُودُ... كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وطَعَاماً، وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وتَشْرَبُ حَرَاماً، وتَبْتَاعُ الإِمَاءَ، وتَنْكِحُ النِّسَاءَ»[٤٧].

فالنصُّ الخطابي تكوّن من لغة مكثفة وتفاعل وتداخلات جملية عملت على الكشف عن ماهية الاستفهام وإدراكها، إذ يُعَدُّ هنا محاولة تشخيص رؤية تجذب الاهتمام صوب المرتكز القصدي في قوله (عليه السلام). ومن هنا يُعَدُّ الاستفهام استنطاقًا واعيًا ليحتفظ بهيمنة التأثر؛ إذ يدفعه إلى واجهة التوجيه لا الجواب، فيرسم لمتلقيه توجهًا مقصودًا.

وأمَّا المتلقي اليوم، فهناك تداعيات تاريخية مرتبطة بأفعال وشخصيات؛ وذلك ليبقى محافظًا على حيوية التأثير، ولذلك يرى أغلب النقاد أنَّ ما ينهض وراء السرد يُعَدُّ مجازًا؟ لكونه ينفتح على الكثير من الإيحائية، ولأنَّ نصوص نهج البلاغة تشكل منعطفًا ولائيًا؛ إذ تُقرن بمنشئها صاحب التبجيل الروحي، فالاستفهام يبحر في العمق التآلفي مع متلقيه.

وليس من غريب القول إنَّ الاستفهامية هي أحد المفاصل الأساسية التي ارتكز عليها التوجيه عند الإمام (عليه السلام)، ومنها الاستفهام التوجيهي الوعظي بقوله: «أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ»[٤٨]. فظاهر كلامه ديني، وهذا كثير في خطبه التي يخطبها؛ ليعرف نواحي التأثير والمواطن التي يطرق حسها من ناحيتها، ((فالخطيب الديني يجب أن يكون ملمًّا بالاجتماع والاقتصاد والسياسة والشرائع؛

ليستطيع أن يصل إلى قلوب السامعين، يربط صلاحهم الديني في كل نواحيه، بصلاح دينهم وقلوبهم))[٤٩]. فكلام الإمام (عليه السلام) صريح في إرشاد المجتمع ووعظه وتوجيهه ((ليتحقق بناء المجتمع المتماسك السليم والقوي الأساس الذي يبتدئ وينتهي علاقته المباشرة مع الله))[٥٠].

في ما تقدَّم من المحاججة نجد تكثيفًا لبعض التساؤلات، إذ يرمي الإمام (عليه السلام) من توظيفه إلى التأثير في المخاطب بحمله على تقرير الحكم وتأكيده. ففي ذلك قيمة حوارية زادها الاستفهام، ولاسيما في جانب المبادلات الكلامية، وهي قيمة تتجلّى في مستوى التداول للوصول إلى حلّ قضية المسألة. والملاحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) قدَّم جملته بافتراضات أجاب عنها سليمان المروزي، ويعرف هذا في المنظور التداولي بالافتراض المسبق الذي يُعد من ضروريات التواصل بين المتخاطبين؛ لأنَّ عدم معرفة المتكلّم بالفرضيات المسبقة تؤدي إلى فشل الاتصال، أو المجادلة، أو رفض مقاصد المتكلّم[٥١].

ومن أمثلة الملفوظ الاستفهامي التوجيهي قول الإمام (عليه السلام): «**وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا**»[٥٢]. فالإمام لا يستفهم لطلب الفهم وإنَّما يسعى لإفهام المخاطب، ولم يفرض نفسه في طريقة الخطاب، بل دمج التضامن بالتوجيه. وكان خطابه التوجيهي بأداة الاستفهام (كيف)، يحملُ غرضًا استفهاميًّا بلاغيًّا، لا يطلب من المخاطب إلّا الإقرار بالإجابة، فهو أسلوب تكمن فيه قوته الإنجازية.

ومن صور الاستفهام التصديقي الرائعة لدى الإمام قوله (عليه السلام): «**أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا**»[٥٣]. فكانت هذه

صورة حجاجية مثالية، فقد صرح بالاستفهام المباشر الذي يحمل معنى التعجب، وهو دعوة المخاطب بالإقرار من دون تدبر في تصحيح مفاهيمه؛ لأنَّ صيغة التوجيه الحجاجي الاستفهامي لها الدور الأكبر في المخاطب، على أنَّها ((نمط ذو أهمية بلاغية رفيعة. إنَّ السؤال يفترض وجود أمر يستند إليه، ويوحي بأنَّ هناك اتفاقًا على وجود هذا الأمر))[٥٤]. ومن ثَمَّ كانت دلالة الاستفهام كامنة في توجيه المخاطب إلى أنَّ أهله هم مجموعة خاصة ومحددة لا يمكن إضافة غيرهم لينزل منزلتهم.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في صفة من يتصدَّى للحكم بين الناس: «وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً... جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً... لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَ إِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ»[٥٥]. فقد وجَّه الإمام متلقي الخطاب وهو السامع الافتراضي إلى مقصده، وإلى المراد إنجازه، فالمعاني التي حملها الاستفهام أفادت المتكلم لأجل توظيفها في الإقناع ما لا تمنحه صيغة أخرى. فكان استفهامه بأسلوب حواري للهمزة التصورية المحذوفة الدور الأكبر فيه، فاستطاع إدارة الخطاب من أجل التأثير في المخاطب بأسلوب استفهامي توجيهي جمع بين النفي والإثبات.

ومن مقولاته الاستفهامية التوجيهية قوله (عليه السلام) في مخاطبة الرعية: «وكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ»[٥٦]. فهو قد اتخذ التساؤل دليلًا على قصدية الإمام في إثارة انتباه المخاطب بخروج الاستفهام إلى التعجب أيضًا؛ من أجل تحقيق فائدة يجنيها المخاطب، وهي فائدة تواصلية. وهذه سمة في كلام الإمام (عليه السلام)، فهو ((يفيض بالرقة والعمق في استعمال الألفاظ، وتوخي الدقة فيها والمواءمة بين كلمها حتى في الحروف التي تختلف بها

الدلالة عند أهل الذوق))[٥٧].

وتكرار الإجابة عنها أيضًا وسيلة لتتبع المسألة بشكل جعل المتلقي يتتبع معه التوالي والتكرار، وبهذا جعل البداية والنهاية متسلسلة متماسكة مع إجاباتها، مرتبطة بالاستفهام والتساؤل؛ ليعلم الإجابة من تسلسل السؤالات.

ثانياً: التحذير

معناه لغة ((هو تخويف شيء من شيء وتبعيده منه))[٥٨]، ويرتبط بالمعنى الاصطلاحي الذي يقصد به: ((تنبيه المخاطب على أمر مكروه يجب الاحتراز منه))[٥٩].

أمَّا في المنظور اللساني الحديث، فقد كان مفهومه قريبًا من معناه لغة واصطلاحًا، ووصف بأنَّه يعطي الخطاب قبولًا عن طريق الحقيقة التي تدل المخاطب على صدق صاحب الخطاب في التوجيه، ومن ثَمَّ يكسبه الثقة في خطابه[٦٠].

وفي خطاب الإمام التوجيهي أساليب عدة استعملها، منها الطريقة المباشرة باستعمال ألفاظ تحذير الرعية المباشرة كقوله (عليه السلام): «**اَلْحَذَرَ اَلْحَذَرَ أَيُّهَا اَلْمُسْتَمِعُ وَاَلْجِدَّ اَلْجِدَّ أَيُّهَا اَلْغَافِلُ**»[٦١]. فتبقى دواعي المتكلّم وظروف النص حاضرة في توجيه الخطاب وتحديده، إذ قد يكون من المناسب التعبير الإنشائي في الخطاب التوجيهي، لِمَا في ذلك التعبير من معانٍ تكون ((أقوى تجديدًا لنشاط السامعين، وأشد تنبيهًا، وأكثر إيقاظًا، وأدعى إلى المطالبة بالمشاركة في القول وفي الحكم، وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره؛ لأنَّ أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب تفصح عنها))[٦٢]. وقد وظفه في كثير توجيهاته التي تحمل محتوى تحذيريًّا كقوله: «**وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ**

الْأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ»[٦٣]، ومثله أيضًا بقوله: «وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ»[٦٤]. وهو أسلوب معلوم ومعروف لدى الإمام (عليه السلام) في جميع خطبه ووصاياه، فيجنح ((إلى الترغيب والترهيب بحِكَمٍ بارعة، استمدَّها من واقع حياة المسلمين، وهكذا يعكس مدى معرفته الدقيقة لأحوالهم))[٦٥]، وكان يسيرًا عليه أن يختار مثل هذه الدروس والمفاهيم والعِبَر والحِكَم من الكلام الجليل، ويسلّط الأضواء عليها لتكون حكمًا توجيهية.

ومنها أيضًا ما يُستعمل بالطريقة غير المباشرة، فقد عمد إلى ألفاظ تفيد دلالتها المعجمية التحذير، والخشية، والإنذار، والخوف، وذلك عن طريق ما يحمله السياق من تراكيب صوتية وصرفية تستدعي المتلقي التوصل للدلالة المبتغاة. منها على سبيل المثال توظيف الخبر لغرض التحذير بمحتوى توجيهي بقوله (عليه السلام): «فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ»[٦٦]. فالصورة اللفظية للجملة الخبرية تضم في ثناياها فكرة معينة واضحة للتحذير، صدرت من الإمام لتصل إلى المخاطب بهدف تحذيره، ومن ثم فهي خاضعة لمناسبة القول، وللعلاقة بينه والمخاطب.

وأيضًا من أمثلته توظيف أسلوب الشرط لغرض التحذير، قال الإمام (عليه السلام): «وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ»[٦٧]. فما يتمتع

به الإمام (عليه السلام) من سلطة روحية له أثر في تحقيق مقاصده التوجيهية، فجعله يحقق التواصل مع مخاطبيه في الخطاب الموجه إليهم. فكل ((النشاطات الإنسانية الإيجابية فيما ينفتح به إنسان على إنسان هو المعروف، وكل النشاطات السلبية فيما يعتدي به إنسان على إنسان هو المنكر)) (٦٨).

وأيضًا من أمثلته التوجيهية توظيف أسلوب التقديم والتأخير، قال الإمام (عليه السلام) مخاطبًا الأشعث بن قيس، وهو عامله على أذربيجان: «وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ وَالسَّلَامُ»(٦٩). فتقديم جزء من الجملة، وهي شبه الجملة (في عنقك)، على خبر فعل الاستدراك (لكن) المشبَّه بالفعل، وأيضًا في تقديم الخبر (في يديك) على المبتدأ (مال) مع جواز تقديمه، لا يكون في نظمهما وتأليفهما عمل غير مقصود، وإنَّما يقتضي غرضًا بلاغيًّا، القصد منه الاهتمام بالمحذر منه، وهذا الغرض الذي دعا إلى تقديم جزء من الجملة هو عينه يدعو إلى تأخير الجزء الآخر، قال سيبويه: ((كأنَّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم))(٧٠). فلا يخفى في توجيهه هذا للراعي برعيته أنَّ في الحياة الدنيا مسؤولية الإنسان في مجالات حياته كافة؛ فالله سبحانه يملك الإنسان، ويملك الأرض التي يعيش فيها الإنسان، والإنسان الذي يعيش في الأرض تقع على نفسه المسؤولية، وعليه أن يخلص من هذه المسؤولية بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله، والذي ((جعل الحكم وسيلة لهداية الناس، وأداة لنشر الثقافة الإسلامية وتعليم

المفاهيم القرآنية))[٧١].

ومن صور التحذير باستعمال التكرار، وله دلالة النهي في بنيته العميقة، قول الإمام (عليه السلام): «فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ،... وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ»[٧٢]. فقد اختار باقة متآلفة من الأحكام بعضها مع بعض، يرغّب الناس في السعي إليها آمراً وحاثًّا على الالتزام بها. فكان تكرار اللفظ بنفسه من دون الركون إلى ضمير الإحالة للدلالة عليه، كما في (الرعية والوالي) لزيادة فائدة التحذير، فكانت فائدة التكرار العظمى التقرير من أجل توكيد التحذير، ومن هنا قيل: إنَّ الكلام إذا تكرَّر تقرَّر، إذ إنَّ حقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به. فاللغويون القدامى أكدوا أنَّ ((جدوى التوكيد بتكرار اللفظ أنَّك إذا كرَّرت فقد قرَّرت المؤكد، وما علق به في نفس السامع، ومكّنته في قلبه وأمطت شبهة، ربما خالجته أو توهمت غفلة، أو ذهابًا عمَّا أنت بصدده فأزلته))[٧٣].

فهو أسلوب ذو مقصد دلالي يكتنز طاقة لغوية تقوم على التباين في استعمال الخصائص اللغوية، بأساليبها المختلفة من حذف أو ذكر أو تقديم أو تأخير أو تكرار أو غير ذلك؛ بسبب اختلاف الخطاب تارة، ومراعاة لحال المتلقي تارة أخرى باعتبار اللغة هي ((الكاشف عن مكنون النفس والعقل، ذلك المكنون الذي يترجم باستدعاء المواقف والظروف إلى واقع حقيقي في صورة أحداث فعلية))[٧٤].

ثالثا: التنبيه

يُعَدُّ التنبيه أسلوبًا قديمًا من حيث الاستعمال، ودراسته مع قدم دراسة اللغة[٧٥]، بل عُدَّ مجيء بعض الأساليب

في خدمة هذا الأسلوب، كالاستفهام والأمر والنهي. قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): ((وقد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم، وذلك قولك: عبد الله اضربه، ابتدأت عبد الله فرفعته بالابتداء، ونبهت المخاطب له لتعرفه باسمه))[٧٦].

ويبدو أنَّ مفهومه في الدراسة اللغوية القديمة قريب جدا من مفهوم الدراسة اللسانية الحديثة، على سبيل المثال في (التعريفات): التنبيه في اللغة: هو الدلالة عمَّا غفل عنه المخاطب[٧٧]، وكذلك في الغرض منه تنبيه المخاطب لئلّا يفوته المقصود بغفلته عنه[٧٨].

إنَّ أحد أغراض التنبيه هو الإعلام، ويعبّر عنه بأنَّه تحصيل العلم وإحداثه عند المخاطب جاهلًا به ليتحقق إحداثه عنده وتحصيله لديه[٧٩]، فمن مصاديق هذا في قول الإمام (عليه السلام): «أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ. فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله)، عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً»[٨٠]. فدلالة التوجيه تحمل محتوى قضويًا في الإعلام على تنوع مستويات الناس، وهذا التنوع هو أساس بناء المجتمع الذي يُعَدُّ الأساس في ((بناء العلاقات الإنسانية بين المسلمين على أساس احترام كرامة الإنسان؛ لأنَّ ذلك هو الذي يخلق عنده الشعور بإنسانيته وصولًا إلى مساهمته في حفظ قيمة تلك العلاقات وتنميتها واستمرارها وحيويتها ودورها الإيجابي في خلق المجتمع الإسلامي الصحيح))[٨١].

ومن الأغراض ما يعرف بالإشعار بالحقوق، ومن أمثلته في قول الإمام (عليه السلام) في التنبيه: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ»[٨٢]. فلم يكن هذا الخطاب بعيدًا عن مفهومه القرآني بوجوب طاعة الراعي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٨٣]. ومن هنا كان السبر والتقسيم في كلام الإمام (عليه السلام) تنبيهًا، لكونه تفعيلًا ومرادًا فيه حمل المخاطب على الالتفات ورفع الغفلة، وقد احتيج فيه إلى المبالغة والتذكير بإيقاع الحقوق بين الراعي والرعية. فالمخاطب هنا يجب أن يضع في مخيلته بأنَّه مأمور في وجوب الطاعة، حتى لا يقال إنَّ عمله في الدنيا حسب الضرورة، وعليه أن يبتعد عن الرأي الذي يتبع هوى نفسه، فإنّه قد يؤدي به إلى الهلاك والضياع، فلا يبغي من أجله الذي وجد. هذه الزيادة إنَّما لجأ إليها الإمام لينبّه المخاطب إذا كان ساهيًا أو غافلًا؛ لأنَّ التنبيه لا بُدَّ له من ثلاثة أطراف: (المنبِّه) بكسر الباء، و(المنبَّه) بفتحها، و(المنبّه عليه)[٨٤].

ومن ثَمَّ فالتنبيه في الكلام سواء أكان للإشعار أم للإعلام أم للإيذان، فهو لا يكون مقصودًا لذاته، بل لتوجيه المخاطب للإصغاء والالتفات إلى ما يأتي بعده من الكلام، فإنَّه يلجأ إليه المتكلّم لتعطف به المخاطب عليك ثم تخبره، أو تأمره، أو تسأله، أو غير ذلك. ولا يخفى أنَّ الهدف الأسمى من هذا التوجيه هو ((ليتحقق بناء المجتمع المتماسك السليم والقوي الأساس الذي يبتدأ وينتهي علاقته المباشرة مع الله))[٨٥].

ففي خطاب الإمام التوجيهي

تنوّعٌ في طرق التنبيه، فمرة يعمد إلى استعمال أداة التفصيل والتنبيه، ومن أمثلته استعمال أداة التنبيه (أمّا)، يفتتح بها الكلام ويبتدئ، لأجل أن ينتبه المخاطب لِمَا يلقى إليه بعدها[٨٦]. ففي سياق حديثه عن وجوب طاعة الرعية؛ لأنَّ عدم الإجابة للوالي الناصح تورث الحسرة والندامة وتسبب الابتلاء، إذ قال (عليه السلام): «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ»[٨٧]. فهذه الأداة (أمّا) جاءت في مقدّمة الكلام؛ لتنبيه الأذهان لما يأتي بعدها من تفصيل، فضلًا عن وظيفتها لتحقيق فائدة معنوية، وهي توكيد مضمون الجملة، لا شك في أنَّ التوجيه بهذا الأسلوب له ((دافع إنساني يرنو إلى تحقيق العدالة وشيوع السعادة والطمأنينة في نفوس البشر))[٨٨].

الخاتمة

أخذت هذه الدراسة الخطاب التوجيهي للإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، الذي يُعَدُّ شكلًا من أشكال الخطاب لديه، فكان الخطاب التوجيهي يركّز على التأثير في المتلقي، بوصفه خطابًا مرتبطًا على الدوام بالتأثير في المخاطب.

وانطلاقًا من تحليل أمثلة مختارة نستنتج ما يأتي:

١. شكّل الخطاب التوجيهي لدى الإمام (عليه السلام) دلالة على وحدة الهدف في المشروع الرسالي النبوي، إذ يُعَدُّ الأئمة الأطهار المكمّل الشرعي لهذه الرسالة المقدّسة.

٢. إنّ من أبرز أهداف الاستراتيجية التوجيهية بشكل عام، هو البعد السلطوي الذي يحكم طبيعة العلاقة بين المتكلّم والمخاطب.

٣. إنَّ هذه الدراسة الموجزة قد رسمت صورة البُعد التوجيهي في خطاب الإمام (عليه السلام)؛ إذ كان هدفه الأول التواصل مع المتلقي في إطار يقع ضمن الاستراتيجية التوجيهية.

٤. كانت وسائل الاستراتيجية التوجيهية لدى الإمام (عليه السلام) تقريرية مباشرة لا تحمل في أغلبها قوة إنجازية غير مباشرة. إذ سعى عبر استعمال الاستراتيجية التوجيهية إلى تبليغ مقصده بصيغ صريحة مباشرة بعيدًا عن استعمال التأويل والبحث عن المعنى المضمر.

٥. نظرًا لِمَا يملكه الإمام (عليه السلام) من سلطة روحية كان له أثر في تحقيق مقاصده التوجيهية، فجعله يحقق التواصل مع مخاطبيه في الخطاب الموجّه إليهم.

٦. كشفت الدراسة أنَّ خطاب الإمام (عليه السلام) قد اهتم بالمخاطب، فالتوجيه ليس عملًا لغويًّا فحسب، بل هو قوة إنجازية تديرها وتحققها سلطة المتكلّم.

٧. كان المحتوى القضوي باستعمال التوجيه واضح المطلب ومحدَّدًا، فكان الأمر، والنهي، والاستفهام، والتنبيه، والتحذير، وهي من العناصر اللغوية، كلّها تُعبّر عن أغراض توجيهية وتعليمية وإصلاحية.

الهوامش:

(١) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المغرب- مكناس، العدد ١٤، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ٥٤٩.

(٢) الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول (صلى الله عليه وآله)، شفيقة طوبال، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد ٣، العدد ٢، ٢٠١٩م، ص ١٧٣.

(٣) الكهف: ١٢.

(٤) الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول (صلى الله عليه وآله)، شفيقة طوبال، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد ٣، العدد ٢، ٢٠١٩م، ص ١٧٣.

(٥) هود: ٤٤.

(٦) دلائل الإعجاز: ٩١- ٩٢.

(٧) التداولية (جورج يول): ٩٠.

(٨) ينظر: استراتيجيات الخطاب (عبد الهادي الشهري) ٣٢٤.

(٩) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٥٥ وما بعدها.

(١٠) ينظر: كتاب سيبويه ١/ ١٣٧.

(١١) البحر المحيط ١/ ١٨١.

(١٢) التعريفات: ٤٠.

(١٣) لسان العرب ٤/ ٢٦- ٢٧.

(١٤) استراتيجيات الخطاب: ٣٤٢.

(١٥) ينظر: الخصائص: ٢/ ٣٠٠.

(١٦) نهج البلاغة: ٣/ ٨٩.

(١٧) المائدة: ٨.

(١٨) استراتيجيات الخطاب: ٣٦٢.

(١٩) نهج البلاغة: ٥/ ٨٧.

(٢٠) نهج البلاغة: ٣/ ٩٨.

(٢١) نحو الفعل (د. أحمد عبد الستار الجواري): ٨٥.

(٢٢) استراتيجيات الخطاب: ٢٤٢.

(٢٣) نهج البلاغة: ٩/ ٣٤.

(٢٤) نهج البلاغة: ١/ ٩٥.

(٢٥) نهج البلاغة: ٦/ ٨٢.

(٢٦) نهج البلاغة: ٣/ ٤٥.

(٢٧) تبسيط التداولية - من أفعال الكلام إلى بلاغة الخطاب السياسي - (بهاء الدين محمد زيد): ٩٦.

(٢٨) بناء الشخصية الإدارية في كلام الإمام علي (عليه السلام)، مجلة المبين، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة، المجلد ١، العدد ١٨، ٢٠٢٣م، ص ٤٨.

(٢٩) نهج البلاغة: ٤/ ٦٧.

(٣٠) الخطابة: ٤١.

(٣١) لسان العرب ١٥/ ٣٤٣.

(٣٢) الكامل في اللغة والأدب (المبرد): ١/ ٣٩٤.

(٣٣) نهج البلاغة: ٦/ ١٦.

(٣٤) نهج البلاغة: ١١/ ٧٢.

(٣٥) نهج البلاغة: ٦/ ٩٢.

(٣٦) نهج البلاغة: ٤/ ٨٣.

(٣٧) نهج البلاغة: ٧/ ٩٤.

(٣٨) نهج البلاغة: ١/ ٧٦.

(٣٩) الأخلاق الإسلامية: ٦٦- ٦٧.

(٤٠) نهج البلاغة: ٥/ ٧٦.

(٤١) الأدب في عصر النبوة والراشدين (د. صلاح الدين الهادي): ١٦٨.

(٤٢) نهج البلاغة: ٨/ ٥٢.

(٤٣) الندوة (السيد محمد حسين فضل الله): ٤/ ٢٤٣.

(٤٤) الصاحبي (ابن فارس): ٢٩٢.

(٤٥) استراتيجيات الخطاب: ١٢٣.

(٤٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية ٣٥٢.

(٤٧) نهج البلاغة: ٧/ ٥٩.

(٤٨) نهج البلاغة: ٤/ ٦٢.

(٤٩) الخطابة (محمد أبو زهرة): ٤١.

(٥٠) من لا يحضره الخطيب: ٣/ ٢٣٠.

(٥١) ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية (الجيلالي دلاش) ٣٤.

(٥٢) نهج البلاغة: ١١/ ١٧٤.

(٥٣) نهج البلاغة: ٦/ ٧٦.

(٥٤) نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون (عزيز لدية): ١٠٧.

(٥٥) نهج البلاغة: ١/ ١٨٦.

(٥٦) نهج البلاغة: ٨/ ١٤٧.

(٥٧) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام: ١٤٨.

(٥٨) لسان العرب: ٣/ ٩٢.

(٥٩) شرح ابن الناظم: ٤٢٣.

(٦٠) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٣٥٥.

(٦١) نهج البلاغة: ٩/ ٦٥.

(٦٢) جواهر البلاغة: ٧٦.

(٦٣) نهج البلاغة: ٧/ ٤٥.

(٦٤) نهج البلاغة: ٤/ ٧٨.

(٦٥) أدب الحكمة (رسالة ماجستير): ١٣٠.

(٦٦) نهج البلاغة: ١١/ ٦٥.

(٦٧) نهج البلاغة: ٣/ ٤٩.

(٦٨) الندوة: ٤/ ٧٣.

(٦٩) نهج البلاغة: ٦/ ٧٥.

(٧٠) الكتاب: ١/ ٣٤.

(٧١) الدين والسياسة: ١٦٤.

(٧٢) نهج البلاغة: ٤/ ٦٥.

(٧٣) المثل السائر (ابن الأثير): ٣/ ١٧.

(٧٤) علم اللغة الاجتماعي (كمال بشر): ٢٣٧.

(٧٥) ينظر: الكتاب ٣/ ٣٣٢.

(٧٦) الكتاب: ١/ ١٣٨.

(٧٧) ينظر: التعريفات ٥٤.

(٧٨) ينظر: جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ١٩٩.

(٧٩) ينظر: الكليات ١٤٤.

(٨٠) نهج البلاغة: ٣/ ٩٨.

(٨١) مفاهيم إسلامية عامة (السيد محمد حسين فضل الله): ١٨٧.

(٨٢) نهج البلاغة: ٦/ ٤٧.

(٨٣) النساء: ٥٩.

(٨٤) ينظر: معاني النحو ١/ ٢٨٢.

(٨٥) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٢٣٠.

(٨٦) ينظر: شرح الكافية ٤/ ٤٢١.

(٨٧) نهج البلاغة: ١/ ١٦٤.

(٨٨) أدب الحكمة (رسالة ماجستير): ١١٠.

المصادر والمراجع

القــرآن الكريــم

١. الاحتجـاج، أبـو منصـور أحمـد بـن علي بـن أبي طالـب الـطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، منشـورات الشريـف الـرضي، ط١، ١٣٨٠ هـ.

٢. الأخلاق الإسلاميـة، السـيد علي فضـل الله الحسـني، دار إحيـاء التراث العـربي، ط ٣، بيروت- لبنـان، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م.

٣. استراتيجيـات الخطـاب - مقاربـة لغويـة تداوليـة، عبـد الهادي بـن ظافـر الشـهري، دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، ط١، ٢٠٠٤.

٤. الأدب في عصر النبـوة والراشـدين، الدكتـور صلاح الديـن الهادي، مكتبـة الخانجـي، ط٣، القاهـرة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٥. آفـاق جديـدة في البحـث اللغـوي المعـاصر، الدكتـور محمـود أحمـد نحلـة، دار المعرفـة الجامعيـة، د. ط، ٢٠٠٢م.

٦. البحـر المحيـط في التفـسير، أبـو حيـان محمـد بـن يوسـف بـن علي بـن يوسـف بـن حيـان أثير الديـن الأنـدلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيـق صدقـي محمـد جميـل، دار الفكـر- بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ.

٧. تأويـل مشـكل القـرآن: عبـد الله بـن مسـلم بـن قتيبـة (٢١٣- ٢٧٦ هـ)، تحقيـق: أَحمـد صقـر، دار إحيـاء الكتُـب العربيـة، عيسـى البـابي الحلبـي، مصر.

٨. تبسـيط التداوليـة - مـن أفعـال الـكلام إلى بلاغـة الخطـاب السـياسي -، بهـاء الديـن محمـد زيـد، شـمس للـنشر والتوزيـع، القاهـرة - مصر، ط١، ٢٠١٠م.

٩. التبيـان في تفـسير القـرآن، أبـو جعفـر محمـد بـن الحسـن الطـوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيـق مؤسسـة آل البيـت (عليهـم الـسلام) لإحيـاء التراث - قـم المقدسـة، ط١، ١٤٣١ هـ.

١٠. التداوليـة، جـورج يـول، ترجمـة قصي العتـابي، الـدار العربيـة للعلـوم نـاشرون، الربـاط - المغـرب، ط١، ٢٠١٠م.

١١. الحيـاة الأدبيـة في عصر صـدر الإسلام، د. محمـد عبـد المنعـم خفاجـي، دار الكتـاب

اللبناني، ط٢، بيروت، ١٩٨٠ م.

١٢. جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، علاء الدين بن علي الأربلي، صنعة الدكتور أميل بديع يعقوب، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، مطبعة الاعتماد، مصر، ط ١٠، ١٩٤٠ م.

١٤. الخطابة (أصولها. تاريخها في أزهر عصورها عند العرب) الإمام الحافظ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة، ١٩٣٤ م.

١٥. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، د. ط، ٢٠٠٦م.

١٦. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٧. الدين والسياسة (نظريات الحكم في الفكر السياسي الإسلامي)، تأليف مجموعة من الباحثين، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م.

١٨. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٣٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٩. شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، السيد نور الله الحسيني المرعشي، تعليق السيد شهاب الدين المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم- إيران، د. ط، د. ت.

٢٠. شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ)، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران - طهران، ط٢، ١٣٨٤ هـ. ق.

٢١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٦ هـ.

٢٢. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥ هـ)، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٣. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد (ت ٢٨٦ هـ)، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٢٤. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، ضبط وتحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٥. الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٧. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأفريقي (ت ٧١١ هـ)، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر- بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

٢٨. لوامع الحقائق في أصول العقائد، ميرزا أحمد الأشتياني، تحقيق وتصحيح محسن أشتياني، دار التعارف، د. ط، ١٩٧٩م.

٢٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي

طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

٣٠. مدخل إلى اللسانيات التداولية (الجيلالي دلاش). ترجمة يحيى يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر، د. ط، ١٩٩٢م.

٣١. معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر– الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣٢. مفاهيم إسلامية عامة، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر، ط ٣، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١ م.

٣٣. موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، الشيخ هادي النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

٣٤. منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن زين الدين الشهيد (ت ١٠١١ هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي – قم المقدسة، د. ط، د. ت.

٣٥. من لا يحضره الخطيب، داخل السيد حسن، مطبعة شريعت، ط١، قم، د. ت.

٣٦. علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د. ت).

٣٧. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – قم المقدسة، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

٣٨. الندوة، السيد محمد حسين فضل الله، إعداد عادل القاضي، دار الملاك للنشر، ط ٣، بيروت، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢ م.

٣٩. نظرية الحجاج تطبيق على نثر ابن زيدون، عزيز لدية، عالم الكتب الحديث – الأردن، ط ١، ٢٠١٥م.

المجلات:

١. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المغرب – مكناس، العدد ١٤،

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ٥٤٩.

٢. الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الرسول (صلى الله عليه وآله)، شفيقة طوبال، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد ٣، العدد ٢، ٢٠١٩ م، ص ١٧٣.

٣. مجلة المبين، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة، السنة الثامنة، المجلد ١، العدد ١٨، ١٤٤٤هـ- ٢٠٢٣م.

الرسائل والأطاريح:

١. أدب الحكمة في عصر صدر الإسلام، محمد سعيد حسين مرعي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية التربية، جامعة بغداد، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

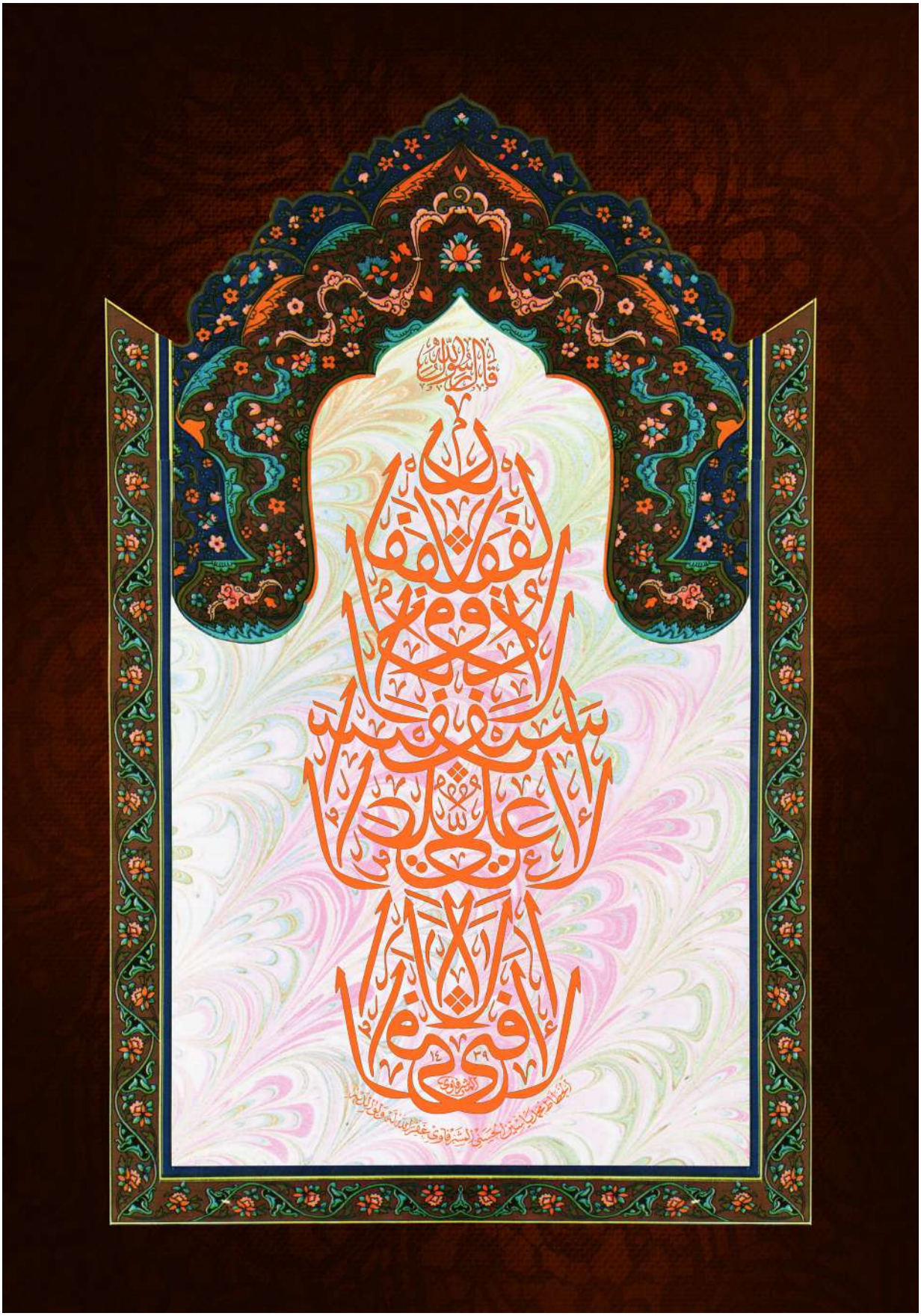
قال رسول الله
لقد خاب من لم يكن همه إصلاح نفسه
ألا إن أفضل الناس من لم يعرف نفسه
ألا إن أفضل الناس من لم يعرف نفسه
ألا إن أفضل الناس من لم يعرف نفسه

الكفاءة الإعلامية في نهج البلاغة «دراسة لسانيَّة نصيَّة»

Media Competence in Nahj al-Balagha: A Linguistic Textual Study

أ. م. د. محمد شمخي جبر

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

Asst. Prof. Dr. Mohammed Shumkhi Jabr

Imam Al-Kadhim University College of Islamic Sciences

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012405

الملخص

تُعَدُّ النصوص التواصلية إحدى أهم أدوات الإنسان لنقل الأفكار والتوجيهات والمعاني، وتتطلّبُ هذه النصوص معايير عدة، لتحقيق فعاليتها وتأثيرها في المتلقي. ومن بين هذه المعايير، يبرز معيار الكفاءة الإعلامية، وهو جزء من المعايير النصية السبعة التي اقترحها عالم اللغة ديبوغراند. في هذا السياق، تُفهم الكفاءة الإعلامية على أنَّها القدرة على تقديم معلومات جديدة ومفيدة للمتلقي، بأسلوب يوازن بين الإثارة والإفهام، الأمر الذي يوصل إلى الهدف النهائي للنص، وهو شدُّ انتباه المتلقي، وإحداث تغيير في وعيه وسلوكه.

ويُعَدُّ كتاب (نهج البلاغة)، الذي يتضمّن خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورسائله وحِكَمه، نصًّا غنيًّا بالكفاءة الإعلامية؛ إذ يحمل في طياته معاني عميقة وأفكارًا تتجاوز حدود الزمان والمكان، فقد استعمل الإمام (عليه السلام) لغة تواصلية عالية الجودة، تجمع بين الإيجاز والوضوح، وبين الغموض الذي يحفز الفكر والتأمل، وبين الشمولية التي تخاطب كل مستويات المعرفة؛ لذا جاءت الدراسة لتبيّن مدى ارتفاع إعلامية نصوص نهج البلاغة، ومدى تفاعل المتلقي مع النصوص المتوقعة وغير المتوقعة.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، الإعلامية، الكفاءة الإعلامية، دراسة لسانية.

Abstract

Communicative texts are considered one of the most important tools. through which humans transfer ideas, directions and meanings. These texts require several criteria to be effective and to influence the receiver. Among these criteria is media competence, which is one of the seven standards of textuality proposed by the linguist De Beaugrande. In this context, media competence is understood as the ability to present new and useful information to the receiver in a manner that balances. stimulation and comprehension. This, in turn, leads to the ultimate goal of the text-to capture the receiver's attention and bring about a change in their consciousness and behavior. Nahjul al-Balagh, which contain's Imam Ali's sermons, letters, and sayings, is considered a text rich in media Competence, as it conveys profound meanings and ideas that transcend the boundaries of time and place. Imam Ali employed a highly effective Communicative language that combines conciseness and clarity with a degree of ambiguity that stimulates thought and reflection, as well as a universality that addresses all levels of knowledge. Therefore, this study aims to demonstrate the high level of media competence in the texts of Nahjul al-Balagha and to explore the range of the receiver's reactions to both expected and unexpected messages.

Keywords: Nahj al-Balagha, Media competence, Media, Linguistic Study.

التمهيد:

الإعلاميَّة: (Informativity)

مفهوم المصطلح: هناك مفهومان أساسيان مختلفان لمصطلح الإعلامية، فالأول تدور معانيه حول الإعلام والإخبار والإبلاغ، وهو ما تعارفنا عليه من معنى ظاهر، فكل نص لا بُدَّ له من أن يؤدي إلى إخبار معلومة ما أو إطلاع المرسل إليه على واقع أحداث معينة؛ أي أنَّ إعلام شخص ما بأحداث معينة يعني تعريفه أو إخباره بهذه الأحداث عن طريق نقل وقائعها إليه[1]، ولعلَّ ما يراه (إبراهيم إمام) حول تعريفه للإعلام أقرب إلى فهم المصطلح، فهو يرى أنَّه (أي الإعلام) يمثل النقل الموضوعيّ للمعلومات بصورة صحيحة، بقصد التأثير الواعي على الفرد، حتى تتاح له فرصة تكوين رأي حر ومستقل تجاه الواقع المقدَّم له في شكل حقائق، وهذا لتحقيق التفاهم والتواصل والمشاركة بين المرسِل، وبين المتلقي على أساس الثقة المتبادلة[2]، وهناك مصطلح آخر يشبه مصطلح الإعلام إلى حدٍّ كبير ألا وهو الإعلان؛ إذ يمكن تعريفه بأنَّه ((العِلانُ والمُعالَنة والإِعْلانُ: المُجاهرة. عَلَن الأَمْرُ يَعْلُنُ عُلُوناً ويَعْلِنُ وعَلِنَ يَعْلَنُ عَلَناً وعَلانية فِيهِمَا إِذا شَاعَ وَظَهَرَ، واعْتَلَنَ؛ وعَلَّنه وأَعْلَنه وأَعْلَن بِهِ... والإِعْلانُ فِي الأَصل: إِظهار الشَّيْءِ))[3]، لكنه يختلف عن الإعلام بهدفه، فالإعلان يهدف إلى دفع من يستهدفهم الإعلان إلى الشراء، فهو ((يقوم على نقل المعلومات من مرسل إلى مستقبل من أجل التأثير على المستهلك، وحثّه على الإقبال على سلعة ما معروضة للبيع))[4]، فاللغة من منظور لساني لها وظيفتان رئيستان ترتبطان بمقاصد المتكلّمين، فالإنسان حين يتحدَّث لا بدَّ له من مقصد، فهو لا يتحدَّث من أجل تحريك أعضاء نطقه، بل لتحقيق وظيفتين هما: الوظيفة التعاملية، والوظيفة

التفاعلية[٥]، والذي يهمُّنا هنا الوظيفة التعاملية؛ إذ هي ((ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات، تبرز من خلاله قيمة الاستعمال اللغوي، فيركز المرسل جهده نحو بناء الخطاب ليستطيع المرسل إليه أن يأخذ منه المعلومات الصحيحة والدقيقة))[٦].

أمَّا الثاني، فيختلف مفهومه عن الأول، إذ تدلُّ معانيه على تفاعل المتلقي مع عناصر النص غير المتوقعة انطلاقاً من تصوّر مؤداه أنَّ النص الجيد يحقق مقاصد منتجة، وينال قبول المتلقي، ويستحوذ على إعجابه؛ إذا ارتفعت درجة الإعلامية فيه[٧]، ودرجة ارتفاع إعلامية النص تعتمد إلى حدٍّ كبير على تنوّع المعلومات وجِدَّتها، فكلما توقع المتلقي عناصر النص انخفضت إعلاميَّته، والعكس صحيح، بشرط ألّا ينعدم التواصل بين مرسل النص والمتلقي؛ لذا على منتج النص أن يلتزم جانب الحيطة والحذر كي لا تنوء قدرة المستقبلين على معالجة المعلومات بالعبء إلى الحدّ الذي يتعرّض فيه الاتّصال للانهيار[٨]، ويرى الجرجاني أنَّ مرسل النص قد تحمَّل المشقة وقطع الشقة البعيدة، فهو لم يصل إلى دُرَّةٍ حتى غاص، ولم ينل مبتغاه حتى كابد منه الامتناع، وممَّا لا شك فيه أنَّ الشيء الذي إذا علم أنَّه لم ينل في أصله إلّا بعد جهد جهيد، ولم يُدرك إلّا باحتمال النَّصَب، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه[٩]، فالإعلاميَّة ترتبطُ بمفهوم التوقّع، فكلّما كان النمط مألوفًا متوقّعًا انخفض مستواها؛ لأنَّها تعتمدُ على شدِّ المتلقي وإثارته، فهي ((مدى توقع عناصر النص المقدمة أو عدم توقعها أو معرفتها أو عدم معرفتها وغموضها، ففي الواقع إنَّ كل نص هو إخباري على نحوٍ ما؛ إذ إنَّه ينقل على الأقل معلومة صغرى، غير أنّ مقدار الإعلامية هو ما يوجه اهتمام السامع))[١٠]، ويرى أحمد عفيفي أنَّ النص لا بُدَّ

لـه مـن دلالات محتملـة، يريـد مرسـل النـص إيصـالها إلى المتلقـي، فـإذا جـاء النـص فارغًـا مـن الدلالـة خلا النـص مـن صفـة الإعلاميـة[11]، ولعـلَّ هـذا الـكلام فيـه نظـر؛ لأنَّ مسـألة إعلاميـة النـص لا تعتمـد على مـا يحتويـه النـص مـن مضـامين ودلالات، بـل تعتمـد على جِدَّة المعلومـات وتنوعهـا، فلـو قلنـا مثلًا (يـدرس الـطلاب في المدرسـة) و(تـسير السـيارة في الشـارع) و(الأسـد حيـوان مفترس)، كل هـذه النصـوص تحمـل بين طياتهـا مضـامين ومعلومـات، إلّا أنَّهـا لا تحمـل صفـة الإعلاميـة؛ كونهـا نصوصًـا خاليـة مـن الجِـدَّة، ويـرى تمّـام حسّـان في قضيـة إعلاميـة النـص أنَّـه ((يمكـن النظـر إلى هـذا المصطلـح، لا مـن حيـث إنَّـه يـدل على المعلومـات التـي تشـكل محتـوى الاتصـال، بـل مـن حيـث يـدل بالأحـرى على ناحيـة الجِـدَّة أو التنـوع التـي توصـف بهـا المعلومـات في بعـض المواقـف، فإعلاميـة أي عـنصر إنَّما تكمـن في قلـة احـتمال وروده في موقـع مـعين بالمقارنـة بالعنـاصر الأخـرى في نفـس النـص، وكلما بعـد احـتمال الـورود ارتفـع مستوى الكفـاءة الإعلاميـة))[12].

ومِمَّـا سـبق يمكـن تحديـد اتجاهـات الإعلاميَّـة بما يـأتي:

الاتجـاه الأول: يـدور حـول صفـة الإعلاميـة بمعناهـا العـام، فـأي نـص يجب أن يقـدّم خبرًا مـا، ولعـلَّ النصـوص جميعهـا تـشترك في ذلـك.

الاتجـاه الثـاني: يـشير إلى الجِـدَّة والتنـوع في عـرض المعلومـات في مواقـف معينـة، هـذه الجِـدَّة يحدّدهـا المتلقـي بمعيـار عـدم التوقّـع.

الاتجـاه الثالـث: ينطلـق هـذا الاتجـاه مـن فكـرة الدعايـة لشـخص، أو فكـرة، أو موضـوع مـا[13]، ومِمَّـا سـبق يمكـن أن يكـون للكفـاءة الإعلاميـة ثلاث مراتـب.

مراتب الكفاءة الإعلامية:

للكفـاءة الإعلاميـة ثلاث مراتـب، تعتمـد هـذه المراتـب على مـدى توقـع

المعلومات داخل النص، وهي على النَّحو الآتي:

١) كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة: ويكون المحتوى فيها محتملًا لتركيب محتمل؛ إذ يكون سهل الصياغة، ومن ثم يكون قليل الإعلامية.

٢) كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة: ويكون المحتوى غير محتمل في التراكيب المحتملة، أو المحتوى المحتمل في التراكيب غير المحتملة، وهذه النصوص تتَّسم بالتحدّي، وهذا المحتوى غير مثير للجدل، ويكون في النصوص الأدبية.

٣) كفاءة إعلاميَّة مرتفعة الدرجة: ويكون المحتوى غير المحتمل في التراكيب غير المحتملة، وهذه النصوص صعبة الصياغة مثيرة للجدل الحاد[١٤].

المبحث الأول:

إعلاميَّة كسر الترابط الرصفي في خطب نهج البلاغة

يُعَدُّ مفهوم كسر الترابط الرصفي من المفاهيم النصية الخاصة بالإعلامية التي أشار إليها (دي بوغراند)، فهي تعني: ((الإشارة إلى كل نشاط وإجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توالٍ زمني))[١٥]، وقد يطلق عليه أيضًا التتابع الرصفي؛ إذ تخضع الجملة في اللغة العربية إلى نظام يرتب تتابع أجزائها، فالجملة الاسمية المتكونة من مبتدأ وخبر، يكون هيكلها الأساس تقديم المبتدأ على الخبر، أمَّا الجملة الفعلية، فتبدأ بالفعل ثم الفاعل، والمفعول، ((ويُعَدُّ التقديم والتأخير أبرز مظهر لكسر الترابط الرصفي؛ لأنّه يخرج الألفاظ من نمطها وطابعها الساكن إلى طابع تشتدُّ معه إثارة المتلقي ومفاجأته وكسر توقعه، ليحقق بذلك الإعلامية التي تتمثل في الجِدَّة في الأسلوب، وكسر المتوقع))[١٦]، وعدَّ الجرجاني التقديم والتأخير من الأبواب ذات الفوائد الكثيرة في اللغة العربية؛ إذ

يقول: ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان))[١٧]، والملاحظ في تغيير ترتيب مواقع الكلمات: أي (الخبر قبل المبتدأ)، و(المفعول قبل الفعل) في داخل النصوص يستعمل غالبًا لأهداف بلاغية؛ إذ يهدف إلى ترسيخ الحكم وإزالة الشك لدى المتلقي، الأمر الذي يضفي على النص طابعًا جديدًا، ويخلق عنصر المفاجأة، ممَّا يؤدي إلى كسر التوقعات، ويجعل المتلقي متحفّزًا على إيجاد البنية العميقة للنص.

وقد خصَّ ابن جني للتقديم بابًا سمّاه (باب في شجاعة العربية)، وجعله على ضربين هما: الأول ما يقبله القياس، كتقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل الناصب تارة أخرى، والثاني ما يسهله الاضطرار[١٨].

وممَّا لا شك فيه أنَّ للتقديم والتأخير أهدافًا، فهو من مظاهر تعزيز المعنى وتوكيده، إذ يعمل على إظهار ألفاظ وعبارات معينة عبر وضعها في غير موضعها الأصلية، الأمر الذي يلفت انتباه المتلقي، ويعمل التقديم والتأخير أيضًا على كسر توقع المتلقي، فيجعله باحثًا عن بين المعاني، وفي هذا تضفى لمسات جمالية على النصوص.

ومن مصاديق كسر التتابع الرصفي في خطب نهج البلاغة ما جاء في كلامه (عليه السلام) في صفة الدنيا؛ إذ يقول: «**مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ**»[١٩]،

المتأمّل في قول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو يصف الدنيا، يجد تقديمين واجبين للخبر؛ إذ جاء الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة غير مخصصة في قوله: (في حلالها حسابٌ)، و(في حرامها عقابٌ)، وفي العادة يتوقع المتلقي أن يبدأ الكلام بالمبتدأ ثم يليه الخبر، إلّا أنَّنا نجد مرسل النص هنا قد ابتدأ بالخبر؛ وذلك لتوجيه المتلقي وشدّ انتباهه حول مضمون جوهري مهم، فيثير فضوله لمعرفة سبب تقديم الخبر على المبتدأ وبيانه، وفي هذا التقديم خلقُ نوع من الإثارة الذهنية والتشويق، الأمر الذي يعزّز من تأثير العبارة وجعلها أكثر إقناعًا وقوة في إيصال المعنى إلى المتلقي، فالأداء المغاير للمألوف أدّى إلى زيادة الكفاءة الإعلامية عبر كسر توقع مستقبل النص لهذه المغايرة، فعندما يبدأ النص بهذا التقديم (في حلالها)، و(في حرامها) يجعل الجملة تحمل عنصرًا، يفاجئ المتلقي ويجعله أكثر ترقبًا وتشوقًا؛ إذ يبدأ بالتركيز على الجوانب التي تتعلّق بحساب الحلال، وكذلك عقوبة فاعل المحرمات، فشبه الجملة (في حلالها)، و(في حرامها) هو في محل رفع خبر مقدَّم، قد جعل المتلقي يفكر بتحديد الإطار الذي يدور فيه الحديث عن لفظة (الحلال) (والحرام) قبل أن تذكر النتيجة المترتبة عليه، وهي (الحساب)، (والعقاب)، فبدل أن تكون الجملة تقليدية تبدأ بالمبتدأ وتنتهي بالخبر، جاءت الجملة مغايرة للمألوف بتقديم الخبر (في حلالها)، و(في حرامها) على المبتدأ (حساب)، و(عقاب)؛ ليجعل المتلقي يترقب تفسيرًا، أو ارتباطًا معينًا قبل أن تعلن النتيجة بذكر لفظة (الحساب) و(العقاب).

ومن ذلك قوله (عليه السلام): «لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ اَلْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ اَلسُّرَى»[٢٠]، يتمثل كسر التتابع الرصفي هنا بتقديم الخبر (لنا)

على المبتدأ (حقٌ)؛ إذ تَقَدَّمَ الخبر وجوبًا على المبتدأ كون الخبر شبه جملة، والمبتدأ نكرة غير مخصصة، ففي تقديم الخبر بيان لشرف مكانة أهل البيت (عليهم السلام) وفضلهم، فهم بيت النبوّة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، وبهذا يكون المتلقي مترقبًا متشوقًا لمعرفة ما لهم، وهذا التقديم يُظهر الحق كجزءٍ من هوية المتحدثين وارتباطهم النفسي به. هذه الصياغة تعطي للمتلقي انطباعًا بأنَّ الحق جزء من كيان المتحدّثين، وليس مجرد مطلب مادي أو حق عابر. فالتعبير يوحي بمدى أهمية هذا الحق لأصحابه، ممَّا يخلق تجاوبًا عاطفيًّا لدى المتلقي، ويزيد من التأثير النفسي للنص؛ إذ قال الشريف الرضي (رحمه الله): ((وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه أنّا إن لم نعط حقّنا كنّا أذلاّء، وذلك أنّ الرّديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما))[٢١]، ويذكر الأزهري تفسيرًا لأعجاز الإبل في تهذيبه، فيقول: ((أعجاز الْإِبِل: مآخيرها، جمع عَجُز، وَهُوَ مركب شاقّ. قَالَ: وَمَعْنَاهُ إِن مُنِعنا حَقَّنا ركبْنا المشقَّة وصَبَرنا عَلَيْهِ وَإِن طَال، وَلم نَضجَرْ مِنْهُ مُخِلِّين بحقِّنا))[٢٢].

ومن ذلك أيضًا قوله (عليه السلام): «**فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ**»[٢٣]، المتأمّل في قوله (عليه السلام) يجد أنَّ الخبر (في تقلب الأحول) قد تقدَّم على المبتدأ (علمُ)، وفي هذا التقديم كسرٌ للتتابع الرصفي لتركيب الجملة، وهذا التقديم له دورٌ فعالٌ في ترابط النص وتماسكه، فقد أسهم هذا التقديم بجملة من الأمور أهمّها:

١) شدُّ انتباه المتلقي إلى المتقدّم (في تقلّب الأحوال) الذي بدوره يكشف معادن الرجال وجوهرهم، وهذا بدوره يعطي أهمية كبيرة ويهيّئ المتلقي لفهم حقائق الناس التي أحيانًا لا تُعرف إلّا

في أوقات التحول والتغيير.

٢) جعل المتلقي متشوقًا لمعرفة النتيجة، أو الحكمة المرتبطة بهذا التقلّب؛ وبذا، يُلْفَتُ انتباهه سريعًا إلى المتقدّم وأثره قبل الوصول إلى نتيجة العبارة، ممَّا يزيد من تركيزه على المعنى.

٣) يمنح المعنى قوةً ووضوحًا أعمق للعبارة؛ إذ يتم التركيز على أنَّ جوهر الرجال لا يظهر أحيانًا إلّا عند تغير الأحوال، ممَّا يُعزز الفكرة القائلة بأنَّ الشدائد والتحولات هي التي تكشف معادن الناس وحقائقهم.

٤) يعطي النص انطباعًا بأنَّ تقلّب الأحوال هو الشرط الأساس والرئيس لاكتشاف جواهر الرجال. وبهذا التقديم، يكون النص أكثر تأثيرًا ووضوحًا في نقل الفكرة الأساسية، وهي أنَّ معادن الناس تظهر في الأوقات الصعبة.

ومن خطبة له (عليه السلام) في الحث على الجهاد وذم المتقاعسين؛ إذ يقول: «قَاتَلَكُمُ اَللهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ اَلتَّهْمَامِ أَنْفَاساً وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَاَلْخِذْلاَنِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ اِبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لله أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً [مُقَاماً] وَأَقْدَمُ فِيهَا مُقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ اَلْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى اَلسِّتِّينَ وَلَكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ»[٢٤]، هذه الخطبة من الخطب المشهورة بين الناس، والمتأمّل في ألفاظها يجد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يستغرب ويستهجن قول قريش؛ إذ يقولون عنه إنّه شجاع، لكنه لا يمتلك معرفة كافية بفنون الحرب، وهذه العبارة تظهر نقد الإمام لهذا القول، وتأتي في سياق ردّه على من يقللون من شأنه في المعرفة العسكرية على الرغم من شجاعته التي يشهدُ له فيها الخصوم قبل غيرهم؛ لذا يسخر

الإمام منهم ومن قولهم، فالمعروف عنه أنه من أعظم القادة العسكريين، وأكثرهم خبرةً ودهاءً في المعارك، وقد أثبتت ذلك مواقفه البطولية؛ إذ يحمل قولهم تناقضًا صريحًا، فهم يعترفون بشجاعته لكنهم ينفون عنه علم الحرب، وهو أمر بعيد عن الحقيقة؛ كونه قد شارك في معارك عديدة منذ شبابه، وكان له دور حاسم فيها.

وفي هذه الخطبة كسرٌ للترابط الرصفي، فقد تقدَّم الخبر (لله) على المبتدأ (أبوهم)؛ لإرادة الاستهجان والتعجب لما يقولون، فالتقديم هنا جاء بمنزلة دعاء عليهم وسخرية من كلامهم المتناقض، كما لو كان يقول: ليعجب الله من قولهم هذا، كيف يغفلون عن حقيقته ويقولون كلامًا غير منطقي، ولعلَّ في تقديم الخبر على المبتدأ إشارات لطيفة جعلت من إعلامية النص مرتفعة لدى المتلقي، فبتقديم الخبر (لله) يتوجب على المتلقي التوجه والاهتمام والتركيز على لفظ الجلالة المتقدّم؛ الأمر الذي يكسب العبارة معنى التعظيم والتوكيد على أنَّ الأمر كلّه بيد الله، وأنَّه الأعلم بحقيقة الناس ونواياهم. فتقديم لفظ الجلالة يجعل المتلقي يدرك أنَّ هذا القول صادرٌ عن معرفة الإمام علي بقدرة الله وتمكينه.

ومن كسر الترابط الرصفي تقديمُ خبر (إنَّ) على اسمها في قوله (عليه السلام): «**إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا فَإِنَّ اَلْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ**»[٢٥]، فقد تقدَّم خبر (إنَّ) (للقلوب) على اسمها (شهوةً)، ولعلَّ الإمام (عليه السلام) في هذا التقديم أراد أن يبيّن أهمية القلوب، فللقلوب حالات مختلفة، فهي أحيانًا تمرُّ بفترات تكون فيها متوجهة ومقبلة على الأمور ومتحمسة (إقبال)، وأحيانًا أخرى تكون منصرفة وذات فتور (إدبار)؛ لذا ينصح الإمام (عليه السلام) بضرورة التوجه إلى

القلوب عندما تكون مهيَّأة، ومستعدة لتلقي الأفكار، أو التعلم أو العمل، أي عندما تكون في حالة من (الإقبال)، والرغبة والشهوة لفعل الشيء، بمعنى آخر، ينبغي استثمار الوقت المناسب للتأثير في القلوب وتحفيزها على العمل، وعدم إجبارها في أوقات فتورها. والمتلقي هنا يتفاجأ في هذا التركيب؛ إذ لا يتوقع هذا التركيب، فتقديمُ خبر (إنَّ) (للقلوب) هو غاية البلاغة من أمير البيان، فلو جاء متأخرًا، لَما شعر المتلقي بأهمية القلوب وكيفية التعامل معها؛ لأنَّ ((القلب عضو من الأعضاء يتعب ويستريح، كما تتعب الجثة عند استعمالها وأحمالها وتستريح عند ترك العمل، كما يتعب اللسان عند الكلام الطويل ويستريح عند الإمساك، وإذا تواصل إكراه القلب على أمر لا يحبه ولا يؤثره تعب؛ لأنَّ فعل غير المحبوب متعب))[٢٦]، ولأنَّ مرسل النص أحيانًا يعمد إلى ترك أثر في نفس المتلقي؛ لذا يعمد على إثارة كل ما هو غير مألوف في تراكيب اللغة، ليحصل بذلك على إشغال لب المتلقي في التفكير؛ ((لأنَّ القيمة الجمالية والتأثيرية لا تكمن في اختيار الألفاظ فحسب، وإنَّما أيضًا بطريقة الصياغة))[٢٧].

وممَّا نحن في سبيله يقول (عليه السلام) وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمَّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر: «**إِنَّ فِي أَيْدِي اَلنَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً وَصِدْقاً وَكَذِباً وَ نَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَعَامّاً وَخَاصّاً وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً وَحِفْظاً وَوَهَماً وَهْماً**»[٢٨]، يدعو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الناس إلى التفكّر والتدبّر إلى ما في أيديهم، وضرورة أن يميزوا بين الحق والباطل، فليس كل ما بين أيدينا صحيحًا، فربما تتداخل الحقائق مع الأوهام؛ لذا يتطلب من الإنسان أن يكون حذرًا واعيًا متيقظًا؛ ليميز الحق من الباطل، فالإمام (عليه السلام) يبدأ بالتمييز بين

الحق والباطل؛ ليدلل على أنَّ ما يتناقله الناس لا يكون دائمًا حقًّا خالصًا، فهناك حقائق، ولكنها مختلطة أيضًا بأباطيل؛ لذا يشير (عليه السلام) إلى ضرورة التمييز بين الحق والباطل، ولا ينبغي قبول كل ما يُقال على علّاته.

وقد تقدَّم خبر (إنَّ) (في أيدي الناس) على اسمها (حقًّا)؛ إذ جاء مغايرًا للمألوف، ولعلَّ هذا التقديم يخلق نوعًا من التشويق؛ إذ يوجّه ذهن السامع أولًا إلى أيدي الناس كمصدرٍ لهذه الأشياء، الأمر الذي يدفعه للتساؤل: ما الذي يوجد في أيدي الناس؟ وهذا يجعل السامع أكثر تركيزًا وانتباهًا للجزء الثاني من الجملة، وهو محتوى أيديهم (الحق، الباطل،...)، ممَّا يرفع من كفاءة النص الإعلامية، فالمتلقي هنا تتبادر إلى ذهنه مجموعة من الأشياء منها: أنَّ موضع الخطبة هو ما في أيدي الناس من الأمور المتنوعة، ولا يقتصر على الحق والباطل، وربما يعطي التقديم إحساسًا لدى المتلقي بأنَّ (الحق، والباطل، والصدق، والكذب) أشياء مختلطة ومتداولة؛ لذا تحتاج إلى أن يسلط الضوء على فكرة هذا الاختلاف والتنوع الإنساني في الفهم والتفسير، وقد يفهم المتلقي شيئًا آخر غير الذي قيل، فقد يجد أنَّ هذه الصفات والمفاهيم (الحق والباطل، والصدق والكذب) ليست مرتبطة بجميع الناس بصورة عامة، وإنَّما في أيدي الناس، أي أنَّها موزعة ومتداولة بينهم، ولا يملكها شخص بعينه أو فئة بعينها، وهذه الأفكار التي تتولد في ذهن المتلقي تجعل من النص أكثر انسجامًا وترابطًا، ويمنح النص بلاغة وقوة؛ إذ يوجّه الانتباه إلى مصدر التنوع والاختلاط، ويجعل الجملة أكثر وضوحًا وكثافة في المعنى، ممَّا يعكس دقة الصياغة البلاغية للإمام علي (عليه السلام)، ويجعل الفكرة تصل بسهولة إلى المتلقي.

ومن كسر الترابط الرصفي تقديمُ المفعول به على الفاعل، فقد جاء في خطب الإمام علي (عليه السلام) هذا النمط من التقديم، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم (عليه السلام): «اَلْحَمْدُ لله اَلَّذِي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ اَلْقَائِلُونَ وَلاَ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ اَلْعَادُّونَ وَلاَ يُؤَدِّي حَقَّهُ اَلْمُجْتَهِدُونَ [اَلْجَاهِدُونَ] اَلَّذِي لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ اَلْهِمَمِ وَلاَ يَنَالُهُ غَوْصُ اَلْفِطَنِ اَلَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلاَ وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ اَلْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ اَلرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ»[٢٩].

المتأمّل في هذه الخطبة وألفاظها يلحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) أراد أن يبيّن عجز الإنسان أمام عظمة الله عزَّ وجلَّ، فمهما حاول الإنسان أن يحيط بعظمته سبحانه يجد نفسه عاجزًا أمام بلوغ صفاته عزَّ وجلَّ، فصفاته سبحانه أسمى من أن تحيط بها أقوال القائلين، أو يمكن أن تكون تحت إدراك البشر.

ولقد تقدَّمت المفاعيل: (مدحَته، نعماءَه، حقَّه)، على الفاعل: (القائلون، العادّون، المجتهدون)، ولعلَّ في تقديم المفعول به (مدحته) على الفاعل (القائلون) التفاتة لطيفة، وهي إظهار الكمال الإلهي الذي يفوق تصور البشر، فالتقديم يظهر أهمية موضوع المدح؛ إذ عن طريقه يتبيّن عجز المادحين في إدراك عظمته سبحانه وتعالى، أمَّا تقديم المفعول به (نعماءه) على الفاعل (العادون)، فيبرز شمول النعم الإلهية واتساعها، بحيث تصبح هي مركز التركيز عند المتلقي، وليس الجهد البشري، وفي تقديم المفعول به (حقَّه) على الفاعل (المجتهدون)، يركز الإمام علي (عليه السلام) على حقّ الله سبحانه وتعالى العظيم الذي يفوق تصور الإنسان وقدرته مهما اجتهد وأخلص، ومن هنا يتضح ما للتقديم من فائدة

عظيمة؛ إذ أعطى حصرًا للمعنى في بيان كمال الله سبحانه وتعالى، وأنَّه لا يمكن إدراكه أو تصوره، أو الإحاطة به؛ لذا نجد أنَّ التقديم قد أسهم في ترابط النص عبر تسليط الضوء على ما يخص الله عزَّ وجلَّ من (المدح، والنعم، والحق)، فالتقديم هنا جاء مخالفًا للمألوف من تركيب الجملة العربية، وقد جعل المتلقي يكرس اهتمامه على عجز المخلوق لعظمة الخالق.

و من كلام له (عليه السلام) للخوارج لَمَّا سمع قولهم: لا حكم إلّا لله: «قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لله وَلَكِنَّ هَؤُلاَءِ يَقُولُونَ لاَ إِمْرَةَ إِلاَّ لله وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ اَلْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا اَلْكَافِرُ وَيُبَلِّغُ اَللهُ فِيهَا اَلْأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ اَلْفَيْءُ وَيُقَاتَلُ بِهِ اَلْعَدُوُّ وَتَأْمَنُ بِهِ اَلسُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ اَلْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ (عليه السلام) لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ حُكْمَ اَللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ وَقَالَ أَمَّا اَلْإِمْرَةُ اَلْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا اَلتَّقِيُّ وَأَمَّا اَلْإِمْرَةُ اَلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا اَلشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ»[٣٠].

بعد أن نشبت الفتنة والخلافات في زمن الإمام علي (عليه السلام)، جاء دور حكمته في درء الفتن ولاسيَّما مع الخوارج الذين رفعوا شعار: (لا حكم إلّا لله)، وهي كلمةُ حقٍّ يُراد بها باطل، كما وصفها (عليه السلام)، وهذه العبارة جاءت لتبرير العصيان والخروج عن طاعته (عليه السلام)، ويركّز الإمام في خطبته هذه على كثير من الأمور، لعلَّ أهمها هو ضرورة أن يكون للناس حاكم تقيّ، يعمل بتعاليم الله سبحانه وتعالى، فالإمارة البرّة هي الحكم الذي يقوم على العدل والتقوى. وفي ظل هذا الحكم، تتحقق العدالة ويعم الأمن، أمَّا الإمارة الفاجرة، فهي الحكم الجائر الذي يفتقد إلى العدل

والتقوى، وفيه يحكم الفاسدون المتقين، فتكون النهاية هي الظلم والفساد.

والمتأمّلُ في نص الخطبة يجد كسرًا للترابط الرصفي؛ إذ تقدَّم المفعول به (حُكمَ) على الفعل والفاعل (أنتظرُ)، وهذا التقديم له دلالات كثيرة منها:

١) بيان أهمية حكم الله، ففي تقديم المفعول به يكون المتلقي أكثر تركيزًا واهتمامًا على المتقدِّم.

٢) محور أساس الخطبة هو (حكم الله)؛ لذا قُدِّمَ، لتأكيد أنَّ ما يُنتظَر ويُرجى هو عدالة الله المطلقة.

٣) تقديم المفعول به (حكم الله) أفاد التخصيص؛ أي أنَّ المنتظر ليس حكم الفجرة الكفرة، بل هو حكم الله تحديدًا.

٤) التقديم يعكس تعلّق الإمام (عليه السلام) الروحي والنفسي بحكم الله سبحانه وتعالى؛ إذ تجده ينطق بكل جوارحه وما يدور في وجدانه من أمل في حكم الله، ففيه تتحقَّق العدالة.

وقد تتقدَّم الحال على صاحب الحال، والأصل في ترتيبها التأخير، وهذا التقديم ورد أيضًا في القرآن الكريم؛ إذ تتقدَّم الحال على صاحبها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١]، فقد تقدَّمت الحال (متكئين) على صاحبها (واو الجماعة) في كلمة (يدعون)، وقد ورد التقديم في خطب نهج البلاغة، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في خطبة له «اَلْحَمْدُ لله اَلَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدَلِيلاً عَلَى آلاَئِهِ وَعَظَمَتِهِ عِبَادَ اَللهِ إِنَّ اَلدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ وَلاَ يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ اَلزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي اَلظُّلُمَاتِ»[٣١].

المتأمّل في قول الإمام (عليه السلام) يجد أنَّه يُظهرُ وعظًا عميقًا عن ضرورة

فهم الإنسان لسرعة الزمن، والاعتبار بمن مضى، والاهتمام بإصلاح الذات بدلًا من الانشغال بأمور الآخرين؛ لذا يحذّر الإمام (عليه السلام) الناس بعبارة موجزة (فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات)، فالعناية بالنفس والانشغال بها أولى من الانشغال بالآخرين، فهو يجلب الحيرة في الظلمات.

وقد جاءت الحال مغايرة للمألوف في هذه الخطبة؛ إذ تقدَّمت الحال (سرمدًا) على صاحبها (ما) الاسم الموصول، وإذا ما تأملنا في هذا التقديم نجد مظاهر عدة لارتفاع الكفاءة الإعلامية يمكن الإشارة إليها عن طريق ما يأتي:

١) بتقديم الحال "سرمدًا" على صاحبها، يُلفت الإمام (عليه السلام) انتباه المتلقي إلى استحالة بقاء أي شيء في هذا العالم بصفة أبدية.

٢) بيَّنَ التقديم حال الأشياء وأعطى انطباعًا بأنَّ الديمومة المطلقة للأشياء أمر مستحيل، وهو المعنى الأساس في هذا السياق.

٣) يجذب التقديم انتباه المتلقي إلى فكرة زوال الدنيا وما فيها، ويعزز من وقع العبارة، ممَّا يضيف موسيقية إلى النص.

٤) تقديم الحال (سرمدًا) على صاحبها يخصص المعنى، ويجعل صفة البقاء غير الدائم جوهر الرسالة التي يريد الإمام إيصالها.

وممَّا سبق يتضح لنا كيف أثرت إعلامية النص على المتلقي؛ إذ جعلته متشوقًا مترقبًا؛ إذ يحاول ربط عناصر النص، وربط المتأخر بالمتقدّم، ((فتغير مواقع المفردات والعبارات في حركتها الأفقية في النص يأتي لإفادة تقوية الحكم وتوكيده وتقريره في مواجهة شك المتلقي، ويفضي إلى جِدّة في طريقة العرض، لإحداث مفاجآت وكسر للتوقع ممَّا يؤدي إلى البحث عن المعنى))[٣٢].

المبحث الثاني:

إعلامية التناص في نهج البلاغة

التناص: هو علاقة بين نصين أو أكثر، وهذه العلاقة تؤثر بشكل أو بآخر على طريقة قراءة النص المتناص؛ أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى، ولعل أغلب الباحثين يتفقون على أنَّ التناص يعني استحضار نص لنص آخر، ويعني أيضًا تلك العناصر الموجودة في نص ما، وتربطه بنصوص أخرى، وبذلك تتشكل النصوص من نصوص أخرى وتنبني كذلك من مضامينها[٣٣]، ويرى بعض الدارسين للتناص أنَّه ضرورة، وعنصر لا بُدَّ منه في جميع النصوص؛ لذا يقول محمد الأخضر الصبيحي: ((لمّا كان التناص عنصرًا قارًّا في كل النصوص. ولمَّا كان أحد أهداف علم النص تحديد مقومات الخطاب، فلا يمكن إذًا، وبأية حال من الأحوال، التغافل عن هذه الظاهرة النصية الهامة))[٣٤]، ويرى دكتور صلاح فضل أنَّ النص عملية إنتاجية تعني أمرين: أحدهما: علاقته باللغة التي يتموقع فيها، وثانيهما: أنَّ النص يمثل عملية استبدال من نصوص، أي عملية تناص، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، الأمر الذي يجعل بعضها يقوم بتحييد النصوص الأخرى ونقضها[٣٥].

ويُعَدُّ التناصُّ (Intertextuality) من الظواهر الأدبية التي تعني تداخل النصوص؛ إذ تحتوي النصوص على إحالات، واقتباسات، أو تلميحات لنصوص أخرى. وهذه الظاهرة ترفع الكفاءة الإعلامية للنص وبطرق عدة منها ما يأتي:

١) يعزز التناص الفهم والمعرفة المشتركة، فعندما يتضمن النص تناصًا مع نصوص أخرى دينية مثل القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، أو أدبية مثل الشعر العربي القديم، أو النصوص

الأدبية الكبرى، فإنَّه يُفعّل ذاكرة المتلقي؛ الأمر الذي يُضفي عمقًا دلاليًّا، ويجعل النص ذا كفاءة إعلامية عالية؛ لأنه يربط بين محتواه وموروثه الديني، أو الثقافي أو المعرفي.

٢) يساعد التناص على إضافة مستويات متعددة من المعنى؛ وهذا من شأنه جعل النص غنيًّا بالدلالات.

٣) يثير التناص فضول القارئ؛ إذ يجعله مترقبًا لمعرفة العلاقة بين النص الحالي والنص المتناص الذي أُشير إليه؛ ممَّا يجعل مستوى التفاعل بين المتلقي والنص مرتفعًا، وبذلك يزيد من إعلاميَّته.

٤) استعمال التناص مع نصوص دينية، وأدبية، ومعرفية، يجعل من النص أكثر ثقلًا معرفيًّا وأدبيًّا؛ لذا يبدو أكثر قوةً وإقناعًا بالنسبة إلى المتلقي.

٥) يُبيّنُ التناص فهم المرسل وإدراكه للسياق الثقافي والاجتماعي الذي ينتمي إليه النص. ويكون ذلك عن طريق استحضار نصوص أخرى؛ إذ يُظهر باثُّ النص مهارته ووعيه بالعالم الذي يتحدَّث عنه، ممَّا يرفع من كفاءة النص الإعلامية.

والتناصّ في نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يظهر بشكل جلي في خطبه ورسائله وحِكمه؛ إذ يعتمد على الإحالة إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشعر العربي القديم. وهذه الإحالات تعطي النص عمقًا بلاغيًّا ودلاليًّا، وتبيّن ثراء الثقافة الإسلامية والعربية.

وممَّا جاء في خطب الإمام (عليه السلام)، وقد تضمَّنت تناصًا قرآنيًّا؛ إذ يقول في خطبةٍ له بعد مقتل طلحة والزبير: «**اَلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ اَلْعَجْمَاءَ ذَاتَ اَلْبَيَانِ عَزَبَ [غَرَبَ] رَأْيُ اِمْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي اَلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسَى (عليه السلام) خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ اَلْجُهَّالِ**

وَدُوَلِ اَلـضَّلالَ اَلْيَـوْمَ تَوَاقَفْنَـا عَلَى سَـبِيلِ اَلْحُـقِّ وَاَلْبَاطِلِ مَـنْ وَثِـقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ»[٣٦]، المتأمل في الخطبة يجد أنَّ الإمام (عليه السلام) يستعملُ أسلوبًا خطابيًّا رفيعًا يجمع بين الإشارة الرمزية، والتناص الديني، والوضوح البلاغي؛ لبيان الحقائق الكبرى. ولعل في النص دلالات كثيرة نوضح أبرز ما فيه:

١) يستعملُ الإمام (عليه السلام) استعارةً؛ إذ يشير إلى أنَّ العجماء التي لا نطق لها ستنطق بالحقائق الواضحة، فهي مع غموضها جلية لأولى الألباب، فكأنَّها تنطق كما ينطق ذوو الألسنة.

٢) في قوله: "لم يوجس موسى خيفةً على نفسه" يتناص مع القرآن الكريم، لكنه يُحوِّر الفكرة لإبراز ثقة الإمام علي (عليه السلام) بالحق. يشير إلى أنَّ الخوف الذي اعترى موسى لم يكن خوفًا على نفسه، بل هو خوف وقلق من الفتنة والشبهة على مجتمعه ودينه.

٣) التوازن بين الحق والباطل، ففي قوله: (اَلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ اَلْحَقِّ وَاَلْبَاطِلِ)، اليوم اتضح الحق والباطل وعرفناهما نحن وأنتم، فهو تعبير عن لحظة فاصلة تتجلّى فيها الأمور بوضوح لا خلط فيه ولا التباس.

ورد التناص في قوله: (لم يوجس موسى خيفةً على نفسه) وهو تناص قرآني غير مباشر مع الآية القرآنية المباركة: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ [طه: ٦٧]، فقد ذكر الإمام (عليه السلام) جزءًا من النص المقتبس مع تغيير في ألفاظه وبما يتناسب مع سياق الخطبة؛ إذ إنَّ استلهام معاني القرآن الكريم، أو ألفاظ آياته يجعل التواصل بين منتج النص والمتلقي تواصلًا ناجحًا، فهو (أي التناص) يعطي النص ثقلًا أدبيًّا، وعمقًا دينيًّا وتاريخيًّا، وهذا ما يجعله نصًّا مؤثرًا وموجهًا نحو الهداية والإرشاد.

ومن التناص المباشر في خطب الإمام (عليه السلام) ما جاء في خطبة

لـه يـذم فيهـا اخـتلاف العـلماء في الفتيـا، فيقـول: «أَفَأَمَرَهُـمُ اَللهُ تَعَـالَى سُـبْحَانَهُ بِالِاخْـتِلَافِ فَأَطَاعُـوهُ أَمْ نَهَاهُـمْ عَنْـهُ فَعَصَـوْهُ أَمْ أَنْـزَلَ اَللهُ سُـبْحَانَهُ دِينـاً نَاقِصـاً فَاسْـتَعَانَ بِهِـمْ عَلَى إِتْمَامِـهِ أَمْ كَانُـوا شُـرَكَاءَ لَـهُ فَلَهُـمْ أَنْ يَقُولُـوا وَعَلَيْـهِ أَنْ يَـرْضَى أَمْ أَنْـزَلَ اَللهُ سُـبْحَانَهُ دِينـاً تَامّـاً فَـقَصَّرَ اَلرَّسُـولُ (صلى الله عليه وآله) عَـنْ تَبْلِيغِـهِ وَأَدَائِـهِ وَاَللهُ سُـبْحَانَهُ يَقُـولُ: ﴿مـا فَرَّطْنـا فِي اَلْكِتـابِ مِـنْ شَيْءٍ﴾ وقـال: ﴿فِيـهِ تِبْيَـانٌ لِـكُلِّ شَيْءٍ﴾ وَذَكَـرَ أَنَّ اَلْكِتَـابَ يُصَـدِّقُ بَعْضُـهُ بَعْضـاً وَأَنَّـهُ لاَ اِخْـتِلَافَ فِيـهِ فَقَـالَ سُـبْحَانَهُ: ﴿وَلَـوْ كانَ مِـنْ عِنْـدِ غَيْرِ اَللهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اِخْتِلافـاً كَـثِيراً﴾ وَإِنَّ اَلْقُـرْآنَ ظَاهِـرُهُ أَنِيـقٌ وَبَاطِنُـهُ عَمِيـقٌ لاَ تَفْنَـى عَجَائِبُـهُ وَلاَ تَنْـقَضِي غَرَائِبُـهُ وَلاَ تُكْشَـفُ اَلظُّـلُمَاتُ إِلاَّ بِـهِ»[٣٧]، يلحـظ مـن الخطبـة أنَّهـا تتنـاول تسـاؤلات عـدة تحمـل أبعـادًا عميقـة، فالإمـام (عليـه السـلام) يطـرح مجموعـة تسـاؤلات، وهـذه التسـاؤلات لا يُـراد بهـا أجوبـة، بـل هـي تسـاؤلات خرجـت لغـرض بلاغـي، أريـد بـه توبيـخ مـن لم يعمـل بتعاليـم الدِّيـن الإسلامـي وشرائعـه، وهـذه الأسـئلة تركـز بوضـوح على أنَّ الاختلافـات والتفسـيرات الخاطئـة للدِّيـن ليسـت بأمـرٍ إلهـي، بـل نتيجـة أهـواء بشريـة، وليـس النقـص في الدِّيـن أو الشريعـة الإسلاميـة المحمَّديـة؛ لـذا اسـتعمل التنـاص المبـاشر في قولـه تعـالى: ﴿مـا فَرَّطْنـا فِي اَلْكِتـابِ مِـنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعـام: ٣٨]، وغير المبـاشر في قولـه: ﴿فِيـهِ تِبْيَـانٌ لِـكُلِّ شَيْءٍ﴾؛ إذ تنـاص مـع قولـه سـبحانه وتعـالى: ﴿وَنَزَّلْنَـا عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ تِبْيَانًـا لِّـكُلِّ شَيْءٍ وَهُـدًى وَرَحْمَـةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْـلِمِينَ﴾ [النحـل: ٨٩]، ليـبيّن أنَّ الشريعـة المحمَّديـة شريعـة متكاملـة لا نقـص فيهـا، وهـذه الخطبـة ليسـت خطابًـا وعظيًـا وحسـب، بـل هـي دعـوة للتدبّـر العميـق في النصـوص الدينيـة، وفهمهـا فـهمًا صحيحًـا بعيـدًا عـن التـأويلات السـطحية أو المغرضـة. وهـي دعـوة أيضًـا للرجـوع إلى القـرآن

وفهم نصوصه وأحكامه، بوصفه مصدرًا نهائيًّا وشاملًا للهداية.

ومن هنا يمكن القول: إنَّ التناص الديني المباشر وغير المباشر في الخطبة أظهر القرآن الكريم كتابًا شاملًا لا يشوبه النقص، وهو مصدر تام للتشريعات كلّها، والتناص مع النص القرآني المقدّس يربط الخطبة بالسياق الثقافي الذي يكون فيه المتلقي مستقبلًا للنصوص القرآنية كمرجع أعلى؛ لذا يتحقق الاندماج بين نص الخطبة وعقلية المتلقي، فيُصبح النص أكثر كفاءة إعلامية، وأكثر قوة وتأثيرًا.

ومن خطبة له (عليه السلام) «اَلْحَمْدُ لله اَلْأَوَّلِ فَلاَ شيءَ قَبْلَهُ وَاَلآخِرِ فَلاَ شيءَ بَعْدَهُ وَاَلظَّاهِرِ فَلاَ شيءَ فَوْقَهُ وَاَلْبَاطِنِ فَلاَ شَيءَ دُونَهُ»[٣٨].

المتأمل في خطبة الإمام (عليه السلام) يجد معاني عقدية أهمها:

١) لفظة (الأول): تؤكد على أزلية الله (سبحانه وتعالى)، فهو الذي لا بداية لوجوده.

٢) لفظة (الآخر): يظهر أبدية الله، وأنَّه (سبحانه وتعالى) موجود، لا نهاية له.

٣) لفظة (الظاهر): تدل على علوه (سبحانه)، وظهوره في بديع خلقه وآياته.

٤) لفظة (الباطن): تعبيرٌ عن إحاطة الله (سبحانه وتعالى) بكل شيء، فهو العالم بما في البواطن والمكنونات.

ويلحظ أيضًا التقابلات الموجودة؛ إذ نجد هناك تناسبًا بلاغيًّا، وتقابلًا بين الكلمات، مثل (الأول)، و(الآخر)، و(الظاهر) و(الباطن)، الأمر الذي يخلق توازنًا جماليًّا ومعنويًّا، ويلحظ أيضًا تناصًّا مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فقد وظَّف الإمام علي (عليه السلام) التناص توظيفًا جعل المفاهيم الدينية مرتبطة بالتعبير البلاغي، ممَّا يُظهرُ مكانة

هـذه الصفـات في العقيـدة الإسلاميـة، والتـذكير بـأسماء الله الحسـنى يجعـل المتلقـي مرتبطًـا بالنـص؛ إذ يسـاعد على فهـم شـامل لبعـض أسماء الله، ممَّـا يرسـخ معـاني التوحيـد، وكل مـا ذكـر يزيـد مـن كفـاءة إعلاميـة النـص؛ إذ تجعـل المتلقـي مترقبًـا متشـوقًا لربـط نـص الخطبـة بالنـص القـرآني الأمـر الـذي يعـزّز الفهـم ويثـري المعنـى ويوسـع قاعـدة المتلقـي في النصـوص القرآنيـة المتناصـة، وبهـذا يكـون التنـاص قـد شـكل ركيـزة قويـة جعلـت النـص حيًّـا وفعـالًا.

الخاتمة:

١) تـدور معـاني الإعلاميـة حـول الإعلام والإخبـار والإبلاغ، وعلى تفاعـل المتلقـي مـع عنـاصر النـص غير المتوقعـة.

٢) درجـة ارتفـاع إعلاميـة النـص تعتمـد إلى حـدٍّ كبير على تنـوع المعلومـات وجدتهـا، فـكلما توقـع المتلقـي عنـاصر النـص انخفضـت إعلاميتـه، والعكـس صحيـح، بشرط ألّا ينعـدم التواصـل بين مرسـل النـص والمتلقـي.

٣) يُعَـدُّ كتـاب نهـج البلاغـة نصًّـا غنيًّـا بالكفـاءة الإعلاميـة؛ إذ يحمـل في طياتـه معـاني عميقـة وأفـكارًا تتجـاوز حـدود الزمـان والمـكان.

٤) اسـتعمل الإمـام (عليـه السـلام) التقديـم والتـأخير بـكل أشـكاله لـكسر توقـع المتلقـي وشـدّ انتباهـه، ثـم ليبيّن مـا يريـده في خطبـه.

٥) ربـط نصـوص الخطبـة بالنـص القـرآني يعـزّز الفهـم ويثـري المعنـى ويوسـع قاعـدة المتلقـي في النصـوص القرآنيـة المتناصـة، وبهـذا يكـون التنـاص قـد شـكَّل ركيـزة قويـة جعلـت النـص حيًّـا وفعـالًا.

الهوامش

(١) ينظر: الاتصال وأشكاله المختلفة، أحمد بن مرسلي، بحث منشور، حوليات جامعة الجزائر: ٨٢.

(٢) ينظر: فن العلاقات العامة والإعلام، إبراهيم إمام: ١٨٦.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٢٨٨.

(٤) الاتصال وأشكاله المختلفة: ٨٤.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري: مقدمة الكتاب.

(٦) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري: مقدمة الكتاب.

(٧) ينظر: الإعلامية أبعادها وأثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية، محمد عبد الرحمن إبراهيم: ٢٧.

(٨) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، ديبوغراند وآخرون: ٣٣.

(٩) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني: ١١١.

(١٠) مدخل إلى علم اللغة النصي: ٨٠.

(١١) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي: ٨٦.

(١٢) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان: ٢٣.

(١٣) ينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج: ٦٦-٦٨.

(١٤) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٢٥١.

(١٥) المصدر نفسه: ١٣٦.

(١٦) الإعلامية في الخطاب القرآني، دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء البرقعاوي: ٧٥.

(١٧) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ١٠٦.

(١٨) الخصائص، ابن جني: ٢/ ٣٨٤.

(١٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٦٢.

(٢٠) شرح نهج البلاغة: ١٨/ ١٣٢.

(٢١) المصدر نفسه: ١٨/ ١٣٢.

(٢٢) تهذيب اللغة، الأزهري: ١/ ٢٢٠.

(٢٣) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٣٨.

(٢٤) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٧٥.

(٢٥) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ١١.

(٢٦) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ١١.

(٢٧) إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة، عباس

علي حسين الفحام: ١٢٩.

(٢٨) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٨.

(٢٩) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٠٥.

(٣٠) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٨١.

(٣١) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٦٩٣.

(٣٢) الإعلامية في الخطاب القرآني: ٧٥.

(٣٣) ينظر: نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٩٤.

(٣٤) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي: ١٠٤.

(٣٥) ينظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل: ١٦٢.

(٣٦) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٧٢.

(٣٧) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٠٩.

(٣٨) شرح نهج البلاغة: ٧/ ٦٧.

المصادر والمراجع:

أوّلًا: القرآن الكريم

- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة في علم البيان: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الإعلامية في الخطاب القرآني، دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء البرقعاوي، ط١، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ٢٠١٨.
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري، (ت ٣٧٠ هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الخصائص: أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
- فن العلاقات العامة والإعلام، إبراهيم إمام، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
- مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص): زتسيسلاف واورزنياك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم لغة النص: (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وفولفانج دريسلر): إلهام أبو غزالة، وعلي خليل أحمد، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح شبيب العجمي، النشر العلمي للمطابع، جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م.
- مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٢.

■ نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

■ النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

■ نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: حسام أحمد، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

الرسائل والأطاريح:

■ الإعلامية، أبعادها وأثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية، محمد عبد الرحمن إبراهيم، أطروحة دكتوراه، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠٠٧م.

البحوث المنشورة:

■ إبلاغية الإشارة في نهج البلاغة، عباس علي حسن الفحام، وسام جمعة لفتة، نور ياسين كريم، بحث منشور، مجلة المبين، العراق، العدد ١٥، ٢٠٢٢م.

■ الاتصال وأشكاله المختلفة، أحمد بن مرسلي، بحث منشور، حوليات جامعة الجزائر، ج١، رقم١١، الجزائر، ١٩٩٨م.

قال رسول الله
علي مع الحق والحق مع علي
اسد الله الغالب
حيدر الكرار
ابن عم الرسول
راس الاولياء
سيد الفقراء
باب حطة
من دخل
منه كان
مؤمنا
ابو تراب
زوج البتول
يا علي
محمد الرسالي
انا وانت من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى

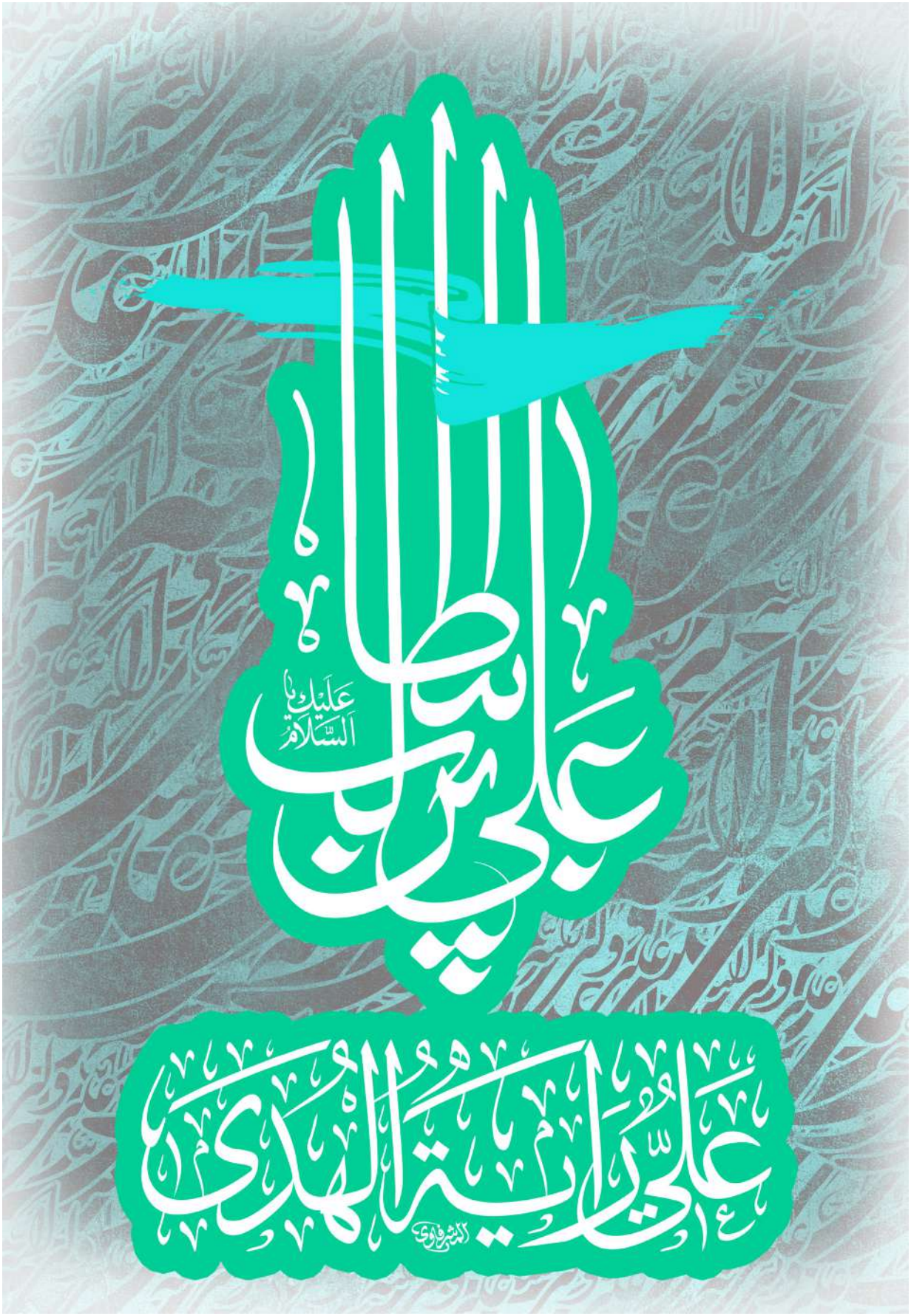
علیک یا سلام
علی ولایة الهدی
الشیرازی

الابستمولوجيا ورهانات المعرفة في نهج البلاغة

Epistemology and the Stakes of Knowledge in Nahj al-Balagha

أ. م. د. مسار غازي شناوة

كلية التربية الأساسية- جامعة سومر- قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Masar Ghazi Shanawa

Department of Arabic Language College of Basic Education University of Sumer

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012406

ملخص البحث

يعزو كثير من الباحثين ظهور الابستمولوجيا (نظرية المعرفة) بوصفها علمًا متكاملًا ومكتوبًا إلى الفيلسوف الانجليزي التجريبي جون لوك (ت: ١١١٦هـ، ١٧٠٤م) في كتابه "مقالة في الفهم البشري". فيما يربطها العرب المسلمون بالعلّامة محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م) في كتابه (أصول الفلسفة والمذهب الواقعي). ولكن عند التفتيش والبحث في نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نجد أنَّه المؤسس الأول لهذه النظرية، وهذا ما تسعى هذه الدراسة إثباته؛ ذلك أنَّ التأمّل في نصوص نهج البلاغة نجدها تناقش أربعة مجالات معرفية مهمَّة تتكلّل بالعلاقة مع الله أوَّلًا، والعلاقة مع الذات ثانيًا، والعلاقة مع سائر البشر ثالثًا، والعلاقة مع الطبيعة رابعًا، ولو أردنا وضع تلك النصوص ضمن مجال رقمي محدّد نجدها تتوزّع في نهج البلاغة على (١١٠) نصوص معرفيَّة تمثل معالجةً جذريةً للأمور، مبنية على نظر فلسفي عميق، وعلى نفاذ إلى كنه الحياة وفهم لحقيقتها وتطوراتها. وهو ما تقوم عليه النظرية المعرفية في الأصل.

الكلمات المفتاحية: الابستمولوجيا، نظرية المعرفة، علي بن أبي طالب، المؤسس للابستمولوجيا

Abstract

Many researchers attribute the emergence of epistemology, or the theory of Knowledge, as an integrated and written science to the English empiricist philosopher John Locke (d.1704) in his hook An Essay Concerning Human Understanding. In contrast, Arab and Muslim scholars often trace its systematic development to Allameh Muhammed Hussain Al-Tabatabai (d. 1981) in his work The Origins of Philosophy and Realism. However, through a deep examination of Nahj al-Balagha by Iman Al; (Pb), we find that he was in fact the earliest founder of this epistemological theory. This is precisely what the present study seek to demonstrate. A Careful Contemplation of the texts of Nahj al-Balagha reveals that they discuss four essential domains of knowledge: the relation with Allah (first), with self (second), with other human beings (third), and with nature (fourth).

If we attempt to enumerate these epistemological passages, we find 110 texts distributed throughout Nahj al-Balagha, each of which offers a profound and foundational treatment of issues based on a deep philosophical vision, a penetrating understanding of the essence of life, and an awareness of its truths and transformations which together constitute the very basis of epistemological theory.

Keywords: Epistemology, Knowledge Theory, Ali ibn Abi Talib, Founder of Epistemology

مهاد نظري

الابستمولوجيا في المفهوم والدلالة

الابستمولوجيا بوصفها مفهومًا في حمولته اللغوية يعود إلى اليونانية، يتكون من كلمتين (ابستمي)، وتعني (علم)، و(لوغوس)، وتعني علم أيضًا، وبهذا فهي تعني لغويًّا (علم العلوم)[1]، ولا يبتعد معناها الاصطلاحي عن اللغوي كثيرًا، فهي ((نظرية في المعرفة، تبحث في كل معارف الإنسان وأنواعها، وتحديد صحتها وسقمها وبيان المعيار في ذلك))[2].

فالنظرية الابستمولوجيا هي علم يبحث عن حقيقة المعرفة الإنسانية وقيمتها وأدواتها، وما يرتبط بتلك العوارض بوصفها مراحل للمعرفة وحدودها وموانعها، وغير ذلك[3]، وهي من العلوم التي عكف عليها الغربيون في ستينيات القرن العشرين، إذ ربطها معظم الباحثين بالفيلسوف (كارل بوبر) على أثر تميزه بابستمولوجيا نسقية تقوم على أسس منطقية، واستمولوجيا منهجية مثلت عقلانيته النقدية، ونمو المعرفة وفلسفته التكذيبية، وتبعه مجموعة من طلبته بعد ذلك ممَّن حاول إرساء دعائم هذه النظرية، ويرى بربر أنَّ المشكلة الابستمولوجيا الأولى هي نمو المعرفة وتقدّمها، مؤكدًا أهمية العوالم الثلاثة للمعرفة وكيفية تداخلها وتفاعلها مع بعضها بعضًا، ويميز بربر في نظريته المعرفية بين ثلاثة عوالم هي: عالم الموضوعات أو الحالات الفيزيائية، وعالم الحالات العقلية، وعالم المحتوى الموضوعي للفكر، ولاسيَّما الأفكار العلمية[4].

ولو عدنا بالبحث وفتشنا في نهج البلاغة نجد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو الواضع الأول لأسس النظرية المعرفية، إذ يمثل ظاهرة استثنائية في تجاوزها حدود الزمان، وفي اختراق حدود العقل البشري.

وهذا ما قال به كثير من الباحثين

على الصعيدين الشرقي والغربي، إذ يذهب المفكر المسيحي "جورج جرداق" إلى أنَّ ((الحكمةَ... إنَّما هي من آثار الإمام علي، فإنَّ له في ذلك ما يجعل له مركزًا جليلًا بين حكماء الأمم وأفذاذ التاريخ))[٥]، فيما يذهب الباحث اليوغسلافي "أسعد دوراكوفيتش" إلى أنَّ ((فكر الإمام علي الخلّاق وعبقريته العظيمة التي كانت تحلق تارة في السماء، وتغوص تارة أخرى في غياهب الأرض ومتاهات الطبيعة، يخلقان في ذهن أي باحث أو مفكر جوًّا من الإقرار بالعجز عن إعطاء شخصية الإمام علي حقّها من الاحترام والتقدير، فعقل الإمام علي الذي كان يتسع دائمًا بما يحمله من علوم وأسرار ومعارف ونظريات فلسفية وعلمية وسياسية، واقتصادية، لهو عقل لو باح صاحبه بكل ما فيه من علم وفكر لحدث ما لم تسمع به أذن، ولم تبصره وتدركه عين))[٦].

أمَّا الفيلسوف الفرنسي "لويس غاردية"، فيؤكد أنَّ ((أهل البيت (عليهم السلام) عمومًا، وعلي خصوصًا هم الورثة الحقيقيون لعلوم ومعارف الرسل والأنبياء، لا في أخلاقهم وخصالهم العالية فحسب، بل في علومهم ومعارفهم، وفي إدراك حقائق كونية كثيرة يعجز الآخرون عن إمكانية إدراكها والوقوف على حقيقتها))[٧].

وأشار المستشرق الفرنسي "هنري كوربان" إلى أهمية كتاب (نهج البلاغة)، وأنَّه يأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ليس على المستوى الإسلامي الشيعي فحسب، بل على المستويين الإسلامي والعربي عمومًا. ولذلك يمكن القول إنَّ الكثير من المفكرين والأدباء والباحثين يؤمنون اليوم أنَّ كتاب (نهج البلاغة) من الآثار اللغوية والبلاغية العظيمة للإمام علي (عليه السلام) الذي أعطى

اللغة العربية صيغتها النهائية وألبسها ثوب البلاغة البديع[٨].

ويستفيض الأديب "عبد المسيح الأنطاكي" في الحديث عن قوة الإمام علي الإعجازية دراسة وتحليل واستنتاج، مؤكدًا أنَّ الإمام علي (عليه السلام) هو سرُّ الله المصون وكنزه المكنون الذي تعجز الألباب عن فهم كنهه وإدراك حقيقته الولائية[٩].

وما لا ينكره القاصي ولا الداني أنَّ عليًّا (عليه السلام) هو الذي أعطى الإنسان قيمته الوجودية الحقيقية ورفعه إلى مستوى التطبيق العملي؛ لقوله (عليه السلام) المشهور: «اَلْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا اَلرُّبُوبِيَّةُ»[١٠]، والذي يعني عين قوله في حديث آخر له (عليه السلام): «لاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اَللَّهُ حُرّاً»، وليس خطأً القول أنَّ الفكر الأوروبي قد أفاد كثيرًا من فكر الإمام علي (عليه السلام)، وكذلك الحال بالنسبة إلى التيارات الفكرية الإنسانية في أمريكا، وعندما نقول ذلك فإنَّنا لا نمنن الأوروبيين، ولا الأمريكيين بذلك؛ ذلك أنَّ الإمام علي (عليه السلام) في نهاية المطاف هو إمام كوني، وليس إمامًا مقتصرًا في إمامته على المسلمين حسب. وهذا بشهادة الأوروبيين أنفسهم[١١].

يذهب المفكر والفيلسوف الأمريكي "ايمرسون" الذي كان بمنزلة الأب الروحي لعملية استقلال أمريكا عن بريطانيا العظمى، كان هذا الفيلسوف شديد التأثر بمبادئ الإمام علي (عليه السلام) الإنسانية وبمنظومته الفكرية الشاملة، وحاول أن ينقل شيئًا من أفكار الإمام علي ومبادئه إلى عقول الشعب الأمريكي وقلوبهم عبر مقالاته وقصائده ومؤلفاته الفكرية الأخرى[١٢]، وكان الفيلسوف الأمريكي ايمرسون يؤمن بأنَّ كل إنسان هو باب ومدخل إلى العقل الكوني، وكان على صله وثيقة بالإمام الكوني، وبكل

كلمة من كلماته الخالدة، وقد صرَّح بذلك في مقال له بعنوان: (الذات الحق) عندما اطلع على كلمات حكيم الإسلام (عليه السلام)، فحاول تغيير فكره وكيانه، وكانت الومضة المضيئة، وولادة الشخص الذي يعدل مدينة أو قارة[١٣].

وإذا أثر الإمام علي في الفيلسوف والشاعر الأمريكي ايمرسون كل هذا التأثير؛ فإنَّ المفكر الألماني "جرهارد كونسلمان" أكَّد في كتابه (سطوع نجم الشيعة) على حقيقة أنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد استطاع أن يكون الإمام الإنساني الكامل طوال فترة حكمه وولايته على المسلمين[١٤].

الشخصية الفو إنسانية للإمام علي (عليه السلام) التي تجاوزت كل الموازين والمعايير في الإيمان والفكر والعلم والدِّين والدنيا، فضلًا عن الشجاعة والبطولة المتوجة بقوة الحرف وبلاغة الكلمة التي يعدّها الكثير من المفكرين الغربيين هي الكلمة المرادفة لبلاغة الكلمة القرآنية المنزلة. كل ذلك ساهم في إعادة الهيكلة النفسية للشاعر الفرنسي الألماني (جوته)، ممَّا جعله في نهاية المطاف نتيجة لإبحاره العميق في بحر معرفه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والإمام علي وفي المبادئ والتعاليم التي نادى بها طوال حياته التي تصلح أن تكون دائمًا دستورًا ثابتًا للمجتمع الإنساني، كل ذلك جعل جوته يرى فيه الممثل الحقيقي للإسلام الذي أراده النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي الوصي (عليه الصلاة والسلام) وللدّين الإنساني الشامل الذي يمثل العروة الوثقى لتربط وتجذب بقوة الإيمان والعمل أهل الأرض نحو عالم الصفاء والخلاص والرحمة في رحاب السماء[١٥]، ولعل هذا كان السبب المباشر في وضع مسرحيته (تراجيديا محمد) على لسان الإمام علي (عليه السلام)، تلك المسرحية التي تفيض

رقة وعذوبة، وهي تفصح عن دور الإمام علي (عليه السلام) الإيماني، إلى جانب زوجته فاطمة الزهراء (عليها السلام) في محاولتهما الصادقة لجعل الدين الجديد بحسب جوته ينتشر خارج حدود القبيلة والعشيرة[١٦].

الابستمولوجيا وتمثلاتها في نهج البلاغة

التمثل الأول: الإمام علي بن أبي طالب والحجة الوجودية

ذهب كثير من المحدثين إلى أنَّ الراهب الإيطالي "أنسلم/ ANSELM (١٠٣٣- ١١٠٩) هو أول من قال بهذه الحجة، وهو رئيس الأساقفة في "كانتربيرغ". وذهب إلى أنَّ علم الوجود "Ontology"، وهو فرع من الميتافيزيقيا، يركّز على الحقيقة الجوهرية للوجود، والحجة تحاول أن تبيّن هذه الحقيقة الجوهرية كونها جزءًا من الطبيعة الضرورية لوجود الله، ويقارن أنسلم بين نوعين من الأفكار. الفكرة عن شيء موجود فعلًا، والفكرة عن الشيء نفسه، ولكنَّه غير موجود، محاولة منه لإثبات أنَّ الفكرة عن شيء موجود فعلًا هي أعظم وأكثر كمالًا، للوصول إلى إثبات أنَّ الله عظيم يستحيل التفكير بشيء أعظم وأكثر كمالًا (وهذا جزء من التعريف بالله عند أنسلم) الذي يرى أنَّه لا يمكن أن نفكّر بشكل متسق بالله على أنَّه غير موجود، عندما تكون فكرتنا عن كائن غير موجود فعلًا[١٧]، في الوقت ذاته قدَّم أبو الفلسفة الحديثة وصاحب نظرية (الشك المنهجي) "رينيه ديكارت" في كتابه "تأملات في الفلسفة الأولى" صيغة معدلة لهذه الحجة تنص على: يمتلك الله بالتعريف كل الكمال/ الوجود بالضرورة كمال/ لذلك الله موجود بالضرورة، يقول: ((الله جوهر لا متناه خالد ثابت قائم بذاته واسع القدرة. وهذه الصفات بلغت في العلو قدرًا يجعل من المستحيل أن أكون قد اكتسبت من نفسي الفكرة التي لديّ عنها. لذلك هذه الفكرة لا يمكن أن

يكون قد وضعها فيّ إلّا جوهر لا متناه حقًّا، وإذن فالله وجود))[18].

كل ما تقدّم نتلمّسه في قول الإمام علي (عليه السلام) الذي سعى فيه إلى ثبات الوجود الأول لله سبحانه: «اَلْأَوَّلُ لاَ شَيْءَ قَبْلَهُ»[19]، «مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَمٍ»[20]، يكشف النص أنَّ وجود الله ليس بحادث، وحجته أنَّ الموجود من حيث هو موجود، إمَّا أن يكون وجودًا مسبقًا بالعدم، أو لا يكون، وهو الأول// الأقدم.

وعند استقراء النصين ثانية نلحظ أنَّهما يكشفان عن نقطة جوهرية، تتمثّل بالغنى المعرفي الذي حبا الله به الإمام علي (عليه السلام)، فالله سبحانه لا يفيض بذلك إلّا على من يرتضي لهم ذلك، على وفق أنماط وأنساق لا يمكن لغيرهم فهمها بوصفها عملية تتجاوز الحدود المادية الملموسة إلى فضاءات ذات مديات لا تدخل ضمن المنظور البشري، ومن ثم فإنَّ هذا الانطلاق المعرفي يشير إليه الإمام علي (عليه السلام) بقوله: «يُطْلِعِ اَلْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ»[21]، ما يعني أنَّ الله سبحانه لم يحجب معرفته الواجبة على الإنسان حجبًا تامًّا، إنَّما أفاض ذلك بحسب ما يراه محتملًا من قبل الإنسان، وبما يراه مناسبًا زمانيًّا ومكانيًّا.

ويكشف قوله (عليه السلام) أيضًا المعرفة الإلهية: «....كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ»[22]، وهنا يعتمد بيان معرفته بالله بوساطة القياس البرهاني المطوي على النتائج، إذ استنتج أنَّ كل من وصف الله سبحانه فقد جهله. فكمال الخلاص لله نفي الصفات عنه، وهذه مقدّمة أولى، وإثبات صفة لله دلالة على الجهل به، وهذه مقدمة ثانية، وأنَّ كل من وصف الله فهو جاهل بمعرفته، وهذه هي النتيجة، وهو ما عبَّر عنه

ديكارت: "((الله جوهر لا متناه خالد ثابت قائم بذاته واسع القدرة.))[٢٣].

وتتمركز المعرفة عند الإمام علي (عليه السلام) في العقل، وهي الغاية في الوعي الذي يتخذ من المعرفة منهجًا له؛ ذلك أنَّ العقل له القدرة على تحديد وتكييف جميع الموجودات التي لا يخضع كنهها إلى حواسنا مثل الملائكة والجن، وذرات الكون المختلفة وقواه غير المادية عن طريق معرفة كيفياتها وحدودها، ولا يقف إلّا عند الخالق حدود: «وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ»[٢٤]. وقد ميَّز الإمام علي هذا العقل بخصائص عدة، ووضع له أسسًا وقوانين، وحدَّ له حدودًا يتحرك في سيره المعرفي وفقًا لها. ويهتم الإمام بسلوك الفرد الأخلاقية كثيرًا؛ ذلك أنَّ العقل هو ميزان القيم عنده، وأنَّ هذا السلوك يتمثل في السير بالطريق المستقيم للوصول إلى الله بالمعرفة، وذلك لن يتأتّى إلّا بهذه المعرفة: «وَلِلنُّفُوسِ خَوَاطِرُ لِلْهَوَى وَالْعُقُولُ تَزْجُرُ وَتَنْهَى»[٢٥]، وهذه المعرفة لن تكون إلّا بطريقين: طريق التفكير الفلسفي، أو طريق الشهود العيني، وهذان الطريقان متحققان في الخطاب العلوي المعرفي في نهج البلاغة[٢٦]، يقول (عليه السلام): «مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُنْذُ أُرِيتُهُ»[٢٧]. وهذا القول إن دلَّ على أمرٍ إنَّما يدلُّ على أنَّه (عليه السلام) يتمتع بملكة الحضور اليقيني[٢٧].

التمثل الثاني: العلاقة مع الذات والانهمام بها

من المرتكزات التي تقف عندها الابستمولوجيا أو النظرية المعرفية العلاقة مع الذات، والعلاقة مع الآخر. إذ تبحث العلاقة مع الذات بحسب المفكّر الفرنسي فوكو بسيرورة التذويت، والأمر هنا لا يتعلّق بمبدأ ينزع نحو الأنانية والانعزال والتخلي عن كل مسؤولية، ممَّا قد يترتب عنه استبداد ما في السلطة؛ بل العكس،

فالـذي يهتـم بذاتـه، كما يلـزم هـو مثـال للصريـح الصـادق الحـر، الـذي لا يتوانـى في مسـاعدة الآخريـن، وفي تحمـل مسـؤولياته كاملـة مثـل رب الأسرة، أو الموظـف الحقيقـي، ثـم في قدرتـه على قـول الحقيقـة بـكل شـجاعة، مـهما كانـت جارحـة، بـل في قبـول المـوت والاسـتعداد لـه. وليـس الانهمام بالـذات مجـرد تحـضير مؤقـت للحيـاة، بـل هـو شـكل للحيـاة لا يمكـن فصلـه عـن صيغـة جماليـة في الوجـود[٢٨].

وهـذا جـلُّ مـا أكَّـد عليـه الإمـام علي (عليـه الـسلام) مـن قبـل في خطابـه، فنجـده ينظـر إلى الـذات والآخـر نظـرة موحـدة وشـاملة، فلا يغبـن هـذا، ولا يـؤذي تلـك، بـل يقيـم بينـهما انسـجامًا، يجعـل الفـرد جديـرًا بانهمامـه بذاتـه على أتـم وجـه، ويجعـل الآخـر أو الجماعـة خليقـة، أي أنَّـه يجعـل الفـرد للجماعـة، والجماعـة للفـرد في نطـاق مـن الحريـة الرحبـة السـمحة[٢٩].

وتشـكل حريـة الفـرد بمفاهيمهـا الواسـعة مصـدر الأصالـة في فلسـفة علي بـن أبي طالـب وسياسـته، وهـي مرتبطـة بعلاقـات أبنـاء المجتمـع بعضهـم ببعـض بقـدر مـا هـي مرتبطـة بالضـمير والوجـدان، ثـم أنَّ الإنسـان الصاعـد في طريـق التعـاون والتآخـي، لا يمكنـه هـذا الصعـود إن لم يكـن حـرًّا بجانبيـه الـذاتي والاجتماعـي. وفي سـبيل هـذا البنـاء في الفـرد وفي الجماعـة وقـف الإمـام علي (عليـه الـسلام) مـن محبيـه ومبغضيـه على السـواء[٣٠].

فـالانهمام بالـذات في الفلسـفة العلويـة هـو الحيـاة والوجـود، وهـو دالٌّ على إعطـاء الإنسـان شـكلًا معينًـا مـع إخضـاع حياتـه لقواعـد معينـة، وإلى تقنيـة محـددة، يضعهـا موضـع تجربـة بحسـب عـدد مـن الإجـراءات:

١- **الوقـوف على المعرفـة:** يقـول (عليـه الـسلام): «**اَلْعَاقِـلُ مَـنْ وَقَـفَ حَيْـثُ عَـرَفَ**»[٣١]، المعرفـة التامـة هـي

غاية العارف، ونهاية مراتب السلوك، وأوليتها في العقل إشارة إلى وصفها علة غائية[٣٢]. فالوقوف على المعرفة هو هداية ومنفعة، وفيه ارتواء بعد عطش، ويقين للعقل بعد شك. ويقول (عليه السلام): «ولا يَعرِفُ ما أقولُ إلّا مَن ضَرَبَ في هذِهِ الصَّناعَةِ بِحَقٍّ، وجَرى فيها عَلى عِرقٍ ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَا الْعَـٰلِمُونَ﴾»[٣٣]، فالخطاب العلوي يتميز بقدرته على إنتاج المعرفة والمعنى، فضلًا عن تجاوزه للتاريخ، والخطاب العلوي قد اكتسب من صاحبه ما قامت عليه شخصيته؛ فبني نصه على أُسّ متين، لم يغفل جانبًا مهمًّا من الحياة إلّا وشرع بتناوله، لما يراه مناسبًا للمتلقي، وقد ركّز صاحب الخطاب على إدراج المعرفة لتوجيه متلقيه الوجهة التي يراها مناسبة لاستقبال ما يرد بعد ذلك من أفكار[٣٤].

ويقول (عليه السلام): «وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ: أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، وَحَمِيَ الضِّرَابُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أبي طَالِبٍ انفراج الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا. وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً»[٣٥]، عند التأمّل في النص أعلاه نجد أنَّ صاحب الخطاب (المرسل) - الإمام علي (عليه السلام) - قد عمد الإشارة إلى مدى بُعد معرفته بنهج النبوّة، وأنَّه هو الوحيد الذي يمثل الجهة الشرعية، فهو (على بينة من ربه)، و(منهاج من النبي)، وأن تمتعه بهتين الصفتين يؤهله لامتلاك المعرفة كاملة. فمن حباه الله بهذه الصفات، فهو الأقدر على التقاط طريق الهدى من طريق الضلال التقاطًا من هنا وهناك، كما يسلك الإنسان طريقًا دقيقة، قد اكتنفتها الشوك والعوسج من جانبيها كليهما، فهو يلتقط النهج التقاطًا، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على تفرّده في العلم والمعرفة.

٢- **ضبط الشهوات**: يقول (عليه

السلام): «مَنْ غَلَبَ شَهْوَتَهُ ظَهَرَ عَقْلُهُ»[٣٦]. يركّز النَّص على قتل الشهوات والانعتاق العقلي؛ لكي ينفتح الطريق أمام الذات لبلوغ هدفها الأسمى في المعرفة. وتشكل معرفة الفضائل الأخلاقية مكونًا مهمًّا ركَّز عليه الخطاب العلوي أكثر من بين مكونات الاتصال المعرفي والعلاقة السلوكية للإنسان مع نفسه، ممَّا يشير إلى أهمية هذا المكون: «قِيمَةُ كُلِّ اِمْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ»[٣٧]، ففي قوله نجده يشير إلى أنَّ قيمة المرء أمر شخصي متعلِّق بالمرء نفسه غير متعدٍّ في الاعتبار إلى غيره من حسب أو نسب أو مال هذا من جهة، ومن جهة أخرى جامعية هذه الكلمة وكأنَّها أعطت محددات القيمة الواقعية مجموعة بعبارة (ما يُحسنه) من فكر أو عمل أو صنعة أو خلق.. ونحوها من الأمور التي لها واقع اعتباري مهم ومؤثر، فأصابت كل المعنى وأحاطته[٣٨].

٣- ترك الهوى: يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ اِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اِتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي»[٣٩]. النفس ساحة للرغبات، والذات الواعية هي من تكون شجاعة على مواجهة رغباتها التي يمكن أن تخرجها من عقال التعقّل.

يقول (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ. أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا. أَلاَ وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلا عَمَلَ».

بهذه الكلمات حذّر الإمام من اتباع

الهوى وطول الأمل في الدنيا. فقد عمد إلى وضع مبادئ العلاقات الفردية بين أفراد المجتمع، لبنائه بناء صالحًا. لقد سعى الإمام علي (عليه السلام) بالاستناد إلى القرآن والسنة المطهرة نحو تحقيق استقرار اجتماعي، وضبط لسلوك الأفراد داخل المجتمع آنذاك، ومن ثم كانت غايته تحقيق وإحداث ضبط اجتماعي شامل.

٤- المصداقية وجرأة قول الحقيقة:

الحقيقة ليست مضمونًا مستقلًا بذاته بين الحدود خاضعًا لمقاييس خارجية، بل هي تخضع لتراكمات اللغة والدلالات الناشئة عن ذلك[٤٠]، وهي ليست خطابًا ميتافيزيقيًّا حول الحقيقة الإلهية للروح؛ لكنَّها نوعٌ من الممارسة للذات[٤١]، يقول (عليه السلام): «وَإِنْ تَكَلَّمَ أَصَابَ»[٤٢]، وبحسب النص أنَّ الذات العاقلة إذا تكلّم صاحبها لا يستطاع تكذيبه من قبل سامعيه. ذلك أنَّ كل الأسس المعرفية والسلوكية تُبنى على الصدق.

يقول (عليه السلام): «فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ القَبَائِلِ بِالأَخْلاَقِ الرَّغِيبَةِ وَالأَحْلاَمِ الْعَظِيمَةِ وَالأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ وَالآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ...»[٤٣]. في هذا النص نجده يحثُّ على نبذ التعصب أو الابتعاد عن كل شكل من أشكال التعصب، ولاسيَّما التعصب القبلي. والتحلّي بالخصال والشمائل الحميدة، وأهمّها الصدق وقول الحق دون الباطل، وهذه الصفات تتفق وروح الإسلام وتعاليمه.

ومن ثَمَّ فإنَّ انهمام الذات يتجسد بابتعادها عن النرجسية، وعن التشويه الفصامي للواقع، حتى إن كان كل شيء يفهم اليوم على أنَّه نرجسية، وهو

ما ينتج عنه تشويه لكل المدركات أو الإدراكات الأخرى.

التمثل الثالث: العلاقة مع الآخر

لقد اهتم الفكر الفلسفي قديمًا وحديثًا بموضوع الذات والانهمام بها أيُّما اهتمام، وذلك لِمَا له من صلة بالسلوك الإنساني، ويعدُّ الآخر شريكًا أو مساعدًا مهمًّا وأساسيًّا في ضرورة قول الحقيقة عن الذات، وهذا الآخر الفاعل يجب أن يتصف بكفاءات خاصة لا تنتمي إلى ثقافة محددة، أو مؤسسة معينة؛ بل إنَّ هذه الكفاءات تمثل نوعًا من الممارسات وطرائق القول، وهي بالتحديد ما يسمّى بالصراحة الصادقة الحرة أو القول الصريح(٤٤).

وعند النظر في الخطاب العلوي من وجهته الابستمولوجية نجده يحدّد وجود الأنا بوجود الآخر (أنا وأنت)، وعن طريق استقرائنا للنصوص يتبدّى لنا أنَّ الحوار الذاتي هو تواصل الذات والآخر الماثل في الذات، أمَّا الحوار مع الآخر، فهو تواصل وانفتاح صوب الخارج، بضرورات وحاجات الداخل. وهذا ذاته ما جاءت به النظرية المعرفية الغربية الحديثة، فعندما نُنعم النظر في أوراق الفلسفة السارترية الوجودية، وفي مدونة عالم النفس اللاكاني وجوهريته الأساسية في تكوين الذات، وتحديد الهوية، فضلًا عن مساهماته في تأسيس المنطلق الذاتي والقومي والثقافي وتوجيهه نلحظ أنَّ الآخر عندهما: عامل فاعل في تكوين الذات، وأنَّ وعي الذات الوجودي يتأسَّس تحت تحديق الآخر(٤٥).

وهو ما نلتمسه في نهج علي (عليه السلام)، في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام): «اجْعَلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ؛ وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ

ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ. لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً»(٤٦). وفقًا للنص فإنَّ الإمام يؤسس للعلاقة بين الذات والآخر داخل المجتمع، من أجل بنائه بناءً سليمًا، ذلك أنَّ العلاقات الفردية تُعَدُّ أساسًا تبنى عليه العلاقات المجتمعية. وكلما كانت العلاقة بين الذات والآخر منضبطة فإنَّها تنتج مجتمعًا حضاريًّا يشيع فيه الرخاء والطمأنينة.

ويقول: «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى، يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ. إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَئِمَّةِ وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ، مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ. أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً»(٤٧).

فالآخر بكل ألوانه وأطيافه ذو خصوصيات وسمات تظهر ماهيته ومعدنه، ولا يمكن إدراك هذا الآخر إلّا بإدراك الذات التي تساهم بشكل أو بآخر في التعرف على ذاتها، انطلاقًا من هذا الآخر.

التمثل الرابع: العلاقة مع الطبيعة

ينوّه الإمام علي (عليه السلام) في خطابه المعرفي إلى أنّ الكون (الطبيعة) مخلوق حادث عن إرادة الله وحده، ومثلما للإنسان وحدة الغاية في العبودية لله وحده للطبيعة أيضًا. وتتكون

الظاهرة الكونية من عدد محدود من العناصر المادية التي يمكن حصر معظمها ورصدها، فعالم الطبيعة هو عالم أحادي بسيط التكوين إذا ما قيس بعالم الإنسان[٤٨].

سعى الإمام (عليه السلام) إلى ما في هذا الكون من تجلّيات في تكوينه المادي للدلالة والاستدلال على عظمة الخالق (عز وجل)، إذ انطوى الخطاب العلوي على إشارات كثيرة في الملائكة والجبال، والأمطار، والأرض وطبقاتها إلّا أنَّ كل ذلك بجوانبه الفلسفية لم تأتِ بأسلوب جاف، وإنَّما صاغَهَا الإمام بلغةٍ أدبية رائعة وأسلوب راق ينبئ عن قدرةٍ عالية في الأداء، ففي قوله (عليه السلام): «أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا»[٤٩]، يكشف النص عن يقينية المتكلّم مع بدء خلق السماوات، ويدفع الافتراض القائل إنَّ الكون بوصفه وجودًا هو منذ الأزل، وهو افتراض لا يستند على قاعدة علميَّة، وغير مدعوم بأدلّة مقنعة، ما يعني أنَّ الخلق ووجوده يدلُّ على وجود خالق موجود، وأنَّ هذه المخلوقات حادثة وليست أزليَّة، وهذا بدوره يشير إلى ضرورة وجود أزلي غير حادث؛ ذلك أنَّ كل حادث يحتاج أزليًّا، وليس إلى حادث مثله[٥٠]. يقول (عليه السلام): «الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ»[٥١]، فإنَّ معرفة الوجود وعظمته بوجوده سبحانه، وكلما ازداد وجوده ازدادت قيمته، وتزداد عظمة موجوده.

وقوله (عليه السلام): «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا؛ فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ

أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ؛ فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ»(٥٢). النص يشير إلى خلق الأرض قبل خلق الإنسان، إشارة منه إلى أنَّ أصل الإنشاء من الأرض، لذا تُعَدُّ الأولى أي الأرض من بين مواد الطبيعة.

فالإمامُ علي فيلسوف يحملُ نظرة كونية تمتاز بالسعة والشمول، فضلًا عن امتلاكه نظرة عقلية واستدلالًا منطقيًّا؛ لأنَّه كان محيطًا بكل شؤون الوجود من أمور اجتماعية وعلمية وطبيعية وصولًا إلى أسمى قضية ألا وهي قضية الألوهية والتوحيد.

خاتمة البحث

وجَّه الإمامُ علي (عليه السلام) خِطَابَه إلى الكيان الإنساني بشكلٍ عام؛ لأنَّه يُخاطبُ العقلَ والعاطفةَ، وعندما يتَّجه هذا الاتجاه فلا بُدَّ له من ترك الأثر في الذات الإنسانية وتحقيقه لأهدافه، إذ كان لغايتي الجمال المتمثلتين في المنفعة واللذة حضورهما البيِّن في خطابات الإمام علي (عليه السلام) من دون تفريط بأيٍّ منهما.

مثلت خِطاباتُ الإمام علي (عليه السلام) ترجمة حقيقية للواقع الإنساني في تلك الحقبة من تاريخ الإنسانية، فجاء خطابه المعرفي ليمثل التأسيس الأول للنظرية المعرفية، فعند التأمل في كلماته نجد أنَّه يناقش أربعة مجالات معرفية مهمة تتكلل بـ(العلاقة مع الله أولًا، والعلاقة مع الذات، والعلاقة مع سائر البشر، والعلاقة مع الطبيعة)، فالخطاب العلوي يمثل معالجةً جذريةً للأمور مبنية على نظر فلسفي عميق وعلى نفاذ إلى كنه الحياة الاجتماعية وفهم لحقيقتها وتطوراتها.

فتعدَّدت مستويات الخِطَابات وتنوعت بوحي من المقامات المتعدّدة

للإمام من ناحية أنَّه يمثل الخليفة والإمام والحكيم والقائد، وغير ذلك ممَّا أضفى صفة الشمول على خِطابه.

فقد كان الخطاب المعرفي يعرض لجوانب الحياة كافة، إذ عمد فيه إلى الوقوف عند المقولات المعرفية والتشعب فيها، التي ذهب كثير من الدراسين اليوم إلى نسبتها إلى الفلاسفة والمفكرين الغرب، في حين أثبت الخطاب العلوي أنَّ الإمام علي هو الواضع الأول لأسس الابستمولوجيا بدءًا من حجة الوجود الأولى وفقًا لنظرة إلهية ترى أنَّ نطاق الوجود أوسع من المادة، خلافًا لما قال به غيره من الفلاسفة ممَّن جاؤوا بعده الذين ذهبوا إلى أنَّ عالم الوجود ينحصر في المادة والطاقة.

لقد حدَّد الإمام علي (عليه السلام) المعرفة العلمية بالمعرفة الموضوعية التقريبية التي يتكامل فيها العقل والتجربة. فضلًا عن أنَّ وظيفة الابستمولوجيا أو النظرية المعرفية عند علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي دراسة الشروط الممكنة لإنتاج المعارف العلمية، ويكون هذا عن طريق معرفة الحقيقة للعلم، وهكذا يمكن للابستمولوجيا أن تستقل عن مباحث الفلسفة التقليدية التي وصفها باشلار بالانغلاق والجمود والاستغلال السيئ لنتاج العلم، في حين أنَّ الفكر العلمي متفتح ومتطور على الدوام، ولذلك وجب أن يكون لكل علم أبستمولوجيا خاصة، ولا وجود لعلم عام، فالعلم متخصص، والعقلانية المطبقة مهمتها التركيب الجدلي بين العقل والواقع.

الهوامش:

١. ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، حنفي عبد المنعم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٢٠م: ٢٥٩.

٢. ينظر: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم: حسين شعبان، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٩٣م: ١٢٢.

٣. ينظر: نظرية المعرفة: ٣.

٤. ينظر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي: كارل بوبر، ترجمة محمد قاسم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ١٩٧٦م: ١٠٦.

٥. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ج١/ ١٠٢.

٦. نظرية الإبداع المجهرية: أسعد دوراكوفيتش، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٧م: ٦٠.

٧. أهل الإسلام: لويس غاردية: ٢٦٧.

٨. ينظر: الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر: ٦٨١.

٩. ينظر: المصدر نفسه: ٢٩١.

١٠. الأربعون حديثًا: ٢٨٩.

١١. ينظر: الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر: ٦٨٢.

١٢. ينظر: إنسانية الإسلام: ٧٧.

١٣. ينظر: المصدر نفسه: ٧٩.

١٤. ينظر: سطوع نجم الشيعة: ٣٥.

١٥. ينظر: الإمام علي في الفكر المسيحي: ١٠١- ١٠٢.

١٦. جوته والعالم العربي: ٢٠٤- ٢٠٦.

١٧. ينظر: التفكير فلسفيًّا: كريس هورنر، إمريس ويستاكوت، ترجمة ليلى الطويل، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م: ٣٦٢.

١٨. ينظر: تأملات في الفلسفة الأولى: رينيه ديكارت، ترجمة عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٩م: ١٢٤.

١٩. شرح نهج البلاغة: الخطبة ٨٥، ص ٧٨.

٢٠. المصدر نفسه: خطبة ١: ١٧.

٢١. المصدر نفسه: ابن أبي الحديد: ٣/ ١٦٩.

٢٢. المصدر نفسه: ١/ ٩٢.

٢٣. تأملات في الفلسفة الأولى: ١٢٤.

٢٤. شرح نهج البلاغة: خطبة ١٦٠/ ١٦٦.

٢٥. المصدر نفسه: ٢٢٤.

٢٦. ينظر: الخطاب في نهج البلاغة: ٢٤٨.

٢٧. المصدر نفسه.

٢٨. ينظر: الانهمام بالذات، جمالية الوجود

وجـرأة قـول الحقيقـة: ميشـيل فوكـو، ترجمـة محمـد ازويتـه، فريقيـا الشرق للـنشر، المغـرب، ٢٠١٥م: ١٤- ١٧.

٢٩. ينظر: علي صوت الإنسانية: ١٥٦.

٣٠. ينظر: المصدر نفسه: ١٦٢.

٣١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٧/ ٢٢٤.

٣٢. ينظـر: شرح ابـن ميثـم البحـراني، دار انتشـار، طهـران، ط١: ج١/ ٢٢٤.

٣٣. شرح نهـج البلاغـة، ابـن أبي الحديـد: ١/ ٢٧٣.

٣٤. ينظـر: التفكير السـليم وحـدود معرفـة الله في نهـج البلاغـة، صلاح صبحـي عبـد، مجلـة المبين، السـنة التاسـعة، العـدد ٢١، ١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤م، ص ١١٨.

٣٥. المصدر نفسه: ١/ ٢٣٢.

٣٦. المصدر نفسه: ٣٣٤.

٣٧. شرح نهـج البلاغـة، ابـن أبي الحديـد: ج٢/ ٢٧.

٣٨. المصدر نفسه: ١: ٣٢.

٣٩. المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٠.

٤٠. ينظـر: في الخطـاب السردي، نظريـة فريماس: محمد الناصر العجمي، الدار العربية للكتـاب، ١٩٩٣م: ٦٥.

٤١. ينظر: الانهمام بالذات: ١٠٣.

٤٢. شرح نهج البلاغة: ٣٣٤.

٤٣. المصدر نفسه: ١٣/ ١٦٦.

٤٤. ينظر: الفتنة والآخر: ٢١- ٣٢.

٤٥. ينظر: دليل الناقد الأدبي: ٢١- ٢٢.

٤٦. شرح نهـج البلاغـة، ابـن أبي الحديـد: ١٦/ ٨١.

٤٧. المصدر نفسه: ج٣٨، ٣٦، ٣٠: ٧.

٤٨. ينظـر: العلمانيـة والحداثـة والعولمـة، حـوارات عبـد الوهـاب المسيري: سـوزان حـرفي: ٨٧.

٤٩. شرح نهج البلاغة: ١٨.

٥٠. ينظر: الخطاب في نهج البلاغة: ٢٣٤.

٥١. شرح نهج البلاغة: ١٥٦.

٥٢. شرح نهج البلاغة: ٣٥٤.

قائمة المصادر

١- الأربعون حديثًا: الإمام الخميني، ترجمة محمد الغروي، دار التعارف بيروت، ط٥، ١٩٩٦م.

٢- الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر، راجي نور هيفا، دار العلوم، بيروت/ ط١، ٢٠٠٧م.

٣- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق، دار الأندلس، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٤- الانهمام بالذات، جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة: ميشيل فوكو، ترجمة محمد ازويته، فريقيا الشرق للنشر، المغرب، ٢٠١٥م.

٥- إنسانيه الإسلام: مارسيل بوازار، ترجمة عفيف دمشقية، منشورات دار الآداب بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٦- أهل الإسلام: لويس غاردية: اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ٢٠٠٥م.

٧- برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم: حسين شعبان، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٨- تأملات في الفلسفة الأولى: رينيه ديكارت، ترجمة عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٩م.

٩- التفكير فلسفيًّا: كريس هورنر، إمريس ويستاكوت، ترجمة ليلى الطويل، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م.

١٠- الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه، ومستوياته، دراسة تحليلية: عبد الحسين العمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

١١- دليل الناقد الأدبي: ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٠م.

١٢- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣- شرح نهج البلاغة: للإمام الشيخ محمد عبده، بيروت لبنان.

١٤- شرح ابن ميثم البحراني، دار انتشار،

طهران، ط١، الجزء الأول.

١٥- الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي: شرف الدين ماجدولين، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٢م.

١٦- في الخطاب السردي، نظرية فريماس: محمد الناصر العجمي، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣م.

١٧- العلمانية والحداثة والعولمة، حوارات عبد الوهاب المسيري: سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

١٨- موسوعة الفلسفة والفلاسفة، حنفي عبد المنعم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٢٠م.

١٩- نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي: كارل بوبر، ترجمة محمد قاسم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ١٩٧٦م.

٢٠- نظرية الإبداع المجهرية: أسعد دوراكوفيتش، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٧م.

المجلات العلمية

• مجلة المبين، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية، السنة التاسعة، العدد ٢١، ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م.

يا علي

لفظة (الفتنة) ومشتقاتها في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

The Word " Fitna" and it's Derivations in Nahj al-Balagh's Sermons A Semantic Study

م. د. ستار جبار هاشم

مركز دراسات الكوفة – جامعة الكوفة

Prof. Dr. Sattar Jabbar Hashim

Kufa Studies Center /Kufa University

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012407

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعريف بمفهوم الفتنة في ضوء خطب نهج البلاغة؛ بوصفها ظاهرة اجتماعيَّة ذات صبغة سياسية وأخرى دينيّة، وقد فصَّلَ البحثُ كيفيّة تناول الإمام علي (عليه السلام) لهذا المفهوم؛ إذ تجلَّت (الفتنة) في خطب نهج البلاغة بدلالتين: وصفت الأولى بالإيجابية؛ لأنَّها تحثُّ المؤمن على التمسّك بدينه وعقيدته، ليكون قادرًا على الثبات أمام تحدّيات الفتن التي تصيب المجتمع، واختصّت الثانية بجانب الشّرّ، وهي الأكثرُ شيوعًا، تمثّلت بِضلال الإنسان وجهله بدينه وعقيدته، فضلًا عن ابتعاده عن الحدود التي رسمها الدِّين الإسلامي، ومن ثمَّ، فهو يدعو إلى هلاك الأُمَّة وفسادها، وقد بيَّنَ الإمام في خطبه أسبابَ الفتنة وخطورتها على الفرد والمجتمع، ووضَّح سُبُل التَّصدِّي لها ومعالجتها، وقد اعتمدنا في ذلك المنهج التحليلي الوصفي.

الكلمات المفتاحيّة: الإمام علي (عليه السلام)، الفتنة، مضلّات الفتن، الدلالة، السياق، خطب نهج البلاغة.

Abstract

This study aims to introduce the concept of fitna in the light of Nahj al-Balagh's sermons as a social phenomenon with two dimensions: political and theological. It explains how Imam Ali (Pb) addressed this concept. Fitna in Nahj al-Balagha's sermons appears with two denotations: the first described as positive, because it urges the believer to remain steadfast in his faith, and the second is related to evil which is the most commonly represented by human deviation, and his ignorance of his faith and religion, as well as his distance from the boundaries set by Islam; hence, he leads to the nation's Corruption and ruin. Imam Ali (Pb) explained the causes of fitna and the ways to confront it. we adopted the descriptive - analytical approach.

Keywords: Iman Ali (Pb), Fitna, Semantics, Context, Nahj al-Balagh's Sermons.

المقدّمة

ذكر الإمام علي (عليه السلام) في خطبه إحدى الظواهر الاجتماعية المتمثلة في شيوع (الفتنة)، وبيَّنَ أسبابها وسبل معالجتها والنتائج المتمخضة عنها؛ بوصفها أكثر الظواهر الاجتماعية غموضًا والتباسًا، وغالبًا ما تكون الفتنة ذات صبغة سياسية وأخرى دينية، فهي تهدف إلى محاولة تقويض أُسس مبادئ الدِّين الإسلامي، وفي عهد الإمام (عليه السلام) تجلَّتْ كثيرٌ من الفتن؛ متمثلة في النزاعات السياسية التي حصلت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فانبرى مثيرو الفتنة في الولوج إلى تأجيجها، وتمهيد الطريق إليها، فكانت حرب (الجمل وصفّين والنهروان وغيرها). من هنا جاءت فكرة البحث في متابعة نهج الإمام في كيفية وصفه لهذه الظاهرة، والأساليب التي انتهجها في التصدِّي لها والتغلّب عليها، وقد اتبعنا في بحثنا المنهج الوصفي التحليلي؛ لنُبيِّن الدلالة الكامنة للفظة (الفتنة) في إطار سياقها اللغوي والبلاغي الذي استعملت فيه.

فشرعتُ بإحصاء مواضع هذه اللفظة في كتاب (نهج البلاغة)، بتحقيق الدكتور صبحي الصالح؛ بوصفه نسخة معتمدة في كثير من الدراسات، وبمساعدة المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، واقتضت طبيعة البحث أنْ يشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين؛ أمَّا التمهيدُ، فقد درسنا فيه مفهوم (الفتنة) لغةً واصطلاحًا، معوِّلًا على بعض ما ورود منها في المعجمات والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والموروث من الشعر العربي، وكيف توسَّعت دلالاتها بأسلوب موجز، وقد اختصَّ المبحث الأوّل بدراسة دلالة الصيغة الاسمية والفعليَّة، في الاسمية فصَّلنا القول في دلالة المصدر (الفتنة)، واسم المفعول (مفتونون)، وفي الفعلية بحثنا دلالة الفعل الماضي والفعل المضارع،

وشرعنا في المبحث الثاني بالتفصيل في معالجة (أصول الفتنة - الأسباب والمعالجات)، إذ بيَّنا فيه (تداعيات الفتنة وأسباب نشوئها)، التي منها: غرور الدنيا واتّباع ملذّاتها، والضلال والجهل في ضوء مخالطة الحقّ بالباطل، والنفاق والتكبّر على عباد الله، فضلًا عن فتنة المال والزوجة والأولاد، أمّا مظاهر التصدِّي للفتنة وأدوات الوقاية منها؛ فقد تمثَّل في الإيمان بالله والتَّمسُّك بأوليائه، وإعمال الفكر في الكشف عن جذورها، ثُمَّ أفردتُ خاتمةً أوجزتُ فيها أهمَّ ما توصل إليه البحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وقد عوَّلتُ في بحثي هذا على بعض المصادر اللغوية والصرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة القديمة والحديثة، واعتمدتُ شروح نهج البلاغة، ولا سيَّما شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني، ولسعة البحث فقد اقتصرنا على خطب الإمام فقط.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد

(مفهوم الفتنة لغة واصطلاحًا)

أوَّلًا: الفتنة لغة

ذهب الفراهيدي (١٧٥هـ) إلى أنَّ معنى الفَتْن: إحراقُ الشّيء بالنار، كالورقِ الفَتينِ: أي المُحْتَرق، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[١]، أي يُحرَقون، ويُعذّبون[٢]، والفِتنَةُ: العذابُ، إذ كان أصحابُ النبي (صلّى الله عليه وآله) يفتنون بدينِهم، أي يعذّبون ليردوا عن دينهم، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٣]، والفِتَنُ: ما يقعُ بين الناسِ من الحروبِ والابتلاء[٤].

وقال ابنُ فارس: ((فَتَنَ: الفاءُ والتاءُ والنّونُ أصلٌ صحيحٌ، يدلّ على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة، يقال: فَتَنتُ أفتِنُ فَتْناً، وفَتنتُ الذهبَ بالنّارِ: إذا امتحنتَه، وهو مَفتونٌ وفَتينٌ، والفَتّانُ: الشّيطانُ))[٥].

تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

وافْتَتَنَ: إذا اختُبِرَ[٦]، قال تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[٧]، أي ابتليناك بالغَمّ؛ غم ابتلاء القتل[٨].

وذكر الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، أنَّ أصلَ الفِتَنِ إدخالُ الذهبِ النار؛ لِتظهرَ جودتُه من رداءتِه، واستعملَ في إدخالِ الإنسان النارَ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٩]، أي عذابكم المُعدّ لكم[١٠]، وجُعِلَتْ الفتنةُ كالبلاء في أنّهُما يُستعملانِ فيما يدفع إليه الإنسانُ من شِدّةٍ ورخاء، وهما في الشدّةِ أظهرُ معنى وأكثرُ استعمالًا من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد، كالبليَّة والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك، ومتى كانت من الله تكون على وجه الحكمة، ومتى كانت من الإنسان بغير أمرِ الله تكون بخلاف ذلك[١١].

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[١٢]، وقال في الشدّةِ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[١٣].

وفي الحديث النبوي الشريف، وردت لفظة (الفتنة) بدلالات متباينة؛ منها الدلالة على عموم الميل والانحراف عن الدِّين الإسلامي، وذلك في قوله (صلّى الله عليه وآله) «اللهمّ، إنا نعوذُ بك أنْ نَرجِعَ على أعْقابِنا أو أنْ نُفْتَنَ عنْ دِينِنا»[١٤].

وفي الشعر العربي وردت هذه اللفظة بدلالة الابتلاء والاختبار في خوض الحروب وشدّتها، قال عنترة بن شداد[١٥]: [من المنسرح]

ياعَبلَ كَم فِتنَةٍ بُليتُ بِها
وَخُضتُها بِالمُهَنَّدِ الذَكَرِ
وَالخَيلُ سودُ الوُجوهِ كالحَةٌ
تَخوضُ بَحرَ الهَلاكِ وَالخَطَرِ

وقد توسّعَتْ دلالةُ هذه اللفظة في الاستعمال القرآني واللغوي عند العرب، فجاءت بدلالات متنوعة منها: الفتنةُ بالأولاد والزوج والمال

والشهوات والمصيبة والقتل والعذاب والضلال وإلباس الحق بالباطل، والإثم والكفر والإحراق والصرف عن الشيء، والعقوبة والردع واختلاف الناس في الآراء[١٦].

ممَّا تقدَّم يتبينُ لنا أنَّ المشهور من معاني الفتنة، هو الاختبار والابتلاء والامتحان، وأنَّ كلَّ ما يتمخضُ من معانٍ أخرى، إنَّما هو مستقصى من هذه المعاني الرئيسة.

ثانياً: مفهوم الفتنة اصطلاحًا

تباين علماءُ اللغة والتفسير في تعريف مفهوم الفتنة اصطلاحًا، فقد عرَّفها الطبري (ت٣١٠هـ) أنَّها ((ابتلاء المؤمن واختباره في دينه حتى يرجعَ، فيصيرُ مُشركًا بالله من بعد إسلامه، وهذا أشَدُّ عليه وأضرّ من أنْ يُقْتَلَ مُقيمًا على دينه متمسّكًا عليه محقًّا فيه)) [١٧].

وذهب الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى أنَّ الفتنة: هي الامتحانُ والابتلاءُ؛ بسبب مفارقة الأوطان، وصدّ الأعداء، والفقر والقحط والفاقة، ومجاهدة الشهوات والملذات، وصبر النفس على المصائب والشدائد، التي تصدر من الكفّار، ومعالجة أذاهم وكيدهم، وترويض النفس عن سائر الطاعات الشاقّة[١٨].

أمَّا الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في كتابه التعريفات، فقد ذكر أنَّ ((الفتنة: ما يتبين به حالُ الإنسان من الخير والشرّ)) [١٩].

ممَّا تقدَّم نستنتج أنَّ مفهوم الفتنة اصطلاحًا: هو ما يصيبُ الإنسان من خيرٍ أو شَرٍّ، فينعكسُ ذلك على نفسه وسلوكه بحسب ما يحيط به من ظروف بيئيَّة وحياتية.

ولمَّا كان المعنى اللغوي للفتنة؛ هو حرقُ الشيء وإظهار خبثه من الحديدِ والذهبِ والفضّة، فكذلك الفتنةُ هي معيارٌ لكشف ما يخفيه الإنسانُ ويبطنه من مكنون نفسه عند الابتلاء والاختبار اتجاه المحن والمصائب، ومن

ثَـمَّ فـإنَّ علاقـة المعنـى اللغـوي بالمعنـى الاصطلاحـي هـي علاقـة جـزء مـن كل.

المبحث الأول

دلالة الصيغة الاسمية والفعلية

وردت لفظـةُ الفتنـة ومشـتقاتها في خطـب نهـج البلاغـة اثنتين وخمسين مرَّة، في ثلاث وثلاثين خطبـة، إذ وردت بصيغة الاسـم ثلاثًـا وأربـعين مـرَّة، في ثمانٍ وعشريـن خطبـة، وبصيغـة الفعـل تسـع مـرَّات، في سـبع خطـب[٢٠]، كما يـأتي:

أوَّلًا: دلالة الصيغة الاسمية

١ - المصدر (الفتنة):

المصـدر: ((كلُّ اسـم دلَّ على حـدث وزمـان مجهـول، هـو وفعلـه مـن لفـظ واحـد))[٢١]، والمصـادر على نـوعين: قياسـية وسماعيـة، وقـد يكـون للفعـل الواحـد أكثـر مـن مصـدر، وهـذا التنـوّع يعـود كما يـرى الدكتـور فاضـل السـامرائي إلى اخـتلاف القبائـل العربيـة في استعمال المصـادر، فقـد تستعمل قبيلـة عربيـة مصـدرًا لا تستعمله قبيلـة أخـرى، وإلى اخـتلاف المعنـى، فـ((الرقـود خـاص بالليـل، والرقـاد في أي وقـت))[٢٢]، وأنـواع المصـادر هـي: المصـدر الأصلي، والمصـدر الميمـي، والمصـدر الصناعـي، ومصـدرا المـرَّة والهيـأة، ومصـدر التوكيـد (المفعـول المطلـق)[٢٣].

وردت لفظـة (الفتنـة) بصيغـة المصـدر أربـعين مـرَّة، في سـتٍّ وعشريـن خطبـة[٢٤]، وذلـك في سـياق كلامـه (عليـه السـلام)، وهـو يريـد بـه بعـض أصحابـه: «**لله بلاءُ[٢٥] فُلَان، فَلَقَـدْ قَـوَّمَ[٢٦] الأوَدَ، وَدَاوَى الْعَمَـدَ[٢٧]، وَأَقَـامَ السُّـنَّةَ، وَخَلَّـفَ الْفِتْنَـةَ[٢٨]! ذَهَـبَ نَقِـيَّ الثَّـوْبِ، قَلِيـلَ الْعَيْـبِ، أَصَـابَ خَيْرَهَـا، وَسَـبَقَ شَرَّهَـا**»[٢٩].

قولـه (عليـه السـلام): (لله بلاءُ فلان)، هـذه الصيغـة تسـتعمل للمـدح، فـاللّام فيـه للتخصيـص، كما في قولـه تعـالى: ﴿**لله مُلْـكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[٣٠]، والكنايـة عـن بعـض أصحابـه بلفظـة فلان، فقـد نقـل ابـن أبي الحديـد ((أنَّ عُمـرَ لَمَّا مـات،

بكته النساء، وقالت ابنة أبي حثمة: وا عمراه، أقام الأود وأبرأ العمد، وأمات الفتن، وأحيا السُّنن...))[٣١]، وقوله (فلقد قوَّم الأود)، أي أصلح وعدَّل ما خرج من أمور المسلمين في عصره، وقوله: (وداوى العمد)، أي أصلح ما فسد من الأمور، فقد استعار العمد الذي هو عبارة عن انشداخ سنام البعير؛ لمرضِ القلب، كما يستعار لمرض العشق، يقال: فلان عميد القلب ومعمود، و(أقام السُّنة)، أي إقامته لسنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وطريقته قولًا وفعلًا وتقريرًا، و(وخلّفَ الفِتْنَةَ)، أي مات قبلها، وهذا مدحٌ له، بلحاظ عدم وقوعها بسببه وفي زمنه لحسن تدبيره، و(ذهب نقيّ الثوب)، استعار الثوب لعرضه، ونقّاه لسلامته من الدنس.

فالإمامُ (عليه السلام) في هذا الخطاب يدعو الى تثبيت دعائم الدّولة ومحاربة الفساد بكلّ أنواعه وأشكاله؛ لأنَّه يريد من ((الأمَّة متمثلة بالدَّولة أنْ تكونَ حصينةً وأداة إصلاحٍ حازمة لإرشاد المفسدين وردعهم))[٣٢].

وقد وردت لفظة (الفتنة)، بصيغة المصدر الثلاثي بزيادة الهاء، وجعله على وزن (فِعْلَة) بكسر فسكون؛ ليدلّ على الحدث ونوعه[٣٣]، مُعرَّف بـ(ال)؛ للدلالة على الفتنة المقصودة في عهد الخليفة، ووقعت مفعولًا به للفعل المضعف (خلَّف)، الذي يدلُّ على تكثير الفعل والمبالغة في ترك الفتنة وعدم إدراكها[٣٤].

وكذلك حينما ينبّه (عليه السلام) على فضله وعلمه، بوصفه وصيَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويحذّر من فتنة اختلاف الناس: «**أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا**[٣٥] **فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا**[٣٦] **وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا**»[٣٧].

أراد بها فتنة بني أُميَّة وحكمهم

الظالم، وما يلحق الناس في دولتهم من البلاء والجور، وقد استعار (تطأ خطامها)؛ لوصف الناقة التي خلت من قائدها، فهي تخبط وتطأ من لقيت من الناس وتتعثر به، وهذه كناية عن تخبط الناس في الفتنة، فهم يأتون إلى ناعقها والداعي إليها مسرعين رغبة ورهبة، ولا يبالون؛ لغفلتهم عن الحقّ[٣٨].

وقد وردت لفظة (فتنة)، بصيغة المصدر (نكرة) مفردة؛ للدلالة على العموم والمبالغة في تخبط الناس باتّباع الحكم الجائر، ووقعت فاعلًا للفعل (تَشْغر)، إذ قدَّم شبه الجملة (بِرِجلِها) على الفاعل (فتنة)؛ للتوكيد والعناية والاهتمام[٣٩]، والأصل (قبلَ أَنْ تَشْغَرَ فِتنَةٌ بِرِجلِها)؛ لذا كان التقديم أبلغ في بيان ذلك، بخلافِ مَا لَو أُخِّر.

ومثل هذه الدلالة وردت في خطبة/ (١٢١:٢٢٤).

٢- اسم المفعول

يُشتَق اسم المفعول من الفعل المبني للمجهول؛ للدلالة على من وقع عليه الفعل[٤٠]، ويُصاغ من الفعل الثلاثي على زنة (مفعول) نحو (مَنصُور، مَشكُور)، ومن غير الثلاثي على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر[٤١].

وردت مادة (فتن) في خطب نهج البلاغة بصيغة اسم المفعول، ثلاث مرَّات، في ثلاث خطب[٤٢]، وذلك في سياق كلامه (عليه السلام)، وهو يبيّن حال الناس قبل البعثة: «**أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا**[٤٣]، **وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِهَا**[٤٤]، **وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا**[٤٥]، **فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَار، وَشَرِّ جِيرَان، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْض عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ**»[٤٦].

والمعنى أنَّها داستهم بأخفاف إبلها، ووطأتهم بأظلاف بقرها، وقامت على سنابك خيلها، فحذف المضاف، وأُقيم المضاف إليه مقامه، (فهم فيها) أي في هذه الفتن، الفاء للتعقيب، أشار غلى تيههم في ضلالهم عن القصد في ظلمات الفتن، (تائهون) ضالون عن القصد، (حائرون) متحيرون في إيجاد جهة الصواب، و(جاهلون) غير عالمين بالحقّ، و(مفتونون) أي بالفتن العمياء الصّماء المسندة إلى غيرهم لهم، و(في خير دار) وهو مكّة زادها الله شرفًا، و(وشرّ جيران) يعني قريشًا[٤٧].

وقد وردت هذه اللفظة (مَفتونون) ببنية اسم المفعول، مشتقة من الفعل الثلاثي المبني للمجهول (فُتِنَ)، بصيغة الجمع مفردها (مَفتون)، وجاءت نكرة؛ للدلالة على عموم المفتونين بالباطل، وشمولهم بالابتعاد عن سبيل الحقّ، ووقعت خبرًا للمبتدأ (هُم).

ومثل هذه الدلالة وردت في خطبة: ٣٣/ ٧٤، وخطبة: ١٠٦/ ١٩٣.

ثانياً: دلالة الصيغة الفعلية

وردت مادّة الفتنة في خطب نهج البلاغة بصيغة الفعل تسع مرات، في سبع خطب[٤٨]:

١- دلالة الفعل الماضي:

فقد وردت هذه اللفظة بصيغة الفعل الماضي مرتين في خطبتين[٤٩]، وذلك في سياق كلامه (عليه السلام)، في ذمّ صفة الدنيا: «**مَا أَصِفُ مِنْ دَار أَوَّلُهَا عَنَاءٌ! وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا[٥٠] فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ[٥١]، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ**»[٥٢]، المراد بالاستغناء، هو الاستغناء عمَّا عند الله، و(فُتِنَ) فعل ماضٍ مبني للمجهول من الفتنة بمعنى الضلالة؛ لأنَّ الاستغناء شاغلٌ عن ذكر الله مضلٌّ عن سبيله، فهو بلاء ابتلاه الله به كما نطق به القرآن

الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٥٣]، فالإمام (عليه السلام) يشير إلى أنَّ الغنى الذي يحصل بالأساليب غير المشروعة؛ لضمان حالة الثراء الفاحش، فإنَّه يؤدي إلى الوقوع في الحرام، ومن ثَمَّ يحاسب الإنسان على فعله هذا أمام الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٥٤]، فالنصُّ يوحي بأنَّ الإنسان الذي ليس له قناعة برزقه وحياته، فهو إمَّا أنْ يطمح أنْ يكونَ غنيًّا بأيَّة وسيلة، وإنْ كان ذلك على حساب الآخرين، فيوقعه في مشاكل وخلافات مع الناس، أو حزينًا؛ لأنَّه غير مقتنع بما كتب له من رزق حلال[٥٥]، وقد ذهب الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) إلى أنَّ المتأمّل في قول الإمام (عليه السلام): (**وَمَن أَبْصَرَ بها بَصّرَته**)، وجد فيه المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا تبلغُ غايته، ولا يدركُ غوره، ولا سيَّما إذا قرنَ إليه قوله: (**وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ**)، فإنَّه يجدُ الفرقَ بين (أبصرَ بها)، و(أبصرَ إليها) واضحًا نيرًا وعجيبًا باهرًا[٥٦].

وهذا يعني أنَّ التمتع في الدنيا، لا يكاد يخلو من شعور بالألم، حتى إذا أراحته هذه الحياة، فإنَّه لا يأسف على ما فات منها، ولا يبطر لحاضر، ولا يعاني ألم الانتظار، فقد صارت الدنيا له بصرًا، وحوادثها عبرًا.

وقد وردت لفظة (فُتِنَ) على صيغة الفعل الماضي المجرد المبني للمجهول، إذ أطلق عليه الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) ((باب ما لَمْ يُسمَّ فاعله))[٥٧]، وقد تقدَّمه نائب فاعله (مَنْ) الموصولة التي تضمّنت معنى الشرط، لكنَّها هنا جاءت للإخبار بحال الدنيا وسماتها، كذلك استعمل أسلوب التوكيد بالقصر، والمراد منه التخصيص والاهتمام[٥٨]، بـ(تقديم ما حقّه التأخير)، إذ قدَّم شبه الجملة من الجار والمجرور (فيها) على الفعل (فُتِن)؛ للدلالة على أنَّ الغنى

الفاحش والثراء الباطل، إنَّما يصنع إنسانًا مفتونًا بملذات الحياة وزخرفها، بعيدًا عن حدود الله، ذلك أنَّ أصل الكلام (فُتِنَ مَن استغنى فيها).

ومثل هذه الدلالة وردت في خطبة: ١٧/ ٤٦.

٢- دلالة الفعل المضارع

ورد جذر (ف. ت. ن) بصيغة الفعل المضارع سبع مرَّات، في خمس خطب[٥٩]، ومنها في سياق كلامه (عليه السلام)، وهو يوصي بالزهد والتقوى: «**وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهاً**[٦٠] **وَلاَ تَضَعُوا مِنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلاَ تَرْفَعُوا مِنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، وَلاَ تَشِيمُوا**[٦١] **بَارِقَهَا**[٦٢]**، وَلاَ تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلاَ تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلاَ تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلاَ تُفْتَنُوا بِأَعْلاَقِهَا**[٦٣]**، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ**[٦٤]**، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ**[٦٥]**، وَأَعْلاَقَهَا مَسْلُوبَةٌ**»[٦٦].

(ولا تستضيئوا بإشراقها ولا تفتنوا بأعلاقها) استعار لفظ الإشراق لزينة الدّنيا وزخارفها وزبرجها وأموالها، ولفظ الاستضاءة للالتذاذ والابتهاج بتلك الزخارف، أي لا تبتهجوا بزخارف الدّنيا ولا تفتنوا بنفائسها، وهو مستلزم للنهي لهم عن محبّة ملذّات الدنيا والتعلّق بزخرفها؛ لأنَّ ذلك هو الفاتن لهم، والمضلُّ عن سبيل الله، وهو سبب بلائهم ومحنتهم[٦٧].

وقوله: (ولا تُفتنوا بأعلاقها) تركيب ورد بأسلوب النهي بـ(لا الناهية الجازمة والفعل المضارع)، وهو أسلوب طلبي، يُراد منه طلب ترك الفعل[٦٨]، ويذهب المرادي (ت ٧٤٩هـ) إلى أنَّ (((لا) الناهية، فحرف يجزم الفعل المضارع ويخلّصه للاستقبال، نحو قوله تعالى ﴿**وَلَا تَحَافِي وَلَا تَحْزَنِي**﴾[٦٩]))[٧٠].

وقد وردت هذه اللفظة (يفتنوا)، بصيغة الفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة، المجزوم بـ(لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال

الخمسة.

ومثل هذه الدلالة وردت في خطبة: ١٥٦/ ٢٧٥.

المبحث الثاني

أصول الفتنة (الأسباب والمعالجات)

أوّلًا: تداعيات الفتنة وأسباب نشوئها

للفتنة مسوغات تساعد على نشوئها، وأكثر هذه المسوغات شيوعًا تنطوي في ضوء جانب الشرّ، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إليها في معظم خطبه؛ ليتجنبها المؤمنون والمسلمون، ومنها:

١- غرور الدنيا واتّباع ملذاتها:

إنَّ التعلّق بحبائل الدنيا وغرور ملذاتها؛ يؤدي بالإنسان إلى الخوض في شباك الفتن ومكائدها، ومن ذلك قولُ الإمام علي (عليه السلام)، وهو يوصي بالابتعاد عن حبِّ الدنيا وذمّ صفاتها: «**والدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَار مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاس مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَار[٧١] مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ أَعْلامُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلامُ الرِّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ[٧٢] لأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ[٧٣]، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ[٧٤]، وَشِعَارُهَا[٧٥] الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا[٧٦] السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ...**»[٧٧].

قوله: (قد درست أعلامُ الهدى) كناية عن فقدان حجج الدِّين، وانتفاء أدلّة الحقّ، و(وظهرت أعلامُ الرّدى) كناية عن غلبة أدلّة الباطل وظهور أئمّة الضّلال، (فهي متهجّمة لأهلها) أي داخلة عليهم كُرهًا وعنفًا؛ لأنَّها غير موافقة لرضاهم، (عابسة في وجه طالبها) أي ملاقية لهم بوجهٍ كريه، قال تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى**﴾[٧٨]، (ثَمَرُها الفتنة) أي نتيجتها وما يتولَّد عنها من الضّلال والتِّيه في ظلمة الباطل، وفيه استعارة مكنية، إذ شبَّه الدنيا بشجرة مثمرة، وأثبت الثَّمرة لها، وجعل ثمرتها الفتنة من باب التهكم، ولمَّا كانت الثمرة هي الغاية المقصودة من الشجرة، فكذلك

غاية الدّنيا عند أهلها؛ هي الفتنة والضّلال[٧٩].

وممَّا تقدَّم من نصوص إنَّما هو بيان حالة العرب قبل الإسلام، ثُمَّ شرع في الموعظة والنَّصيحة بقوله: (فاعتبروا عباد الله) أي تجنَّبوا الأعمال القبيحة، والأحوال الذميمة.

وقد وردت لفظة (الفتنة) مفردة معرّفة بـ(ال)؛ للدلالة على الفتنة المقصودة، التي تدعو إلى الفساد والضلال ومعصية الله تعالى، ووقعت خبرًا للمبتدأ (ثَمَرُها).

ومثل هذه الدلالة في فتنة الدنيا وضَلالها، وردت في قوله (عليه السلام)، وهو يوصي بالزهد في الدنيا وبتقوى الله، في خطبة: (٦٣/ ١٠٠)، وخطبة: (٨٢/ ١١٩)، وخطبة: (٨٩/ ١٤٥)، وخطبة: (٢٢٥/ ٤٣٩).

٢- الضلالُ والجهلُ وإلباسُ الحقِّ بالباطل:

إنَّ الفتنةَ أحيانًا تكون غامضةً ومبهمةً، إذ يلتبس الأمر على ضعيفي الإيمان، ويتوهَّم أنَّ الحقَّ ممتزجٌ بالباطل ومتداخلٌ معه، فلا ينكشف له وجه الباطل، ويبقى في تخبُّطٍ وحيرةٍ من أمره، فيحصل الاشتباه بين الحقِّ والباطلِ، من ذلك قوله في سياق كلامه (عليه السلام) وهو يصف العوامل والأدوات المخربة للعالم من الفتن، وبيان هذه الفتن: «**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ[٨٠]، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ؛ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ[٨١]، وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى**»[٨٢].

إنَّ المقصود بالفتن هنا اختلاف الآراء بقرينة السياق، بدليل قوله (عليه

السلام): ((وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله..))، وقد استعمل أسلوب القصر بـ(إنَّما) ((التي تفيد تخصيص المتأخر))[٨٣]، وجاء بكلمة (بدء) بعد أداة الحصر (إنَّما)؛ لتدلّ على أنَّ أول اختلاف حصل بين الصحابة، إنَّما وقع بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الشؤون الدينية والمسائل الشرعية، بسبب الأهواء والأغراض واتّباع وسوسة الشيطان؛ لابتعادهم عن كتاب الله الذي ينطق بالحق، وسُنَّة نبيه (صلّى الله عليه وآله)، الذي أمر بالتمسّك بأهل بيته والرجوع إليهم في المعضلات، وساوى بينهم وبين القرآن في حديث الثقلين الذي رواه مسلم وغيره، ولكنَّ الأهواء وحدها هي التي صرفت أهلها عن طاعة النبي في أهله[٨٤]، فلو كانَ الحقُّ خالصًا من ممازجة الباطل ومشابهته، لكانَ ظاهرًا لا يخلو على مَنْ طلبه، وهذا يعني التباس الحقِّ بالباطلِ، ممَّا يؤدِّي إلى إثارةِ الفتنِ ونشأتها بين الناس.

وقد وردت لفظةُ الفِتَنِ بصيغةِ الجمع، مفردها (فتنة) معرفة بـ(ال)؛ للدلالة على الفتنِ المعروفة، التي نشأت بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، ووقعت مضافًا إليه، وأنَّ هذه الإضافة المحضة (وقوع الفتنِ) أفادت التعريف، أي شملت جميع جنس الفتن بأشكالها وألوانها الدينية والاجتماعية وغيرها، من باب إضافة النكرة إلى المعرفة[٨٥].

ومثل ذلك قوله (عليه السلام) في وصف فئة من أهلِ الضّلال، والتحذير من الفتن: «وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ[٨٦] بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ[٨٧]، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ[٨٨]، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الاَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الاْرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا»[٨٩].

قوله (عليه السلام): (فتزيغُ قلوبٌ بعد استقامة)، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٩٠].

ولقد وردت لفظة (الفتنة)، بصيغة المصدر معرّفًا بـ(ال)، مفردة، ووقعت مضافًا إليه (طالعُ الفتنةِ)؛ للدلالة على تأصيل الفتنة وتفشيها بين الناس؛ لأنَّ اسم الفاعل (الوصف) غير المنوّن إذا أضيف إلى معموله، فإنَّ الإضافة هنا تحتمل المضي والحال والاستقبال والاستمرار، ذلك أنَّ إعمال اسم الفاعل في معموله يكون الوصف ملحوظًا فيه جانب الحدث وقربه من الفعليّة (طالعُ الفتنةَ) بالنَّصب، في حين أنَّه في الإضافة يكون ملحوظًا فيه جانب الاسميّة؛ لأنَّ الإضافة من خصائص الأسماء[٩١].

ومثل هذه الدلالة وردت في خطبة: ١٧/ ٤٦، وخطبة: ٩٣/ ١٧٢، وخطبة: ١٨٣/ ٣٣٥.

٣- النِّفاقُ والتّكبّر:

من أهمِّ التّداعيات التي تؤدي إلى نشوء الفتنة واتّساعها، هي ظاهرة النفاق والتكبّر على خلق الله، وقد أكّدَ الإمامُ محاربة هذه الظاهرة ووصف من يقوم بهذا العمل بـ(المنافقين)، وذلك في سياق كلامه (عليه السلام) وهو يصف المنافقين: «أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ: الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ[٩٢]، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ[٩٣] افْتِنَاناً،... قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً»[٩٤].

فالمنافقون يمتهنون فنونًا من القول، ولا يذهبون مذهبًا واحدًا، ومن ثَمَّ يتّبعون إنجاز مصالحهم على حساب الآخرين، فإذا ملتم عن أهوائهم أقاموكم عليها بأعمدةٍ من الخديعة

حتى توافقهم؛ لأنَّهم يترصدون في كل طريق عن الاستقامة.

وقد أفاد تركيب الجملة الفعلية (يَفْتَنُّونَ افتنانًا) الدلالة على حدوث فنون القول وتجدّدها وتلوّنها، فضلًا عن دلالة استمرار حصول الافتنان في المستقبل[٩٥]، وقد وقع (افتنانًا) مفعولًا به للفعل المضارع (يَفْتَنُّون) المرفوع بثبوت النون بوصفه من الأفعال الخمسة؛ لاتّصاله بواو الجماعة.

كذلك التَّكبر على الله تعالى وخلقه، واتِّباع الحميَّة وإظهار العصبية، وذلك في سياق كلامه (عليه السلام)، وهو يذمُّ إبليس عليه اللَّعنة، حينما استكبر على أمر الله تعالى، ولم يسجد لآدم، فهو أوَّلُ من شجَّع على الاعتزاز بالعصبيَّة، وهم قوم الرجل الذين يدافعون عنه، ويستعملون قوّتهم في الباطل والفساد، ومن ثمّ آثروا اتّباع الحميَّة وإظهار العصبية: «**أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهُجِينَةَ[٩٦] عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لآلائِهِ[٩٧]، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ إعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ[٩٨]**»[٩٩]، فالإمام (عليه السلام) ينهى عن تقبيح خلق الله واحتقارهم، ويوصي بعدم التفاخر بالألقاب والأنساب؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى الحرب، ونشر البغضاء بين الناس[١٠٠].

وقد جاء بـ(أركانِ الفتنةِ) على زنة (أفعال)، وهو من جموع القلة[١٠١]؛ للدلالة على قلَّة هؤلاء المتكبّرين على حسبِهم ونسبِهم، وقد وردت لفظة (الفتنة) بصيغة المصدر، معرفة بـ(ال)، مفردة، ووقعت مضافًا إليه، وهذه الإضافة محضة معنوية، أفادت التعريف.

٤- المالُ والأولاد والزوجة:

ذكر القرآن الكريم في مواضع الخير

والرخاء فتنة المال والأولاد، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١٠٢]، أي إنَّ حُبَّ الأموالِ والأولاد قد يسبّبُ مخالفة الله تعالى؛ لأنَّ هذا التعلّق يشغل العبد عن طاعة الله، ومن ثمّ معصيته[١٠٣].

وفي نهج البلاغة، أشار الإمام إلى فتنة المال والأولاد والجاه، وذلك في سياق كلامه عن تهذيب الفقراء بالزهد وتأديبهم: «فإذا رَأَى أَحَدُكُمْ لأَخِيهِ غَفِيرَةً[١٠٤] فِي أَهْل أَوْ مَال أَوْ نَفْس فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً،... إِنَّ المَالَ وَالبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، والعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ لأَقْوَام، فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ»[١٠٥].

والمعنى إذا رأى أحدكم لأخيه زيادة في رزقٍ أو جاهٍ أو ولد وغير ذلك، فلا بُدَّ أنْ يرضى بقسمة الله تعالى له، وأنْ (لا تكونَنَّ) رؤية هذه الغفيرة (له فتنة)، ولا توجب له ضلالًا، ولا تدفعه إلى الرغبة إلى الأغنياء، فإنَّ هذه كلَّها تكون شاغلة له عن سلوك سبيل الحقّ[١٠٦]، فالإمامُ يحذّر من فتنة المال والأولاد وغيرها؛ لأنَّ حُبَّ هذه المغريات قد يؤدي إلى مخالفة الله تعالى وعصيان أوامره، والانشغال عن طاعته وانتهاك حرمته.

وقد استعمل الإمامُ في هذا التركيب (فلا تكونَنَّ) أسلوبَ التوكيد الذي يدلُّ على طلب ترك الفعل بـ(لا الناهية والفعل المضارع)، إذ أكّدَ الفعل (تكونَنَّ) بنون التوكيد الثقيلة، وهي من حروف المعاني، التي نقلت الفعل من حالة الإعراب إلى البناء، وخلّصت زمن الفعل للدلالة على المستقبل[١٠٧].

وقد وردت لفظة (فتنة) بصيغة المفرد، نكرة؛ للدلالة على عموم الفتن التي تدعو إلى الضلال عن الحقّ، ووقعت خبرًا للفعل الناقص (تكونَنَّ).

ومثل هذه الدلالة وردت في خطبة: ١٥٦/ ٢٧٥، وخطبة: ١٩٢/ ٣٦٦.

وأمَّا فتنةُ الزوجةِ، فقد بيّنَ الإمامُ

في سياق كلامه عن زهد نبي الله عيسى (عليه السلام) في الدنيا: «وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخُشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ،... وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!»[١٠٨].

النَّص يحثُّ على التقشف وترك الدنيا والإعراض عنها، وقوله: ((وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ)) أي لم يكن يفتن بالنساء؛ لأنَّها مواجهة صعبة مع المرأة في شتَّى شؤون الحياة، فإن كانت فتّانةً تسلب لبَّه، وإن كانت قبيحة تروّع قلبه، وإن كانت زوجة تكلّفه نفقتها، وإن كانت أجنبية تجرّه إلى الفجور الفضاحة، وإن كانت عدوّة تغلبه بالبهتان أو الزور[١٠٩]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١١٠]، أي لا تنظر إلى هؤلاء المترفين المنعمين؛ لأنَّ هذه النعمَ زهرةٌ زائلة، ونعمة حائلة، إنَّما هي لاختبارهم، وقليلٌ منهم شكور، وقد ذهب ابن عطية إلى أنَّ قوله: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) أبلغُ من (ولا تنظر)؛ لأنَّ الذي يمدّ بصره إنَّما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه[١١١].

وقد ورد تركيب (تَفتِنُهُ) بصيغة الفعل المضارع المرفوع؛ لم يسبق بناصب أو جازم، مرفوع بالضمة الظاهرة، وفاعله مستتر فيه وجوبًا تقديره: (هي)، والهاء ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، وجملة (تفتِنُه) في محل رفع صفة للزوجة.

ثانياً: مظاهر التصدّي للفتنة والوقاية منها

١ - الإيمان بالله والتمسُّك بأوليائه:

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ

الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[١١٢]، أي لا يختبرون بما يُعْلَمُ به صِدْقُ إيمانهم من كذبه[١١٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١١٤]، أي إنَّ الإنسانَ إذا أغدق الله عليه من رزقه، تكبّر وأسند ذلك إلى علمه وقوته، والحقيقة هي إنَّما ذلك ابتلاء وامتحان من الله تعالى؛ لِيُبَيِّنَ به المؤمن الشكور من الجاحد الكفور، ذلك أنَّ الإيمان بالله تعالى فيه نجاة من الفتن، توحي للمؤمِنِ معالم واضحة لسلوك الصراط المستقيم[١١٥].

وأمَّا في نهج البلاغة، فالإمام علي (عليه السلام) يوصي بتقوى الله: «وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ،... وَاعْلَمُوا أَنَّهُ ﴿مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾[١١٦] مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتَهُ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ»[١١٧].

في هذا النص يأمر الإمام بالتقوى، ويُحذّر من تركها، فقال: (واعلموا أنَّ من يتّق الله يجعل له مخرجًا من الفتن) الموجبة للضلالة (ونورًا من الظلم) أي من ظلمات الجهالة[١١٨]، وهو اقتباس من الآية الشريفة في سورة الطلاق قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١١٩]، وأنَّ الاختبار كما يكون بالفقر والمشاق والمكاره، كذلك يكون بالمال والولد، وليس المال والولد من الخيرات التي تعجّل في الدنيا لمن يعطى إيّاهما كما يزعمون.

كذلك التَّمسُّك بِحِكَم أهلِ بيت النبي (صلّى الله عليه وآله) وأتباعهم، يقول الإمام (عليه السلام) في سياق حديثه عن فضائل أهل البيت (عليهم

السلام): «فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ. قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ[120] الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ، نَحْنُ الشِّعَارُ[121] وَالأَصْحَابُ، وَالْخُزَنَةُ وَالأَبْوَابُ، [وَلاَ] تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً، فِيهِمْ كَرَائِمُ[122] الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا»[123].

قوله: (قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ) المعنى قوم من أهل الضلال، قد أخذ في ذمّهم وعيبهم، وقد تكون إشارة منه إلى صفة قوم معهودين للسامعين، كمعاوية وأصحاب الجمل والخوارج، ولفظ البحار مستعار لِمَا عظم من الفتن والحروب[124].

وفي موضع آخر يبيّن الإمام (عليه السلام)، فضله ويحذّر من فتنة بني أميَّة؛ إذ يقول: «أَلاَ وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فَتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ،... عَمَّتْ خُطَّتُهَا[125]، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ[126] مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً، وَلاَ عَلَمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بنجاة، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاة»[127].

فقد حذَّرَ الإمام (عليه السلام) من خطورة فتنة بني أميَّة، بوصفها عمياء مظامَّة لا تبقي أمامها من قيم ومفاهيم ومبادئ ومُثل، ومعنى قوله: (عمّت خطّتها وخصّت بليتها)، أنَّها قد عمَّت الناسَ كافة من حيث كانت رئاسة شاملة لكلّ أحد، فقد استعادت أعراف الجاهلية، وتمكّنوا من التسلّط على رقاب المسلمين، وقد جاءت لفظة (فتنة) نكرة في سياق الإثبات، فهي لا تفيد العموم، وإنَّما مقصورة على ما قرب من زمانه (عليه السلام)، ولم تكن خالية من مدبّر، كمعاوية، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وسائر الحكام الأمويين، ومَن تبعهم من قادة الكفر والضلال، فقد كانوا مدبّرين

لأمر تلك الفتن[١٢٨].

٢- إعمال الفكر في التصدّي للفتنة وكشف جذورها

إنَّ من أهم عوامل القضاء على الفتنة واستفحالها، هو كشفها ورسم ملامح أهدافها مبكّرًا، وذلك بتشخيص أطرافها والرأس المدبّر لها، وبذلك يمكن وضع آليات مهاجمتها، وقطع دابرها، وفي هذا السياق يقول الإمام (عليه السلام): «أَمَّا بَعْد، أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ[١٢٩] عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا[١٣٠]، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا[١٣١]، فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْء فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلاَ عَنْ فِئَة تَهْدِي مائةً وَتُضِلُّ مائةً إِلاَّ نَبَّأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا[١٣٢] وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمَنَاخ[١٣٣] رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً»[١٣٤].

(أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ) أي أقدَمَ عليها حتى أطفأ نارها، كأنَّه قد جعل للفتنة عينًا محدَّقة يهابها الناس، فأقدمَ هو عليها وفقأ عينها، فسكنت بعد حركتها وهيجانها، وهذا من باب الاستعارة، وإنَّما قال: (وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي)؛ لأنّ الناس كلهم كانوا يهابون قتاله ومواجهته[١٣٥].

إذ يؤكّد الإمام تشخيص ظهور الفتنة، بالبحث عن مثيراتها، فنجده يشير إلى ذلك في سياق تعليم الحرب والمقاتلة، وهو يعلّم أصحابه ليلة الهرير (أول لقاء العدو في حرب صفين)، إذ يقول: «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ الله، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله)، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأَعْقَابِ[١٣٦]، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً[١٣٧]، وَعَلَيْكُمْ بِهذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ[١٣٨]، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ[١٣٩]، فَإِنَّ

الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[١٤٠]، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً؛ فَصَمْداً صَمْداً![١٤١] حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[١٤٢]»[١٤٣].

فالإمامُ في هذا النص قد شخَّص مركز الفتنة ومثيرها، إذ يوجّه أصحابه إلى الهجوم على خيمة (معاوية بن أبي سفيان) والنيلِ منها؛ لأنَّها بؤرة الفتنة وعينها.

ويقول في موضع آخر: «إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ[١٤٤]، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحْمَنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً،...»[١٤٥].

وفي إحدى وصاياه وحكمه إلى عامة الناس، وهو يعظهم بكيفية معالجة وباء الفتنة إذا أقبلت، إذ يقول: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ[١٤٦]، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ»[١٤٧].

يذهب ابن أبي الحديد في هذا النص إلى أنَّ (ابن اللبون) ضعيفٌ؛ لأنَّه غير مكتمل، وليس له قوة أو ظهر فيركب، ولا يمتلك الضّرعَ فيحلب؛ لأنَّه ليس بأنثى، ومن ثَمَّ لا يُنتفع به، وما يشير إليه الإمام بأيَّام الفتنة ومناسباتها، إنَّما هي أيَّام الخصومة، التي تكون بين خصمين أو فريقين، فغالبًا ما يدعو الخصمان إلى الضلالة؛ لذا أمر الإمام أصحابه في زمن الفتن أن يتشبهوا بابن اللبون، وأشار إلى وجه الشبه (لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب) أي أن يكون خاملَ الذِّكر، ضعيفًا غير مستكثر من المال؛ لكيلا يعين أو يساهم في مشاركة الظالمين بنفسه أو ماله، فلا ينتفع به، والفتن في عهد الإمام كثيرة، منها: فتنة الجمل وصفين ونحوها، فيجب سَلُّ السيف والنهي عن المنكر؛ لإظهار الحقِّ ونصرة الدين[١٤٨]، ذلك أنَّ الفتنة إنَّما هي ظاهرة يشتبه فيها بين الحقّ والباطل، ممَّا يقود أفراد المجتمع

إلى الخطأ، وقد تبيَّن الحق مع مرور الزمن.

وفي سياق كلامه في ذمِّ أهل البصرة بعد وقعة الجمل: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ[١٤٩]، رَغَا[١٥٠] فَأَجَبْتُم، وَعُقِرَ[١٥١] فَهَرَبْتُمْ، أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ[١٥٢]، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِيْنُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[١٥٣]»[١٥٤].

إذ يشير الإمام في هذا النص، إلى أنَّ من أهمِّ مسبّبات الفتنة هو (الجمل)، فقد أمَرَ أصحابَه بعقر (الجمل) وإسقاطه؛ بوصفه سبب الفتنة، ويذهب ابن أبي الحديد في هذه الواقعة إلى قوله: ولقد كانت الرؤوس تندرُ عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقتابُ البطنِ تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة، لا تتحلحل ولا تتزلزل، حتى لقد صرخ بأعلى صوته، ويلكم اعقروا الجملَ، فإنَّه شيطانٌ، ثم قال: اعقروه وإلّا فَنِيَت العربُ، ولا يزال السيف قائمًا حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض، فَصمدوا له حتّى عقروه، فسقط وله رغاء شديد، فلمَّا بَرَكَ كانت الهزيمةُ، ثُمَّ أمَرَ عليٌّ (عليه السلام) بالجمل أنْ يحرق، ثُمَّ يذرى في الريح، وقال (عليه السلام): لعنة الله من دابة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل[١٥٥]، ثم قرأ: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[١٥٦].

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، بفضل من الله تعالى، توصَّلتُ إلى جملة من النتائج، منها:

١- تجلَّت (الفتنة) في خطب نهج البلاغة بدلالتين: وصفت الأولى بالإيجابية؛ لأنّها تحثُّ المؤمن على التمسُّك بدينه وعقيدته، ليكون قادرًا على الثبات أمام تحدّيات الفتن التي تصيب المجتمع، واختصّتِ الثانية بجانب الشّرّ، وهي الأكثرُ شيوعًا، تمثَّلت بِضلال الإنسان

وجهله بدينه وعقيدته، فضلًا عن ابتعاده عن الحدود التي رسمها الدِّين الإسلامي، ومن ثُمَّ فهو يدعو إلى هلاك الأُمَّة وفسادها.

٢- وردت لفظة (الفتنة) ومشتقاتها، بصيغة المصدر واسم المفعول والفعل الماضي والفعل المضارع، وقد بيَّن البحث في سياق تتبع لفظة (الفتنة) ومشتقاتها؛ أنَّ عدد ورودها وتكرارها في خطب نهج البلاغة، قد بلغ اثنتين وخمسين مرَّة، في ثلاثٍ وثلاثين خطبة، إذ وردت بصيغة الاسم ثلاثًا وأربعين مرَّة، في ثمانٍ وعشرين خطبة، وبصيغة الفعل تسع مرَّات، في سبع خطب، فقد وردت بصيغة المصدر، واسم المفعول، والفعل الماضي، والفعل المضارع.

٣- استعمل الإمام مفهوم الفتنة في كثير من خطبه في جانب الشّر، وبيّنَ أنَّ أهمَّ العوامل التي تؤدّي إلى إثارة الفتنة، وأشار إلى سُبلِ التصّدي لها والوقاية منها.

٤- تنوَّعت الأساليب التي استعملها الإمام في خطبه للحذر من عواقب الفتنة والابتعاد عنها، سواء على صعيد الأسلوب الخبري أم الأسلوب الإنشائي الطلبي، متمثّلًا بأساليب: الأمر، والنَّهي، والتَّوكيد.

٥- عضَّد الإمام مفهومه لدلالة (الفتنة) في بعض خطبه بآيات من القرآن الكريم؛ لتأكيد خطورة هذه الظاهرة، وتأصيل نتائجها.

٦- بيَّن الإمام في خطبه إلى أصحابه ورعيَّته أنَّ (الفتنة) تهدف إلى نشر الحقد والبغضاء بين المسلمين، وتعمل على تهديد أمن الدولة الإسلامية، إذ تشتبه على ذوي البصيرة، فلا يستطيعون تمييز الحقّ من الباطل بسبب سماتها وطبيعتها، التي تدعو إلى العصبية الجاهلية، وتقويض مبادئ الدين الإسلامي.

٧- تُعَدُّ طاعة الله ورسوله وأهل بيته وأولي الأمر من أهمِّ السُّبل في التغلّب على الفتن، وهذا ما أكّده الإمام في خطبه.

الهوامش:

(١) سورة الذاريات: الآية: ١٣.

(٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ):٥/ ٨٤.

(٣) سورة البقرة: من الآية: ١٩١.

(٤) ينظر: العين (فتن): ٨/ ١٢٧.

(٥) معجم مقاييس اللغة (فتن)، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ٤/ ٢٧٢.

(٦) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية (فتن)، للجوهري (ت: ٣٩٣هـ): ٢/ ٣٣.

(٧) سورة طه: من الآية: ٤٠.

(٨) ينظر: معاني القرآن، للفراء (ت: ٢٠٧هـ): ١/ ٥٠٧.

(٩) سورة الذاريات: الآية: ١٣- ١٤.

(١٠) ينظر: روح المعاني، للآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ): ٢٧/ ٧.

(١١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): ٣٨٦- ٣٨٨.

(١٢) سورة الأنبياء: الآية: ٣٥.

(١٣) سورة البقرة: من الآية: ١٩١.

(١٤) صحيح مسلم، لمسلم النيسابوري (ت: ٢٦١هـ): كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، رقم الحديث (٢٢٩٣): ١١١٥، وينظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: ٥/ ٥٩، ولسان العرب (فتن): ١٣/ ٣١٧.

(١٥) ديوان عنترة: ٨٣.

(١٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (٦٠٦هـ): ٣/ ٤١٠، والقاموس المحيط: للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ت: ٩١١هـ): ١/ ٢٨٦.

(١٧) جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير الطبري: ٢/ ١٩١.

(١٨) ينظر: الكشاف: ٣/ ١٨٢.

(١٩) التعريفات: للجرجاني (ت ٨١٦هـ): ١٦٥.

(٢٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة (فتن): ١٢٤٢.

(٢١) اللمع في العربية، ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: د. سميح أبو مغلي: ٤٤، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ١٤٦.

(٢٢) معاني الأبنية في العربية: للدكتور فاضل السامرائي: ١٨.

(٢٣) ينظر: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، صالح سليم الفاخري: ١٧١.

(٢٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة (فتن): ١٢٤١- ١٢٤٣.

(٢٥) لله بلاء فلان: أي لله ما فعل من الخير، ينظر: أساس البلاغة (بلي): ١/ ٧٧.

(٢٦) قوّمَ الأوَد: عدّل الاعوجاج، ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية (أود): ٢/ ٤٤٢.

(٢٧) العَمَد بالتحريك: العلّة، ينظر: معجم مقاييس اللغة (عمد): ٤/ ١٣٧.

(٢٨) خلّف الفتنة: تركها خلفًا، لا هو أدركها ولا هي أدركته، ينظر: العين (خلف): ٤/ ٢٦٦.

(٢٩) نهج البلاغة: خطبة/ ٢٢٨: ٤٤٣.

(٣٠) سورة المائدة: من الآية: ١٢٠.

(٣١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ): ١٢/ ٥، وينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ): ٤/ ٩٨.

(٣٢) الفساد الإداري. الوقاية والعلاج (حكومة الإمام علي (عليه السلام) أنموذجًا: أ. م. د عبد الزهرة جاسم الخفاجي، بحث منشور في مجلة المبين- السنة الخامسة، العدد العاشر: ١٤٦.

(٣٣) ينظر: دلالات الأبنية، د. عبد الحق أحمد محمد الحجي: ٢٥١.

(٣٤) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٦٣.

(٣٥) شَغَرَ بِرِجْله: رفعها، كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها، ينظر: تاج العروس (شغر)، للزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ): ١٢/ ٢٠٢.

(٣٦) تَطأ في خطامها: أي تتعثر فيه، كناية عن إرسالها وطيشها، وعدم وجود قائد لها، ينظر: لسان العرب (خطم): ١٢/ ١٨٦.

(٣٧) نهج البلاغة: خطبة/ ١٨٩: ٣٥١.

(٣٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ٤/ ٢٠١.

(٣٩) ينظر: معاني النحو: السامرائي: ٣/ ٩١.

(٤٠) ينظر: كتاب سيبويه: ١/ ١٠٩.

(٤١) ينظر: الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور (ت: ٦٦٩): ٢٩٦، وشرح الرضي على الكافية، لرضيّ الدين الاستراباذي (ت: ٦٨٦هـ): ٣/ ٣٤٢- ٣٤٣، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي (ت: ٩١١هـ):٣/ ٢٨٧.

(٤٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٤٢.

(٤٣) الأخْفَاف: جمع خُفّ، وهو للبعير

كالقدَم للإنسان، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (خفف): ٢/ ٥٤.

(٤٤) الأظلاف: جمع ظِلْف - بالكسر - للبقر والشاة وشبههما، كالخفّ للبعير والقدم للإنسان، ينظر: العين (ظلف): ١/ ٣٦٧.

(٤٥) السّنَابك: جمع سُنْبُك، وهو طَرَفُ الحافر، ينظر: أساس البلاغة (سنبك): ١/ ٤٧٦.

(٤٦) نهج البلاغة: خطبة/ ٢: ٢٧.

(٤٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٣١، وشرح ابن ميثم البحراني: ١/ ٢٤٣.

(٤٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٤٢.

(٤٩) م. ن: ١٢٤٢.

(٥٠) ساعاها: جاراها سعيًا، ينظر: تهذيب اللغة (سعي): ٣/ ٥٩.

(٥١) واتَتْهُ: طَاوَعَتْهُ، ينظر: لسان العرب (وتت): ٥/ ١٣١.

(٥٢) نهج البلاغة: خطبة/ ٨٢: ١١٩.

(٥٣) سورة الأنفال: الآية: ٢٨.

(٥٤) سورة العلق: الآية: ٦- ٧.

(٥٥) ينظر: مدخل إلى المعالجات الاستراتيجيّة التي اتَّبعها الإمام علي (عليه السلام) في معالجته لمشكلة الفقر: م. د. فاطمة مصحب لفتة، مجلة المبين، السنة الثالثة، العدد السادس: ٢٩٩- ٣٠٥.

(٥٦) ينظر: نهج البلاغة، شرح الإمام محمد عبده: ١٣١.

(٥٧) الجمل في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي: ٧٦، والجملة الفعلية: علي أبو المكارم: ١١٧.

(٥٨) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ٤/ ١٥٦٥، وأساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد دراز: ١٣٣.

(٥٩) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٤٣.

(٦٠) الوِلاءُ: جمع واله: الحزين على الشيء حتى يناله، أي المشتاق، ينظر: معجم مقاييس اللغة (وله): ٦/ ١٤٠.

(٦١) شامَ البرقَ: نظر إليه أين يمطر، ينظر: تهذيب اللغة (شيم): ١١/ ٢٩٨.

(٦٢) البارق: السحاب، ينظر: جمهرة اللغة (برق) ١/ ٣٢٢.

(٦٣) الأعلاق - جمع عِلْق، بكسر العين

بمعنى النفيس، ينظر: تاج العروس (علق): ٢٦/ ١٨١.

(٦٤) خالب: خادع، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (خلب): ٥/ ٢٠٨.

(٦٥) المحروبة: المنهوبة، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (حرب): ١/ ٢٥٨.

(٦٦) نهج البلاغة: خطبة/ ١٩١: ٣٥٧.

(٦٧) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للعلّامة حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ): ٣/ ٢٥٥.

(٦٨) ينظر: معاني القرآن، للفراء (ت: ٢٠٧هـ): ١/ ٤٧٧، والمقتضب، للمبرّد (ت: ٢٨٥هـ): ٢/ ٤٧٧، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢٦.

(٦٩) سورة القصص: من الآية: ٧.

(٧٠) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٠٠، وينظر: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم: يوسف عبد الله الأنصاري، رسالة ماجستير: ٢٧٦.

(٧١) اغْوِرار الماء: ذهابه، ينظر: العين (غور): ٤/ ٤٤١.

(٧٢) متجهّمة، من (تجهمه): أي استقبله بوجه كريه، ينظر: لسان العرب (جهم): ١٢/ ١١٠.

(٧٣) ثَمَرُها الفتنة: أي ليست لها نتيجة سوى الفتن، ينظر: تهذيب اللغة (فتن): ١٤/ ٢١٣.

(٧٤) الجيفة: إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (جيف): ١/ ٣٢٥.

(٧٥) الشّعار من الثياب: ما يلي البدن، ينظر: الصحاح (شعر): ٢/ ٦٩٨.

(٧٦) الدّثار: فوق الشّعار، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (دثر): ٩/ ٢٩٢.

(٧٧) نهج البلاغة: خطبة/ ٨٩: ١٤٥.

(٧٨) سورة عبس: الآية: ١ - ٢.

(٧٩) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٣٨٩، في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد: العلامة الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، تحقيق: سامي الغريري: ٢/ ٣٩١.

(٨٠) المرتادين: الطالبين للحقيقة، ينظر: تهذيب اللغة (رود): ١٤/ ١١٤.

(٨١) الضِغْث: بالكسر: قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس، ينظر: تاج العروس (ضغث): ٥/ ٢٩٠.

(٨٢) نهج البلاغة: خطبة/ ٥٠: ٩٠.

(٨٣) دلائل الإعجاز: ٣٢٩.

(٨٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٣/ ٢٤١، وشرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ٢/ ١٣٤.

(٨٥) ينظر: معاني النحو، للسامرائي: ٣/ ١٠٧.

(٨٦) يتزايلون: يتفرّقون، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (زول): ٩/ ١٠٤.

(٨٧) الرجوف: شديدة الرجفان والاضطراب، ينظر: العين (رجف) ٦/ ١٠٦.

(٨٨) الزحوف، شديدة الزَّحف: ينظر: معجم مقاييس اللغة (زحف): ٣/ ٤٩.

(٨٩) نهج البلاغة: خطبة/ ١٥١: ٢٦٤.

(٩٠) سورة آل عمران: من الآية: ٧.

(٩١) ينظر: معاني النحو، للسامرائي: ٣/ ١١٤.

(٩٢) الزّالون: من (زلّ) أي أخطأ، و(المُزلّون): من (أزلّه) إذا أوقعه في الخطأ، ينظر: جمهرة اللغة (زلل): ١/ ١٣٠.

(٩٣) يفتنون: يأخذون في فنون القول لا يذهبون مذهبًا واحدًا، ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (فتن): ٢/ ٤٦٢.

(٩٤) نهج البلاغة: خطبة/ ١٩٤: (٣٨٥-٣٨٧).

(٩٥) ينظر: معاني الأبنية، لفاضل السامرائي: ١٧.

(٩٦) الهجينة: الفعلة القبيحة المستهجنة، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (هجن): ٤/ ١٦٩.

(٩٧) الآلاء: النّعم، ينظر: تاج العروس (ألي): ٣٧/ ٩٧.

(٩٨) اعتزاء الجاهلية: التفاخر بالأنساب، كلّ منهم يعتزي: أي ينتسب إلى أبيه، وما فوقه من أجداده، ينظر: تهذيب اللغة (عزي): ٣/ ٦٣.

(٩٩) نهج البلاغة: خطبة/ ١٩٢: ٣٦٥.

(١٠٠) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٣/ ١٥٠.

(١٠١) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٧٣.

(١٠٢) سورة التغابن: الآية: ١٥.

(١٠٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ابن كثير القرطبي (ت: ٦٧١هـ): ١٨/ ٤٢.

(١٠٤) غفيرة: زيادة وكثرة، ينظر: العين (غفر): ٤/ ٤٠٦.

(١٠٥) نهج البلاغة: خطبة/ ٢٣: (٥٥-

٥٦).

(١٠٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٣١٤، وشرح البحراني: ٢/ ٦، ومنهاج البراعة: ١/ ٣٢٢.

(١٠٧) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش: ٩/ ٣٧، وشرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود: ٢/ ٢٠٤.

(١٠٨) نهج البلاغة: خطبة/ ١٦٠: ٢٨٣.

(١٠٩) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ٣/ ٢٨٦.

(١١٠) سورة طه: الآية: ١٣١.

(١١١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٣٢٦، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: ٤/ ٧٠.

(١١٢) سورة العنكبوت: من الآية: (٢ - ٣).

(١١٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٣/ ٣٩٩.

(١١٤) سورة الزمر: الآية: ٤٩.

(١١٥) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: للطبري: ٢٠/ ٢٢٠، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٥٣٦.

(١١٦) سورة الطلاق: من الآية: ٢.

(١١٧) نهج البلاغة: خطبة/ ١٥٤: (٢٦٩-٢٧٠).

(١١٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٣/ ١٥٢، وشرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ٤/ ٢٧٢.

(١١٩) سورة الطلاق: من الآية: ٢- ٣.

(١٢٠) أَرَزَ يأرِزُ: بكسر الراء في المضارع: أي انقبضَ وثَبَتَ، وأَرَزَت الحيَّة، لاذَتْ بِحجرِها ورَجَعتْ إليه، ينظر: معجم مقاييس اللغة (أَرَزَ): ١/ ٧٨.

(١٢١) الشِّعارُ: ما يلي البدنُ من الثياب، والمراد بطانة النبي الكريم، ينظر: أساس البلاغة (شعر): ١/ ٥١١.

(١٢٢) الكرائم: جمع كريمة، والمراد آيات في مدحهم كريمات، ينظر: معجم مقاييس اللغة (كرم): ٥/ ١٧١.

(١٢٣) نهج البلاغة: خطبة/ ١٥٤ (٢٦٩-٢٧٠).

(١٢٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٦٦، وشرح نهج البلاغة (ابن ميثم البحراني): ٣/ ٢٤٩.

(١٢٥) الخُطّة، بالضم: الأمر، و«عمَّت

خُطتها»: أي شمل أمرها؛ لأنَّها رئاسة عامة، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (خطط): ٢/ ٤٧.

(١٢٦) شوهاء: قبيحة، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (شوه): ٤/ ٤٠٢.

(١٢٧) نهج البلاغة: خطبة/ ٩٣: (١٧١-١٧٢).

(١٢٨) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/ ٥٣.

(١٢٩) فقأتها: قلعتُها، تمثيلٌ لتغلّبه عليها، ينظر: لسان العرب (فقأ): ١١/ ٣٤٧.

(١٣٠) الغيهبُ: الظلمةُ، ينظر: تاج العروس (غهب): ٣/ ٤٩٥.

(١٣١) الكَلَبُ: داءٌ معروفٌ يصيبُ الكلاب، فكلّ مَنْ عضّتهُ أُصيب به، فَجُنَّ ومات، إنْ لم يبادر بالدّواء، ينظر: العين (كلب): ٥/ ٣٧٧.

(١٣٢) ناعِقها: الداعي إليها، مِنْ نَعَقَ بِنعمته، صاحَ بها لتجتمع، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (نعق): ١/ ٢٢٥.

(١٣٣) المُناخُ، بضمّ الميم، محلّ البُرُك، ينظر: تاج العروس (نوخ): ٧/ ٣٦٢.

(١٣٤) نهج البلاغة: خطبة/ ٩٣: ١٧٠.

(١٣٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٤٦، وسياسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الإصلاح والتغيير (العطاء أنموذجًا): أ.م.د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، مجلة المبين، السنة التاسعة، العدد ٢١: ١٣٨.

(١٣٦) عَارٌ في الأعْقاب: هنا الأولاد؛ لأنهم يُعْيّرُون بفرار آبائهم، ينظر: لسان العرب (عير): ٤/ ٦٢٣.

(١٣٧) السُّجُح، - بضمتين -: السهل، ينظر: أساس البلاغة (سجح): ١/ ٤٣٧.

(١٣٨) الرّواق المُطنب: الرّواق: الفسطاطُ، والمطنَّب: المشدود بالأطنابِ، جمعُ طُنُب: وهو حبلٌ يُشدُّ به سُرادِقُ البيت، ينظر: معجم مقاييس اللغة (روق): ٢/ ٤٦٠.

(١٣٩) الثَبَجُ، بالتحريك: الوسط، ينظر: تاج العروس (ثبج): ٥/ ٤٤٢.

(١٤٠) كِسْرُهُ: شَقّه الأسفل، كناية عن الجوانب التي يفرّ إليها المنهزمون، ينظر: القاموس المحيط (كسر): ١/ ٤٦٩.

(١٤١) الصّمدُ: القصدُ، أي فأثبتوا على قصدكم، ينظر: لسان العرب (صمد): ٣/ ٢٥٩.

(١٤٢) سورة محمد: الآية: ٣٥.

(١٤٣) نهج البلاغة: خطبة/ ٦٦: ١٠٥.

(١٤٤) شبّهتْ: اشتبه فيها الحقّ بالباطل، ينظر: تهذيب اللغة (شبه): ١١/ ١٩٨.

(١٤٥) نهج البلاغة: خطبة/ ٩٣: ١٧.

(١٤٦) ابن اللبون، بفتح اللام وضّم الباء، ابن الناقة إذا استكمل سنتين، ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (لبن): ٢/ ٥٤٨.

(١٤٧) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم الحكمة: ١/ ٥٩٩.

(١٤٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ٨٢.

(١٤٩) أتباع البهيمة، يريد بالبهيمة: الجملُ، وقصّته مشهورة، ينظر: تهذيب اللغة (بهم): ٦/ ١٧٩.

(١٥٠) رَغَا الجملُ: أطلق رُغاءه، وهو صوته المعروف، ينظر: تاج العروس (رغو): ٣٨/ ١٦٨.

(١٥١) عُقِر الجملُ: جرح أو ضربت قوائمه، أو ذبح، ينظر: العين (عقر): ١/ ١٤٩.

(١٥٢) أخْلاقكم دِقاقٌ: دنيئة، ينظر: لسان العرب (دقق): ١٠/ ١٠٠.

(١٥٣) زُعاقٌ: مالِحٌ، ينظر: معجم مقاييس اللغة (زعق): ٣/ ٨.

(١٥٤) نهج البلاغة، خطبة: ١٣/ ٤١.

(١٥٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٦٤.

(١٥٦) سورة طه: من الآية: ٩٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، الدكتورة خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ.

٣- أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٥م.

٤- أساليب الأمر والنهي في القرآن وأسرارها البلاغية: يوسف عبد الله الأنصاري، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٥- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: الدكتور صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦- تاج العروس: السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، بيروت، ١٩٦٦م.

٧- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.

٨- تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: الدكتور صالح سليم الفاخري، مكتبة مطبعة الاشعاع، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٦م.

٩- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: علي حسن الهلالي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية، مطابع سجل العرب، القاهرة، د. ت.

١٠- جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ٣، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١١- الجامع لأحكام القرآن: أبوعبد الله

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٢- الجملة الفعلية: الدكتور علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت ٣٢١هـ)، علق عليه ووضع فهارسه وحواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٤- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٥- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، الشركة الدولية للطباعة، ط ٥، القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

١٦- دلالات الأبنية: الدكتور عبد الحق أحمد محمد الحجي، ديوان الوقف السنّي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية المعاصرة، ٢٠١١م.

١٧- ديوان عنترة: للخطيب التبريزي، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٩- زاد المسير في علم التفسير: أبو جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، خرَّج آياته وأحاديثه وحواشيه: أحمد شمس الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠- شرح التصريح على التوضيح: خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١- شرح جمل الزّجّاجيّ: ابن عصفور الإشبيليّ (ت ٦٦٩هـ) الشرح الكبير، تحقيق: الدكتور صاحب أبو جناح، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٢- شرح الرّضيّ على الكافية: تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٣- شرح المفصل: موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د. ت).

٢٤- شرح نهج البلاغة: عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨١هـ- ١٩٥٩م.

٢٥- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)، عُني بتصحيحه: عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٧٨هـ.

٢٦- صحيح مسلم بشرح النووي: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٧- فتح القدير والجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٨- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد: العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٢٩- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:

٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٢، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٣٠- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١.
٣١- اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي، عمان - الأردن، ١٩٨٨م.
٣٢- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٣٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٤- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.
٣٥- مُعجم التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ - ١٤١٣م)، تحقيق ودراسة: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٦- معاني الأبنية في العربية: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان - الأردن، ط٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٣٧- معاني القرآن: أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٦هـ)، عالم الكتب، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م.
٣٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحقّ بن عطيّة الغرناطي (ت٥٤١هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد صادق الملاح، القاهرة، ١٣٩٤هـ-

١٩٧٤م.
٣٩- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المُرسيُ المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، منشورات الهجرة، إيران، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.
٤١- المُعجم المُفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٤٣م.
٤٢- المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: كاظم محمّدي ومحمد دشتي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٤٣- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٤- مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، مطابع السياسة، الكويت، (د. ت).
٤٥- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، ط٤، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٤٦- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٤٧- الممتع الكبير في التصريف: ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
٤٨- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تحقيق الشيخ: حسن زاده الآملي وعلي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١،١٤٢٤هـ-

٢٠٠٣م.

٤٩- النهاية في غريب الحديث والاثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٥٠- نهج البلاغة: مجموعة ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي (ت: ٤٠٦هـ)، من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميَّة الدكتور: صبحي الصالح، طبعة جديدة ومنقحة، أنوار الهدى، إيران، قم، ط٤، ١٤٣١هـ.

٥١- نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ)، من كلام سيِّدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرحه: الإمام الشيخ محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

البحوث المنشورة في الدوريات

١- سياسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الإصلاح والتغيير (العطاء أنموذجًا): أ.م.د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، مجلة المبين: تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة، تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره، السنة التاسعة، العدد ٢١، ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م.

٢- الفساد الإداري. الوقاية والعلاج (حكومة الإمام علي (عليه السلام) أنموذجًا: أ.م.د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي، الجامعة الإسلامية، بابل، مجلة المبين: تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة، تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره - السنة الخامسة، العدد العاشر، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

٣- مدخل إلى المعالجات الاستراتيجيَّة التي اتَّبعها الإمام علي (عليه السلام) في معالجته لمشكلة الفقر: م. د. فاطمة مصحب لفتة،

جامعة واسط، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة علي وفكره، السنة الثالثة، العدد السادس، المبين: تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام

يا علي
الشرفاوي
١٤٣٩

الجوانب
الاجتماعية والدينية والأخلاقية
في قصار حكم نهج البلاغة

The Social, Religious, and Ethical Aspects in Nahjul al - Balagha's Short Sayings (Qisar al-HiKam)

م. د. سندس بندر خزعل

جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي

dr. Sundas Bandar Khazaal

Basrah Studies Center and Arabian Gulf

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012408

ملخص البحث

جاء البحث ليسلط الضوء على قصار حكم الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، الذي يُعَدُّ كتابًا يجمع خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله وحكمه، فهو مرجع مهم في الفكر الإسلامي والأدب العربي؛ إذ اشتمل الكتاب على العديد من الحكم والمواعظ التي تدعو إلى التفكير في الحياة والكون، إذ قدَّم الإمام علي (عليه السلام) رؤيته الشاملة في الجوانب الاجتماعية وفي التربية، لتركز على بناء شخصية متوازنة للمسلم، وكذلك دعا أمير المؤمنين (عليه السلام) في حكمه إلى التقوى والورع والخشية من الله، وعدَّها أساس السعادة في الدنيا والآخرة، وحثَّ على الزهد في الدنيا، ودعا إلى التفكير بالآخرة والاستعداد لها، ودعا أمير المؤمنين عبر حكمه البلاغية إلى تهذيب الأخلاق والتركيز على القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية، والتأكيد على المسلم لتطبيقها في الحياة اليومية، ليرفع من مكانة المجتمع الإسلامي، ويرتقي بهذه المبادئ والقيم إلى أسمى درجات الرقي والعدل والحق، ويُعَدُّ الكتاب مصدرًا للإلهام بالنسبة إلى المسلمين في حياتهم وسلوكياتهم، ويدعوهم إلى التمسُّك بالأخلاق والقيم الراقية، ويهدف إلى هدايتهم لطريق الخير وتقديم نماذج للمسلم الصالح.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، أقوال مختصرة، بناء الشخصية.

Abstract

The study sheds light on Imam Ali's short sayings, in which he Presents a Comprehensive vision addressing social aspects and educational Principles that focus on building a balanced Muslim character. Likewise, the prince of true belivers, in his sayings, called for piety, righteousness, and fear of Allah, Considering them the foundation of happiness in this world and the Hereafter. He also encouraged asceticism toward worldly pleasures and urged reflection on the afterlife and preparation for it.

Key words: Nahjal-Balagha, Short Sayings, Character Building.

المقدمة

لقد جاءت قصار حِكم الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة متضمّنة معاني كثيرة، وشملت اتجاهات معنوية مختلفة، فمنها ما كان يهتم بالجانب الاجتماعي لحياة الإنسان أو الديني أو الإنساني، وليس غريبًا أن تتعدَّد هذه المعاني والاهتمامات عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، لما ازدانَ به من صفات خاصة، ومعالم شخصية متفردة، فهو من الدِّين يعسوبه، وللأخلاق منبع عذب، وللإنسانية منهج ذو أصول عميقة، أمَّا عن شخصيته، فكان الإمام (عليه السلام) خليفة رسول (صلى الله عليه وآله) وقائدًا محنكًا للمسلمين، وراعيًا مسؤولًا عن حياتهم في جميع شؤونهم، وعلى هذا الأساس يكون الإمام علي (عليه السلام) قد جمع في ذاته البعدين الديني والدنيوي معًا، فأصبح معلمًا مقدامًا في معالم السياسة والحياة العربية الإسلامية، وما زال حتى يومنا هذا.

إنَّ أهمية أي موضوع تتبلور حينما تتلاقى فيه عناصر الدراسة النظرية والتطبيقية معًا، ولَمَّا كان موضوع (الحِكَم) نفسه موضوعًا واسعًا، وذلك لِمَا تضمّنته هذه الحِكم من بعد إنساني شمولي، جمع بين الإبداع الفكري والفنيّ، وصدور هذه الحِكم عن الإمام علي (عليه السلام)، جعل منه نتاجًا ذا أبعاد فكرية متميزة، لأنَّه (عليه السلام) قائد وموجّه، يمتلك رسالة إنسانية يريد إيصالها إلى الناس كافة باختلاف أجناسهم وأزمنتهم، لذا سأقف بالتحديد عند مقاصد الإمام (عليه السلام) من قصار الحِكم التي كانت جسرًا تعبّر عن جوانب متنوعة سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم إنسانية وجهها إلى عموم البشر، ولا بُدَّ من الإشارة إلى ذلك، غير أنَّ الجوانب التي قصدها الإمام قد تتداخل في بعض الأحيان ببعضها، فيصبح

التمييز وإعطاء نوع من الخصوصية لكل حكمة قالها الإمام وقصد فيها معنى دون الآخر، وبعضها تأتي مكملة للجانب الآخر، لذا قسم البحث إلى ثلاثة محاور:

أولًا: المحور الاجتماعي.

ثانيًا: المحور الديني.

ثالثًا: المحور الأخلاقي.

أمَّا المصادر، فقد اعتمدت على شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة، وكتاب الآمدي (غرر الحكم ودرر الكلم)؛ لأنَّه قد جمع حكم الإمام (عليه السلام) وصنفها حسب الحروف الهجائية، ليسهل استعمالها من قبل الباحث، وكذلك الشيخ المحمودي (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة). زيادة على بعض كتب الصحاح والحديث.

أوَّلًا: المحور الاجتماعي

يُعَدُّ الجانب الاجتماعي من أهم الجوانب في سلسلة المفاهيم التي جاء بها الدِّين الإسلامي؛ إذ أن هناك دلالات مهمَّة في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة تخص الجانب الاجتماعي في الشريعة الإسلامية.

ولمَّا كان المجتمع هو الأساس الذي تُبنى عليه العقيدة، والبذرة التي تتفرع منها الحياة المنظمة بأشكالها المختلفة، نجد أنَّ الإمام (عليه السلام) قد أدرك هذه الحقيقة في وقت مبكر، فكان من أوائل الذين أسهموا في تقويم المجتمع وبنائه، وتنظيفه من الأدران والعيوب على وفق المفاهيم والمبادئ الإسلامية الراقية والرصينة، لذا تُعد الأسرة هي النواة الرئيسة في بناء أي مجتمع من المجتمعات، والقاعدة التي تُبنى عليها الحياة الاجتماعية في الإسلام[1].

إنَّ استقرار الأسرة بلا شك له تأثير ظاهر في استقرار المجتمع، فجاءت حكمة الإمام (عليه السلام): «**وَلاَ يكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ**»[2] توجيهًا صريحًا إلى ضرورة العمل على إسعاد

الأسرة، وتحذيرًا بالابتعاد عن كل ما يسهم في إضعافها وتحللها، فالتماسك الأسري لا يتحقق إلّا بأن يسود الأسرة جو من التعاون والاحترام والمودة.

وأولى الإمام (عليه السلام) اهتمامًا بالغًا لهذا الأمر، فنراه يحفز المسلمين مثلًا على اختيار المرأة الصالحة القادرة على القيام بمسؤوليتها داخل هذا البناء الصغير بصورة صحيحة؛ إذ يقول (عليه السلام): «الزَّوجَةُ الصّالِحَةُ أحَدُ الكَسبَينِ»[٣]، والتأكيد على اختيار المرأة الصالحة يعد هو المدخل الشرعي والأساس لتكوين الأسرة، وحارب (عليه السلام) أيّة ممارسة غير أخلاقية في المجتمع، إذ قال الإمام (عليه السلام)، «أربَعٌ لا تَدخُلُ بَيتا واحِدَةٌ مِنهُنَّ إلّا خَرِبَ ولَم يَعْمُرْ بِالبَرَكَةِ: الخِيانَةُ، والسَّرِقَةُ، وشُربُ الخَمرِ، والزِّنا»[٤] وبذلك وضع الإمام اللبنات الأولى لبناء المجتمع الإسلامي السليم القائم على خلق صحيح.

ويرى الإمام (عليه السلام) أنَّ «... وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ»[٥]، وهنا نسأل: لماذا رفع الله الجهاد عن المرأة؟ صحيح أنَّ الله سبحانه وتعالى أعفى المرأة من حمل السلاح والذهاب إلى ساحات القتال للجهاد في سبيله، لكن الله سبحانه وتعالى لم يسقط عنها الجهاد، بل خصها بنوع آخر من الجهاد وأعطاها دورًا آخر ومسؤولية أخرى لا تقل عن أهمية الجهاد في ساحات القتال، وهي حسن العشرة وحسن الصحبة مع بعلها والقيام بدورها الحساس في تحصين الأسرة وتربية أولادها تربية الصالحين، وذلك عن طريق صبرها على مكاره الحياة وصعوبتها.

ومن حكم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) التي يشير فيها إلى ضرورة المودة بين أفراد الأسرة وأثرها في بث روح السكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي قوله (عليه السلام): «مَوَدَّةُ

«اَلآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ اَلْأَبْنَاءِ»[٦]، فلا تتحقق الغاية من القرابة إلّا إذا اقترنت بالمودة والتعاطف والتراحم، وأكد الإمام (عليه السلام) أهمية الجانب العاطفي وإشاعته في أجواء الأسرة، فقد جاء قوله: «يَجِبُ عَلَيكَ أن تُشفِقَ عَلى وَلَدِكَ أكثَرَ مِن إشفاقِهِ عَلَيكَ»[٧]؛ حرصاً منه على ضمان انسجام الأسرة واستقرارها، وتعزيزاً للعلاقات الأسرية وضرورة المحافظة عليها وفق منهج إسلامي منظم، وضح لنا (عليه السلام) في حكمة قصيرة: «خَيْرُ ما وَرَّثَ الآباءُ الأَبناءَ الأَدَبُ»[٨] تأكيداً على الأدب والخلق الحسن الذي يورثها الآباء للأبناء، وحقوق الأبناء في الحصول على مقومات التنشئة الصحيحة المتمثلة بالأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن.

وممَّا تقدَّم أكَّد الإمام (عليه السلام) على أنَّ الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية المقدَّسة في نظر الإسلام، وقد وضح الإسلام الأسس الكفيلة ببناء الأسرة؛ إذ يرتبط أفرادها بروابط الأُلفة والمحبة والقربى، ليعيش الفرد سعيدًا في أسرته، وينظر الإسلام إلى الأسرة على أنَّها الأساس في المجتمع، فالمجتمع الإسلامي يتكون من مجموعة من الأسر التي تربطها روابط القربى والتصاهر والجوار والعقيدة والمصالح الاجتماعية.

وفيما يخص التربية والنشأة الصحيحة يبين الإمام (عليه السلام) مدى أهمية عامل التطور والتغيير جزءًا من طبيعة الإنسان وطبيعة الحياة التي يعيشها؛ إذ قال: «لا تُقْسِروا أَوْلادَكُمْ عَلى آدابِكُم، فَإِنَّهُم مَخْلُوقُونَ لِزَمانٍ غَيْرِ زَمانِكُم»[٩]، وقال (عليه السلام): «إِنَّما قَلْبُ الحَدَثِ كَالأَرْضِ الخالِيَةِ، مَهْما أُلْقِيَ فيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ»[١٠].

فالحكمتان المتقدمتان توجزان روح التربية الصحيحة، وتخلّصان كل جيل من الناس من أغلال العرف والعادة التي ارتضوها لأنفسهم عن الجيل

السابق[١١]، ويؤكد الإمام أهمية غرس الفضائل والأخلاق الحسنة في قلب الطفل؛ لينشأ عليها وتصبح جزءًا من شخصيته وكيانه، ويترك الصفات السيئة.

ومن حقوق الآباء على الأبناء ما يوجزه الإمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة، قال فيها: «بِرُّ الوالِدَينِ أكبَرُ فَريضَةٍ»[١٢]، فطاعة الوالدين والإحسان إليهما واجبة على الأبناء، وهي من أوليات المؤمن، فقد قرنها الله (عز وجل) بتوحيده وعدم الإشراك به في أكثر من موضع، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١٤]، فجاء التشريع الإسلامي تأسيسًا لمنهج اجتماعي، له الأثر الأكبر في توطيد أركان الأسرة، ومن ثَمَّ استقرار المجتمع، لذلك جعله (عليه السلام) فريضة من الفرائض التي يجب على المسلم الالتزام بها والحرص عليها في حكمته القصيرة.

ولم يقتصر مفهوم الأسرة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) على الآباء والأولاد فقط، وإنَّما تعدى ليشمل العشيرة وما تتضمنه من أحفاد وأقارب وأجداد، ومن حكم الإمام (عليه السلام) قوله: «صِلَةُ الْأَرْحَامِ مِنْ أَفْضَلِ شِيَمِ الْكِرَامِ»[١٥]، وهذا لأنَّ صلة الرحم لها أثر بارز في توثيق الروابط الأسرية، وبناء مجتمع رصين في منهج الإمام (عليه السلام) الاجتماعي.

وأكد أيضاً ضرورة التواصل بين الأرحام، فقال (عليه السلام) «صِلُوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالتَّسْلِيمِ»[١٦]، ونجد أن لغة التحذير واضحة في أقوال الإمام (عليه السلام) في حالة الإخلال بالواجب الاجتماعي تجاه هذه الفئة في قوله: «جَانِبُوا التَّخَاذُلَ وَالتَّدَابُرَ وَقَطِيعَةَ الْأَرْحَامِ»[١٧]، وينتقل (عليه السلام) عِبرَ حكمه القصيرة إلى رابطة مهمة من

روابط بناء الحياة الاجتماعية، فيوصي المسلمين بـ (رعاية الجار)، وحسن الجوار؛ لأن التجاور بين المسلمين ينشئ جماعة متعاطفة ومتلاحمة، تتبادل اللطف والإحسان وتتعاون فيما بينها على درء المضار وكسب المنافع، فجاء قوله: «اَلسَّيِّدُ مَنْ تَحَمَّلَ أَثْقالَ إِخْوانِهِ، وَأَحْسَنَ مُجاوَرَةَ جيرانِهِ»[١٨]. ناصحًا موجهًا على أهمية العناية بالجار، إذ إنها من سمات المسلم التي حث عليها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في قوله: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[١٩]، وكما قال الإمام أيضًا: «مقاربة الناس في خلائقهم أمن من غوائلهم»[٢٠] والمعنى المراد هنا هو ضرورة انسجام الإنسان مع الناس الذين يعيش في وسطهم، والتودد والإحسان والمودة في التعامل معهم، والتطبع بالطباع الحسنة الشائعة بينهم، وترك المكر والعادات السيئة.

ولم يقف (عليه السلام) في منهجه الاجتماعي عند حدود الأسرة والأقارب، بل نراه يعرج إلى رابطة اجتماعية مهمة أسس عليها المجتمع الإسلامي، فقد بدأ رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) عمله السياسي بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢١]، وتطبيق مبدأ التكافل بينهم بغية تحقيق العدالة الاجتماعية التي يتوخاها الإسلام. فيؤكد الإمام (عليه السلام) عن طريق تأكيده المؤاخاة بين المسلمين بمفهومها الإسلامي الاجتماعي، واضعًا للإخوة حدودًا وحقوقًا وواجبات، قائلًا: «إِيّاكَ أَنْ تُهْمِلَ حقَّ أخيكَ اتِّكالاً عَلى ما بَينَكَ وَبَيْنَهُ فَلَيسَ لَكَ بأخ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ»[٢٢]، ولأن مفهوم الإخوة إيجابي، فقد رسم الإمام (عليه السلام) منهجًا مهمًّا في التعامل ضمن إطار الإخوة الإسلامية الصحيحة، ففي حكمة قال منها: «لاَ تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلَى اِرْتِيَابٍ وَلاَ تَقْطَعْهُ دُونَ اِسْتِعْتَابٍ»[٢٣]، فعلى المسلم

أن لا ينحرف عن سلوكه الصحيح في تعامله مع الآخرين، ولا يجعل للشك والريبة مكانًا في نفسه تجاه الآخرين، وإذا ما عاتب أن يعاتب بالفعل والقول الحسن، وبذلك تصفو القلوب، وتزول الضغينة أمام المعروف والإحسان، فقال (عليه السلام): «عَاتِبْ أَخَاكَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالإِنْعَامِ عَلَيْهِ»[٢٤]، وأكد الإخوة بين المؤمنين التي تعد من الأساسيات، ولابد من مراعاتها في دائرة الإخوة الإسلامية، فجاء قوله: «إِرْفَقْ بِإِخْوانِكَ، وَاكْفِهِمْ غَرَبَ لِسانِكَ، وَأَجْرِ عَلَيْهِمْ سَيْبَ إحسانِكَ»[٢٥]، وقال (عليه السلام): «مَن وَعَظَ أخاهُ سِرّاً فَقَد زانَهُ، ومَن وعَظَهُ عَلانِيَةً فَقَد شانَهُ»[٢٦]، وهنا تأكيد على المؤمن أن يترفّق بأخيه المؤمن، وذلك بالتجاوز عن هفواته وعدم الإساءة إليه قولًا وفعلًا، وأن تكون النصيحة له من دون علن؛ لأنَّ الكلام العلني يسبّب الحرج والخجل والعناد، ولا تتحقق الغاية المنشودة في إصلاح الفرد، لذا أكد (عليه السلام) أهمية التعامل النفسي الذي يجب مراعاته تحقيقًا للغاية المنشودة من النصيحة.

واهتم (عليه السلام) بكرامة الإنسان في قوله: «لا يُكلِّفْ أحدُكُم أخاهُ الطَّلَبَ إذا عَرَفَ حاجتَهُ»[٢٧]، فالإمام شديد العناية بالكرامة الإنسانية، لذلك نراه يجنّب المسلم مذلّة السؤال، ويطالب المسلم بمراعاة أخيه وتجنّب إحراجه، والمسارعة في تلبية حاجته حفظًا لكرامته، وتحقيقًا لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي دعا إليه الإسلام.

وإذا كانت الإخوة رابطة إيمانية وثيقة تربط أفراد المجتمع المسلم، فهناك الصداقة لا تقل أهمية، وتعد وجهًا آخر من وجوه الإخوة، ولأهمية الصداقة في ميدان التوازن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، لم يغفل الإمام (عليه السلام) أمرها، فجاءت حكمته:

«اَلصَّدِيقُ أَفْضَلُ عُدَّةً وَأَبْقَى مَوَدَّةً»[٢٨]، وكما قال (عليه السلام): «لاَ يَكُونُ اَلصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلاَثٍ فِي نَكْبَتِهِ وَغَيْبَتِهِ وَوَفَاتِهِ»[٢٩]. والنظرة الحقيقية للصديق تقترن بصفة لازمة ينتج عنها مجموعة من التعاملات والطباع التي تنطوي تحت إطارها، وهي صفة (الوفاء)، فالصديق هو من يشارك صديقه في كل شيء.

فضلًا عن صفات أخرى حدَّدها الإمام (عليه السلام) في كلماته القصيرة الحكيمة، ممَّا يجب أن يتصف بها الصديق، ليكون مؤهلًا للقيام بواجب الصداقة وتحقيق أثرها الإيجابي، كالصدق، والعلم والحلم والإيثار والنصح[٣٠]، وحذَّر (عليه السلام) من مصاحبة الأحمق والكذاب والفاسق والبخيل والجاهل والشرير[٣١]؛ لأنَّ هذه الصفات لا تنفع صاحبها، ولا تحقق الغاية من الصداقة، وما ترجو تحقيقه في المجتمع من إصلاح واستقرار.

وما دامت طبيعة الحياة الاجتماعية تفرض على المجتمعات أن تسيطر عليها مؤسسة تضطلع بتنظيم شؤونها، جاءت حِكَم الإمام (عليه السلام) لتشمل قوة السلطة؛ وذلك أنَّ سلامة المجتمع تقتضي وجود قوة حاكمة توجهه الوجهة السليمة الصحيحة تحافظ عليه من الانحلال، فيجسد (عليه السلام) ذلك في حكمته: «اَلسُّلْطَانُ وَزَعَةُ اَللَّهِ فِي أَرْضِهِ»[٣٢]، فالحاكم هو الأداة الفعلية الساعية لتنظيم المجتمع والحفاظ على توازنه واستقراره.

كما قال (عليه السلام): «أَحْسَنُ اَلْمُلُوكِ حالاً مَنْ حَسُنَ عَيْشُ النّاسِ فِي عَيْشِهِ وَعَمَّ رَعِيَّتَهُ بِعَدْلِهِ»[٣٣]، ومن مبدأ مهم في إطار التوازن الاجتماعي السليم مفاده أنَّ الرعية لا تصلح إلّا بصلاح الولاة، فهي بحاجة إلى الراعي الصالح الذي يخدم مصالحها، وبهذا يكون الراعي وسيلة لإحقاق الحق وإقامة العدل، والإحسان إلى الرعية.

ويرى (عليه السلام) أنَّ العدل هو الأساس الذي ينطلق منه البناء المنظم والآمن في قوله: «جَعَلَ اللهُ سُبحانَهُ العَدلَ قِواماً لِلأَنامِ، وتَنزيهاً مِنَ المَظالِمِ وَالآثامِ، وتَسنِيَةً لِلإِسلامِ»[٣٤]، إذ يبين (عليه السلام) الآثار الإيجابية الكثيرة التي ينتجها الالتزام بالعدل، وما ينطوي تحتها من إنصاف الضعيف، ومساعدة الفقير، وإلغاء الطبقية بالمساواة بين الرعية في الحقوق والواجبات، وحذر (عليه السلام) من الجور والظلم في حكمه القصيرة، ومنها قوله: «لَا يَكُونُ الْعِمْرَانُ حَيْثُ يَجُورُ السُّلْطَانُ»[٣٥]، وقوله: «فِي الْجَوْرِ هَلَاكُ الرَّعِيَّةِ»[٣٦]، وهذه إشارة واضحة إلى أنَّ سياسة الجور تتنافى مع البناء الاجتماعي بأشكاله المختلفة، بل إنَّ الإمام (عليه السلام) يعدُّها إحدى أسباب انهيار المجتمع.

وإذا كانت غاية الحاكم إقامة مجتمع إسلامي متين مبني على أسس صحية، فعليه أن يمحو الظلم من قاموسه الاجتماعي، لذا جاءت حكمة الإمام (عليه السلام): «خَيْرُ اَلْمُلُوكِ مَنْ أَمَاتَ اَلْجَوْرَ وَ أَحْيَى اَلْعَدْلَ»[٣٧]، وإذا كان العدل ومجافاة الجور والظلم هو الأساس التي تُبنى عليه العلاقة بين الراعي والرعية في دستور الإمام (عليه السلام)، فإنَّه يلخص في حكمة قصيرة الصفات التي يجب أن يتصف بها الراعي لقوام هذه العلاقة ألا وهي: (الحلم، والرفق، وسعة الصدر)؛ إذ قال (عليه السلام): «اَلْحِلْمُ رَأْسُ الرِّيَاسَةِ، وَرَأْسُ اَلسِّيَاسَةِ اِسْتِعْمَالُ اَلرِّفْقِ، وَآلَةُ اَلرِّيَاسَةِ سَعَةُ اَلصَّدْرِ»[٣٨]، وبذلك يستطيع الوالي النهوض بدوره في إدارة شؤون الرعية من دون الابتعاد عن الخط الإنساني في التعامل معهم.

وكما قال الإمام (عليه السلام) «مَنْ حَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ»[٣٩]، استكمالاً لصورة الترابط بين واجبات الحاكم وحقوق المحكوم عليه، فهذا

هو السبيل لتطوير المجتمع وتحقيق استقراره وتماسكه.

ويركز الإمام (عليه السلام) بالدعوة إلى بناء المجتمع والمحافظة عليه عبر تطهير المجتمع من الظواهر التي تتنافى مع أحكام الشرع في أطر التعامل بين الأفراد، فيحذر (عليه السلام) من الغش والتلاعب والخداع؛ إذ قال بهذا الصدد: «**المؤمن أخو المؤمن، فلا يغشه، ولا يعيبه، ولا يدع نصرته**»(٤٠)، فالتحذير هنا للمؤمن من الخروج عن دائرة الإيمان والإسلام، وفقًا لقول الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(٤١)، فهذه إشارة واضحة إلى أن القطب الذي يدور عليه التعامل على وفق المنظور الإسلامي يجب أن يكون بعيدًا عن الغش، ولذا خاطب الإمام (عليه السلام) أصحاب البيع قائلًا: «**لاَ تَبِيعُوا إِلاَّ طَيِّباً وَإِيَّاكُمْ وَمَا طَفَا**»(٤٢)، وكما قال «**أَظْهِرُوا مِنْ رَدِيءِ بَيْعِكُمْ مَا تُظْهِرُونَ مِنْ جَيِّدِهِ**»(٤٣) محذراً من مغبة خداع الناس وغشهم، وهو ما يتعارض مع أخلاق المسلم مع عقيدته.

وتكلم عن الربا وعدم التعامل به؛ ذلك لأنَّ التجارة كان لها شأن كبير في حياة الناس، وتعد عصب الحياة الاقتصادية، فخاطب التجار قائلًا: «**مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا**»(٤٤)، ومَنْ يمارس هذا العمل عليه أن يكون ملمًّا بتعاليم دينه، عالمًا بحدود مهنته، حتى لا يقع في منزلق خطير، وقد نهى الله تعالى عنه في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٤٥)، لِما ينطوي عليه من آثار سلبية على المجتمع.

ويشير (عليه السلام) في حكمة أخرى إلى مسألة لا تقل أهمية عن الربا؛ إذ قال (عليه السلام): «**كُنْ مُقَدِّراً وَلاَ تَكُنْ مُحْتَكِراً**»(٤٦)، فحذّر من الاحتكار؛ لأنَّه من الآفات

الاقتصادية والاجتماعية التي توجب حصر الثروة عند فئة معينة، وحرمان الأكثرية الساحقة منها، لذلك جعل (عليه السلام) الاحتكار من الصفات الذميمة في قوله: «اِلاحْتِكَارُ شِيمَةُ الْفُجَّارِ».

فالغش والربا والاحتكار من الممارسات التي لا يرضاها الإسلام، وإذ نراها حاضرة في قصار حكم الإمام علي (عليه السلام)، فقد جاءت لتطهير المجتمع من الفوضى والاستغلال حتى يكون التعامل بين أبنائه قائمًا على أسس وضوابط صحيحة، فالدِّين ليس طقوسًا وعبادات فحسب، بل هو سلوك واقعي يجسده الإنسان عن طريق التعامل السليم مع غيره من أفراد المجتمع.

وبعد نستطيع القول إنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) قام بإرساء القواعد والأسس المتينة الكفيلة ببناء مجتمع إسلامي قوي، واقفًا أمام كل مفصل من مفاصل الحياة الاجتماعية رغم تشعبها، ليقدم لنا حكمة تسهم في توطيد أركان المجتمع، ولتكون منبعًا صافيًا للمفاهيم الإسلامية النبيلة.

ثانياً: المحور الديني:

لقد كانت مهمة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) نشر تعاليم الدِّين ومفاهيمه وعقائده بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنَّ مهمة الآل الطيبين الطاهرين (عليهم السلام) هي الحفاظ على هذه المفاهيم وترسيخها في عقول الناس وقلوبهم عبر مسيرة الزمن الطويلة، ولمَّا كان الإمام (عليه السلام) خليفة رسول الله في المسلمين وقيادة مجتمعهم على وفق ما شرعه الإسلام دينًا، وما أقره الرسول (صلى الله عليه وآله) في سنته (قولًا وأفعالًا وتقريرًا).

فقد جاءت قصار حكمه (عليه السلام) ذات المقصد الديني متضمنة لهذه المفاهيم بكل أبعادها وجوانبها التي تكفل علاقة الإنسان بخالقه

العظيم على وفق منهج الإسلام وقيمه وسننه.

وممَّا لا شك فيه أنَّ حقبة الإيمان بالله تعالى في الفكر الإسلامي قائمة على توحيده، ورأس الهرم في مجموع القيم العقائدية الإلهية النبيلة[٤٧] وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٤٨].

ومن هنا جسد الإمام (عليه السلام) هذه الحقيقة بحكمة موجزة قائلًا: «اَلتَّوْحِيدُ حَيَاةُ اَلنَّفْسِ»[٤٩]، وأيضًا قوله: «...وَإِنَّهُ لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اَلْخَالِقِ»[٥٠]، وبهذا يكون توحيد الله على وفق الرؤية العلوية هو الأصل الذي تنمو عليه المفاهيم الإسلامية كافة، ولا تصح هذه المفاهيم إلّا إذا كان التوحيد وعدم الإشراك به هو الحقيقة الأولى التي تنشأ فيها وتنطلق منها.

ومن المفاهيم الإسلامية التي تنشأ في ظل عقيدة التوحيد التقوى، فنراها حاضرة في حكم الإمام (عليه السلام)؛ لأنَّها الحارس الذي يحرس العقل من الغفلة والضعف والانزلاق وراء الأهواء[٥١]؛ إذ قال الإمام (عليه السلام): «اَلتَّقْوَى حِرْزٌ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا»[٥٢]، فيجب على الإنسان أن يحرز نفسه بتقوى الله قبل مغادرة دنياه، ويحاسب على كل ما عمله في حياته الدنيا، ولأن التقوى هي ميزان التفاضل بين الناس مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٥٣]، وكما قال الإمام في حكمة أخرى: «اِتَّقُوا مَعَاصِيَ اَللَّهِ فِي اَلْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ اَلشَّاهِدَ هُوَ اَلْحَاكِمُ»[٥٤].

فعلى الإنسان أن يلتزم بمبدأ التقوى حتى في لحظات انفراده والابتعاد عن الأنظار؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الشاهد والرقيب، لا يخفى عنه شيء في كل الأحوال والأوقات والأزمنة.

وقال أيضًا (عليه السلام): «تَزَوَّدْ مِنَ اَلدُّنْيَا فَإِنَّ خَيْرَ مَا تَزَوَّدُ مِنْهَا

اَلتَّقْوَى»[٥٥]، وينبّه الإمام (عليه السلام) في كلماته القصيرة إلى ضرورة مهمة من ضرورات الإيمان وهي اليقين، فقال (عليه السلام): «رَأْسُ اَلدِّينِ صِدْقُ اَلْيَقِينِ»[٥٦]، وفي السياق نفسه جاءت حكمته أيضًا (عليه السلام): «اَلْيَقِينُ عُنْوَانُ اَلْإِيمَانِ»[٥٧]، ولم يتوقف (عليه السلام) عند التعرض لموضوع اليقين فحسب، بل وضع أسسًا عملية للمسلم في إدراك ذلك اليقين وتطبيقه، فجاء قوله: «مَنْ كَانَ عَلَى يَقِينٍ فَأَصَابَهُ شَكٌّ فَلْيَمْضِ عَلَى يَقِينِهِ فَإِنَّ اَلْيَقِينَ لاَ يُدْفَعُ بِالشَّكِّ»[٥٨] وبهذا يكون (عليه السلام) قد أرسى قاعدة عقائدية لإقامة يقين المؤمن مفادها أنَّ الشك إنْ دخل قلب المؤمن فإنَّه لا يسقط عنه صفة اليقين وبخاصةٍ يقينه الراسخ بعبوديته لله وحده. ولا يتوقف إيمان المسلم على اليقين والتقوى والتوحيد، فلا بد من طاعة الله التي تعد من أبرز علائم الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٥٩]، لذلك جاء قوله (عليه السلام): «لاَ يَسْعَدُ اِمْرُؤٌ إِلاَّ بِطَاعَةِ اَللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَشْقَى اِمْرُؤٌ إِلاَّ بِمَعْصِيَةِ اَللَّهِ»[٦٠]، وهنا يحثُّ الإمام (عليه السلام) على طاعة الله، وما يترتب عليه من آثار وخيمة عند خروج الإنسان من دائرة طاعة الله ورضا الله ورحمته.

ولا تقترن ثمار طاعة الله سبحانه وتعالى وأمرها على الآخرة فحسب، بل إنَّ المؤمن يعيش منافعها، ويستشعر بأفضالها في الدنيا قبل الآخرة، إذ يقول (عليه السلام): «مَنْ سَرَّهُ اَلْغِنَى بِلاَ مَالٍ وَاَلْعِزُّ بِلاَ سُلْطَانٍ وَاَلْكَثْرَةُ بِلاَ عَشِيرَةٍ فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اَللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ فَإِنَّهُ وَاجِدُ ذَلِكَ كُلِّهِ»[٦١]، وتعد هذه حكمة مليئة بالترغيب في طاعة الله، وإذا كانت طاعة الله سبحانه وتعالى هي التحقيق الأمثل لمكاسب الدنيا والآخرة، فلا عجب أن تكون ربحًا لأصحاب الهمم العالية، فيكون

نصيبهم الثناء والكرامة، فقال (عليه السلام) حكمته: «إِنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ اَلطَّاعَةَ غَنِيمَةَ اَلْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ اَلْعَجَزَةِ»[٦٢] إيقاظًا لفكر المسلم ووعيه، ليكون من أصحاب الثناء والكرامة.

ولم يغفل (عليه السلام) في حكمه مسألة لا تقل أهمية عن سابقتها ألا وهي حثُّ الفرد المسلم على أن يجسد إيمانه بالله تعالى عن طريق العبادة التي تعد من أقوى الأسباب لتركيز العقيدة ورسوخ الإيمان عند المؤمن[٦٣].

وإذا كانت العبادة هي الخضوع اللفظي والعملي عن اعتقاد بألوهية المعبود[٦٤]، فإن هذا الخضوع يتنافى مع الإشراك بالله عز وجل، فجاء قوله (عليه السلام) مجسدًا هذا المعنى بعبارة موجزة حكيمة: «اَلْعِبَادَةُ اَلْخَالِصَةُ أَنْ لاَ يَرْجُوَ اَلرَّجُلُ إِلاَّ رَبَّهُ وَلاَ يَخَافَ إِلاَّ ذَنْبَهُ»[٦٥]، والمراد بالرجاء طلب الحاجة، وهو بطبيعته يستدعي الخضوع والتذلل لله تعالى.

ولا يخفى علينا ما للعبادة من أفضلية ومكانة عند الله سبحانه وتعالى، إذ إنَّها الغاية الكبرى من الخلق كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٦٦]، فما كان منه (عليه السلام) إلّا أن يشير إلى العبادة بوصفها هي الوسيلة المثلى التي يستطيع العبد عن طريقها التقرّب إلى الله تعالى والفوز برضاه ورحمته قائلًا: «مَا تَقَرَّبَ مُتَقَرِّبٌ بِمِثْلِ عِبَادَةِ اَللهِ»[٦٧].

وأكَّد الإمام (عليه السلام) في أساسيات العبادة ودعائمها الالتزام بأداء الفرائض التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على عباده، وهذا ما جسَّده قوله (عليه السلام): «لاَ عِبَادَةَ كَأَدَاءِ اَلْفَرَائِضِ»[٦٨]، فمن آمن بالله تعالى حقًّا عليه أن يتقرب إليه بطقوس عبادته التي تعد اختبارًا للمؤمن، لِما تتضمّنه من تجسيد حقيقي لخضوع الإنسان خضوعًا صادقًا.

وجاءت حكم الإمام (عليه السلام)

في هذا المقصد الديني توجيهًا صريحًا في الحث على الالتزام بالفرائض وعدم التهاون فيها، وفي هذا الصدد قال (عليه السلام): «لِلْعَابِدِ ثَلاَثُ عَلاَمَاتٍ اَلصَّلاَةُ وَاَلصِّيَامُ وَاَلزَّكَاةُ»[٦٩]، ولا يخفى على المسلم ما للصلاة من أهمية على سائر العبادات، كما جاء عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قوله: «وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»[٧٠]، لذا يشير الإمام (عليه السلام) إلى ضرورة المحافظة عليها قائلًا: «اَلصَّلاَةُ حِصْنُ الرَّحْمنِ وَمَدْحَرَةُ الشَّيطانِ»[٧١]، وقد تعدَّت حكم الإمام (عليه السلام) إلى عبادات أخرى تعد من الروابط المتينة بين الإنسان وخالقه، ومن ذلك قوله (عليه السلام): «الصَّومُ عِبادَةٌ بَينَ العَبدِ وخالِقِهِ، لا يَطَّلِعُ عَلَيها غَيرُهُ، وكَذلِكَ لا يُجازي عَنها غَيرُهُ»[٧٢]، وفضيلة الصوم أنَّها عبادة قائمة على ضبط النفس، وأشار الإمام إلى حكمة حث فيها على الصيام وبين شروطها قائلًا: «صَوْمُ النَّفْسِ عَنْ لَذَّاتِ الدُّنْيَا أَنْفَعُ الصِّيَامِ»[٧٣].

فالصيام يتعدَّى في مفهومه الامتناع عن المأكل والمشرب، فهو في حقيقته تهذيب للنفس وتقويم لها بالامتناع عن كل ما يكرهه الله سبحانه وتعالى من المعاصي والآثام، وعبَّر الإمام (عليه السلام) في عبارة قصيرة يحثُّ فيها المؤمن على ضرورة الالتزام بالصيام؛ إذ إنَّه لا يظهره الإنسان بقوله، وإنَّما هو نية القلوب، وهو يقع بين الإنسان وربه، فقال الإمام (عليه السلام): «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمَأُ»[٧٤].

ومن العبادات الأخرى التي تعد ركنًا من أركان الإسلام، ووسيلة من وسائل تقرب المسلم من ربّه ألا وهي (الزكاة)، إذ نجدها حاضرة في أكثر من موضع في حكم الإمام (عليه السلام)؛ إذ قال (عليه السلام): «اللهَّ اللهَّ فِي الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ رَبِّكُمْ»[٧٥]، فإنَّها

دعوة قوية إلى المؤمنين لتطبيق هذا الركن العظيم، وألّا ينسوا الزكاة أو يغفلوا عنها، وعن طريق الزكاة ينال المؤمن رضا الله، وكما هي دعوة إلى الأغنياء أن يحصنوا أموالهم بدفع ما عليهم إلى الفقراء تأتي حكمته (عليه السلام): «سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ»[٧٦]، ويكفي أن يدفع الأغنياء التزاماتهم الشرعية الموجبة عليهم حتى لا يشعر الفقير بمرارة الجوع، والفوارق الطبقية، ومن لم يفعل منهم فعليه أن يحذر من سخط الله وغضبه وعقابه العادل؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٧٧] ويريد الإمام (عليه السلام) من المسلم أن يترفع بالزكاة عن رذائل الصفات كالبخل والشح، فالزكاة هي إحدى الوسائل المهمة للتقرب إلى الله سبحانه، وإحدى أسباب تطهير النفس، فجاءت حكمته (عليه السلام): «مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ وَقَى شُحَّ نَفْسِهِ»[٧٨] معبرة بعبارة موجزة عمَّا جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٧٩]، وكما قال الإمام (عليه السلام): «اَلْبُخْلُ عَارٌ وَاَلْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ»[٨٠]، ولم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعيدًا عن المحور الديني عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد كان جلّ حياته آمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر، ومجاهدًا في سبيل تحقيق هذا المبدأ وتطبيقه في المجتمع المسلم.

لذا نرى أنَّ لهذا الجانب حضورًا واضحًا في كلمات الإمام وحكمه، فهو (عليه السلام) يصف الأمر بالمعروف بأنَّه غاية الدِّين حينما قال: «غَايَةُ اَلدِّينِ اَلْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَاَلنَّهْيُ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَإِقَامَةُ اَلْحُدُودِ»[٨١]، وقال أيضًا (عليه السلام): «قِوَامُ اَلشَّرِيعَةِ اَلْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ

وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ»[٨٢]، حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»[٨٣].

ومِمَّا لا شيء فيه أنَّ أيّ عمل يوصف فيه غاية الدِّين وقوام الشريعة لا بد من أن يكون عملًا ساميًا وأساسيًّا في عقيدة المسلم وأعماله، لذلك نراه (عليه السلام) ينصح به ويحث عليه قائلاً: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِلِسَانِكَ وَيَدِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ»، ونجد أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتجلّيان في صور مختلفة من صور التعامل الإنساني بين أبناء المجتمع، وقد التفت الإمام إلى جوانب عديدة من أنواع ذلك السلوك البشري الذي يقع تحت هذا المحور، ولا سيَّما فيما يتعلق بالمعروف، فحثَّ على مراعاة حقوق الناس والتعامل معهم على وفق مبادئ الإسلام وقيمه.

فنجد أنَّ الإمام (عليه السلام) يتناول جانبًا مهمًّا من جوانب التعامل بين أفراد المجتمع ألا وهو الوفاء بالعهد، فقال (عليه السلام): «إِنَّ

وكما قال أيضًا (عليه السلام): «جُودُوا بِالْمَوْجُودِ وَأَنْجِزُوا الْوُعُودَ وَأَوْفُوا بِالْعُهُودِ»[٨٤]، وحثَّ المسلمين على أهمية الإيفاء بالعهد، وهنا تظهر قضية أداء الأمانة التي تعد من أخلاق المسلم، فقال الإمام: «لاَ أَمَانَةَ لِمَنْ لاَ دِينَ لَهُ»؛ إذ جعل الأمانة مرتبطة بالدِّين، ويرى الإمام (عليه السلام) أنَّ المسلم عليه الالتزام بأداء الأمانة حتى لمن لا يقابله بالمثل، فتأتي حكمته: «لاَ تَخُنْ مَنِ ائْتَمَنَكَ وَإِنْ خَانَكَ وَلاَ تَشِنْ عَدُوَّكَ وَإِنْ شَانَكَ»[٨٥]، وكما قال عن الوفاء: «اَلْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللهِ»[٨٦]. هنا بيان علة الغدر والوفاء، إذا اعتيد من العدو أن يغدر فلا يجز بالوفاء له ووجب نقض عهده، والوفاء لمن يستحق الوفاء عند الله.

وكما قال الإمام (عليه السلام) عن الكرم: «اَلْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ»،

ولقد أفصح الإمام علي (عليه السلام) عبر حكمه القصيرة وكلماته الموجزة عن كثير من الغايات الإسلامية الداعية إلى ضرورة الالتزام بالمنهج الإيماني في حياة المسلم، وهناك الكثير من حكمه (عليه السلام) يؤكد فيها مكارم الأخلاق، كالحلم والعفو والصدق والمسامحة وكثرة الصمت والقناعة والنهي عن الكذب؛ إذ يجب على المسلم الأخذ بها وتطبيقها، ومن هذه الحكم عمل الإمام (عليه السلام) على توثيق الصلة بين الإنسان وخالقه من جانب، وصلة الإنسان بسواه من البشر من جانب آخر. وقد اختصرنا بعض الحكم والأقوال، فقد تناولت الكثير من الكتب التي اختصت بنهج البلاغة، والحث عليها مثلما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثالثاً: المحور الأخلاقي:

إن الإنسان هو الكائن الذي تسعى الشريعة الإسلامية إلى تكوينه ولا يكتمل ذلك إلّا بالقيم الإنسانية التي تجعل من الإنسان إنسانًا راقيًا وتضفي عليه قيمته وشخصيته، لذا كان الإمام (عليه السلام) يتجلَّى هذا المحور عبر حكمه ويعده مهماً في بناء الذات الإنسانية على وفق القيم النبيلة والعمل على غرسها في شخصية المسلم.

ومن أهم القيم الإنسانية في منهج الإمام (عليه السلام) صفة الرحمة؛ لأنَّها الفلسفة الأولى التي ينطلق منها الإسلام[٨٧]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٨٨].

وكما قال الإمام (عليه السلام) وأوصى بها: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو رَحْمَةَ مَنْ فَوْقَهُ كَيْفَ لاَ يَرْحَمُ مَنْ دُونَهُ»[٨٩]، فرحمة الله سبحانه وتعالى لعبده مقترنة برحمة العبد لغيره، ممَّن هم بحاجة إليها، ولن يحظى بهذه الرحمة من امتنع عنها.

وطالب (عليه السلام) الإنسان المسلم باستثمار هذه القيمة، فمن يحتاج

إلى الرعاية والعناية في قوله: «ارْحَمُوا ضُعَفَاءَكُمْ وَاطْلُبُوا الرَّحْمَةَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرَّحْمَةِ لَهُمْ»[٩٠]، منبهًا الناس إلى بابٍ من أبواب رحمة الله سبحانه وتعالى التي ينزلها على عباده، وينعم بها عليهم، وهو رحمة الضعفاء.

ولم يغفل الإمام (عليه السلام) أن يسلط الضوء على بعض فئات المجتمع، فيخصها بالرحمة والرأفة والود، ولا سيَّما الفقراء والأيتام منهم، فجاء في قوله (عليه السلام): «بَرُّوا أَيْتَامَكُمْ وَوَاسُوا فُقَرَائَكُمْ وَارْأَفُوا بِضُعَفَائِكُمْ»[٩١]، وقال أيضًا: «وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ»[٩٢]، فالواجب الإنساني يستدعي أن يكون المسلم رحيمًا بالفقراء واليتامى ويحسن إليهم حتى لا يكونوا ضحايا الفقر، وهناك جانبًا واسعًا من العناية بالفقراء والمحتاجين في المنهج الإنساني للإمام (عليه السلام)؛ إذ قال: «عَلَيْكُمْ بِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَشْرِكُوهُمْ فِي مَعِيشَتِكُمْ»[٩٣]، وفي السياق نفسه قال (عليه السلام): «لاَ يَشْبَعُ الْمُؤْمِنُ وَأَخُوهُ جَائِعٌ»[٩٤].

وشملت فلسفة الرحمة عند الإمام (عليه السلام) جميع الناس لا فرق بينهم ولا تمييز، فنراه يدعو الناس إلى انتهاج سبيل الرحمة والتعامل بها مع الجميع؛ إذ قال (عليه السلام): «أَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِجَمِيعِ النَّاسِ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ وَلاَ تُنِلْهُمْ حَيْفاً وَلاَ تَكُنْ عَلَيْهِمْ سَيْفاً»[٩٥]، ويُلاحظُ أنَّ رؤية الإمام (عليه السلام) للمجتمع المسلم من جانب إنساني لا بُدَّ من أن تكون الرحمة هي القيمة الإسلامية الإنسانية النبيلة التي يستحقها الجميع من دون تفرقة؛ إذ قال في ذلك: «فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[٩٦]، وبذلك ثبَّت لنا الإمام

(عليه السلام) أساسًا لطبيعة العلاقة بين جميع الناس في عموم المعمورة معلناً الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بأكثر من ألف سنة ويزيد[٩٧]، أي قبل أن تصدر هذه الحقوق من قبل الهيئات والمؤسسات العالمية التي تنادي اليوم بحقوق الإنسان.

ولقد كان الإمام (عليه السلام) رحيمًا حتى مع أعدائه بعد أن تعلمها من رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله)، فكان خيرَ مَنْ نفَّذ تعاليمه تنفيذًا عمليًّا، لذلك جعل الرحمة قيمة إنسانية ثابتة حتى في حالات التنازع، فقدَّم لنا حكمًا قصيرة يشير فيها إلى أن ظروف الحرب لا تتنافى مع الرحمة بوصفها سلوكًا إنسانيًّا قائلًا: «لاَ تُتْبِعُوا مُدْبِراً وَ لاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ»[٩٨]، وهذا دليل على أنَّ الرحمة طالت في منهج الإمام (عليه السلام) حتى الأعداء، وأكد مذهبه في إحياء الفضيلة والخصال الإنسانية بغض النظر عن الموقع والزمان والمكان، وهذا ما تعتمد عليه فلسفة خلق الإنسان. وقد جعل الإمام (عليه السلام) مبدأ المساواة إلى جانب الرحمة لاسيما المساواة العادلة بوصفها قيمة إنسانية رفيعة بين الناس جميعهم بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقية والعقائدية والطبقية، فقال في إحدى حكمه: «أَنْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَأَهْلِكَ، وَخاصَّتِكَ، ومَنْ لَكَ فيهِ هَوًى، وَأَعْدِلْ فِي العَدُوِّ وَالصَّدِيقِ»[٩٩].

وقد تجلّت المساواة عند الإمام (عليه السلام) بأوضح صورها حينما ساوى بينه وهو أمير المؤمنين وبين رجل من أهل الذمة أمام القضاء، فجاءت حكمته: «إِنَّ مِنَ اَلْعَدْلِ أَنْ تُنْصِفَ فِي اَلْحُكْمِ وَتَجْتَنِبَ اَلظُّلْمَ»[١٠٠] وهذا يعد تجسيدًا لأهمية المساواة العادلة أمام القضاء، فهو الفيصل الحاسم في حل النزاعات بين الناس، فطالب الإمام (عليه السلام) ممَّن يقوم بهذه الوظيفة أن يساوي بين الخصمين

بغض النظر عن أجناسهم وانتماءاتهم الدينية والفكرية، وممَّا لا شك فيه أنَّ التسامح والعفو عند الإساءة من أهم الأسس التي تُبنى عليها العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي الذي ضمَّ العديد من القوميات والأجناس، فجعل الإمام (عليه السلام) التسامح مبدأً مهمًّا في التعايش بين أفراد المجتمع؛ إذ قال (عليه السلام): «عَوِّدْ نَفْسَكَ اَلسَّمَاحَ»[101]، وأشار في حكمة أخرى بالقيمة نفسها، فقال (عليه السلام): «مَنْ عَامَلَ اَلنَّاسَ بِالْمُسَامَحَةِ اِسْتَمْتَعَ بِصُحْبَتِهِمْ»[102]، لذلك يعد التسامح ركيزة مهمَّة وأساسيَّة للتعايش السلمي بين الناس كافة، فالخلاف الديني أو الفكري لا يُعدُّ في نظر الإمام (عليه السلام) عاملًا من عوامل التشاحن والتباغض، بل يعد عاملًا من عوامل التعاون والبناء عن طريق احترام الآخرين وتقبل أفكارهم ومعتقداتهم والتعامل معهم بإنسانية وانفتاح حضاري.

أمَّا العفو عند الإساءة، فهي من القيم التي حثَّ عليها الإسلام وجاءت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[103]، لذا فإنَّ الإمام (عليه السلام) يوضح لنا مدى أهمية العفو في أخلاق المسلم وضرورة التمسك بهذه القيمة الإنسانية، ولاسيَّما عند التمكن والقدرة على المسامحة والعفو، فقال (عليه السلام): «أَحْسَنُ اَلْعَفْوِ مَا كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ»[104].

ومن القيم الإنسانية التي حثَّ عليها الإمام (عليه السلام) في حكمه قضاءُ حوائج النَّاس، وهي تعد من القيم الإنسانية الثابتة التي يؤديها المسلمون ويؤكدها الإسلام الحنيف، فنراه يدعو إلى أهمية خدمة الناس وقضاء حوائجهم، بعبارة موجزة قال (عليه السلام): «إِنَّ حَوَائِجَ اَلنَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اَللَّهِ عَلَيْكُمْ فَاغْتَنِمُوهَا

وَلاَ تَمَلُّوهَا فَتَتَحَوَّلَ نِقَماً»[١٠٥]، فإنَّ تقديم خدمة للناس وقضاء حوائجهم فرصة للإنسان، عليه أن يغتنمها لأنَّها من الوسائل التي تكفّر الذنوب، وما يريد المسلم الذي يغتنم مثل هذه الفرص للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ونيل رضاه.

وفتح الإمام (عليه السلام) الباب على مصراعيه في هذا المجال عندما قال: «مِنْ كَفَّارَاتِ اَلذُّنُوبِ اَلْعِظَامِ إِغَاثَةُ اَلْمَلْهُوفِ وَاَلتَّنْفِيسُ عَنِ اَلْمَكْرُوبِ»[١٠٦]، وكما قال الإمام: «مَنْ كَثُرَ إِحْسَانُهُ أَحَبَّهُ إِخْوَانُهُ»[١٠٧]، وبذلك يكون ما يقدّمهُ الإنسان لأخيه من إحسان جزءًا لا يتجزأ من الأخلاق الإنسانية الفاضلة التي يستطيع عن طريقها الفرد نيل محبة الناس ومودتهم.

ولا يخفى ما لحسن الخلق من تأثير كبير بين الفضائل الإنسانية، فقد استطاع الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يكسب قلوب الناس بحسن خلقه وكماله؛ إذ وصفه الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١٠٨]، فإنَّ الإمام (عليه السلام) يرصد لهذه الفضيلة التي تمثل وجهًا من وجوه الرقي الإنساني في التعامل مع الخلق بوصفه وسيلة لكسب المحامد والأمجاد، فقال (عليه السلام): «عَلَيْكَ بِحُسْنِ اَلْخُلُقِ فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ اَلْمَحَبَّةَ»[١٠٩]، وأكد (عليه السلام) على حسن الخلق تجسيدًا حقيقيًّا لإيمان المسلم بالله تعالى بالتلطف بالعباد، والرفق بهم، فقال: «حُسْنُ اَلْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ وَ عُنْوَانُ صَحِيفَةِ اَلْمُؤْمِنِ حُسْنُ خُلُقِهِ»[١١٠].

ويوجز الإمام (عليه السلام) الدعوة إلى حسن الخلق بحكمة قصيرة هي: «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ»[١١١]، أي إنَّ الذي يتحلَّى بحسن الخلق في التعامل مع الناس له أثر كبير في إشاعة السمعة الحسنة والذكر الطيب الذي يسمو بالإنسان حيًّا ويخلّده ميّتًا.

ولأنَّ شخصية الإنسان ترتقي في خصائصها الأخلاقية، فإذا أُعدمت هذه الخصائص المتسمة بالإنسانية ينسلخ إلى وحش كسائر الوحوش، لذا نجد الإمام (عليه السلام) يحثُّ المسلمين على التحلّي بالأخلاق الفاضلة قائلًا: «كُنْ مُتَّصِفاً بِالْفَضَائِلِ مُتَبَرِّئاً مِنَ الرَّذَائِلِ»[112]، ونهى الإمام (عليه السلام) عبر حكمه عن الصفات الخلقية السيئة التي من شأنها أن تسهم في انحراف الشخصية المسلمة عن مسارها الصحيح كالتكبر، قال في ذلك (عليه السلام): «أَقْبَحُ الْخُلُقِ التَّكَبُّرُ»[113]، وقال في إحدى خطبه (عليه السلام): «إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ»[114]، فالتكبّر على وفق الرؤية الإسلامية صفة غير جيدة وغير لائقة للإنسان؛ لأنَّها تدعو إلى الإعجاب بالنفس والتعاظم على الآخرين بالقول والفعل، وأنَّ القرآن صريح في توضيح عاقبة المتكبرين في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[115].

ورفض الإمام (عليه السلام) صفة التكبّر رفضًا قاطعًا في حكمة موجزة يرسم فيها صورة واضحة لحقيقة الإنسان ونشأته ونهايته؛ إذ قال (عليه السلام): «عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً وَ هُوَ غَداً جِيفَةٌ»[116]، فتذكر هذه البداية الطبيعية والنهاية الحتمية لكل مخلوق، تكفي للتخفيف من غلواء النفس وتعجرفها للسيطرة عليها، فلا ترمي صاحبها في مزالق الكِبَر والتعالي، وأيضًا نبَّه الإمام (عليه السلام) من الإعجاب بالنفس؛ لأنَّه من الصفات السيئة المؤدية إلى التعالي على الناس والتجبّر عليهم، مطالبًا المسلم خاصة والإنسان عامة بأن يرتقي بنفسه عن مثل هذا السلوك المؤدي إلى بغض الناس ونفورهم،

ولذلك جاء في حكمته؛ إذ قال (عليه السلام): «اَلعُجْبُ رَأسُ الجَهْلِ، وَالعُجْبُ عُنْوانُ الحَماقَةِ»[117] أي أنَّ العجب دليلٌ على الحماقة والجهل؛ لأنَّه ناتجٌ عن عدم معرفة الإنسان بنفسه معرفة صحيحة، فهو ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة هي غير مستحقة، وحقيق على من عرف نفسه أن يعرف كثرة العيوب التي تعتريها، فإنَّ الفضل مقسوم بين البشر، وليس يكمل الواحد منهم إلّا بالفضائل، ومن كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه أن لا يعجب بنفسه[118].

ودعا الإمام (عليه السلام) إلى عدم احتقار الناس والاستهانة بهم، فإنَّها تُعَدُّ من الملكات الإنسانية السيئة التي يجب على المسلم عدم تمثل بها، فجاءت الحكمة: «لَا يَهُونَنَّ عَلَيْكُمْ مَن قَبُحَ مَنْظَرُهُ وَرَثَّ لِبَاسُهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ، وَيُجَازِي بِالْأَعْمَالِ»[119]، كما دعا الإمام (عليه السلام) في حكمة أخرى إلى احترام الكيان المعنوي للإنسان صفة التواضع قائلًا: «أَكْرِمْ ضَيْفَكَ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا، وَقُمْ عَنْ مَجْلِسِكَ لِأَبِيكَ وَمُعَلِّمِكَ وَإِنْ كُنْتَ أَمِيرًا»[120].

ولمَّا كان سوء الظن سببًا من أسباب تفكّك الروابط الإنسانية القائمة على الثقة والاحترام والمودة بين أبناء المجتمع الواحد، لما يترتب عليه من آثار سلبية وضحها الإمام (عليه السلام)؛ إذ قال: «سُوءُ الظَّنِّ يَدْوِي الْقُلُوبَ، وَيَتَّهِمُ الْمَأْمُونَ، وَيُوحِشُ الْمُسْتَأْنِسَ، وَيُغَيِّرُ مَوَدَّةَ الْإِخْوَانِ»[121]، وحرص الإمام أن يكون حسن الظن هو القاعدة التي تغلب في التعامل مع الآخرين وفقًا للرؤية العلوية، وأكَّد ذلك في حكمه واضعًا لنا منهجًا سلوكيًّا قائمًا على حسن الظن، يبتعد فيه الإنسان عن الشك والريبة، بوصفها أقوى أسباب التباعد والتخاصم قائلًا: «لا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءً

وَأَنتَ تَجِدُ لَهَا فِي الخَيرِ مُحتَمَلًا»[١٢٢]، فعلى الإنسان أن لا يسيء الظن في أي قول أو فعل يمكن أن يجد له تأويلًا حسنًا.

ولم تكن محاربة الشر بعيدةً عن المقصد الديني الذي اهتم به الإمام (عليه السلام)، فقد رسم لنا الطريق السليم للتعامل الإنساني الحسن مع الآخرين عن طريق البدء بمحاربة الشر داخل النفس وإصلاحها بوصفه خطوةً أولى لإصلاح المجتمع؛ إذ قال (عليه السلام): «اُحْصُدِ اَلشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ»[١٢٣]، ومن يفعل ذلك يتمكن من فتح أبواب المودة في قلوب الآخرين عن طريق اقتلاع الشر داخل نفسه والقضاء عليه.

وعلى الرغم من رفض الإمام (عليه السلام) للشر رفضًا مطلقًا إلّا أنّنا نجده يقف عند حالة من حالات الشر بحكمة منفردة، فقال (عليه السلام): «شَرُّ اَلنَّاسِ مَنْ لاَ يَعْفُو عَنِ اَلْهُفْوَةِ وَ لاَ يَسْتُرُ اَلْعَوْرَةَ»[١٢٤]، واصفًا مَنْ يتتبع عورات الناس ويشهر بها، فهو شرُّ الناس؛ لِمَا فيه من سلوك غير إنساني قائم على انتهاك حرمة الناس والاستهانة بخصوصياتهم التي ينظر إليها الإمام (عليه السلام) بنظرة قدسية.

فكانت هذه النظرة لا جدال ولا مراء فيها، وهذا ما نستدلُّ عليه من مبدأ النبل الإنساني المتمثل في إحدى حكمه التي قال فيها: «لَوْ وَجَدْتُ مُؤْمِناً عَلَى فَاحِشَةٍ لَسَتَرْتُهُ بِثَوْبِي هَذَا أَوْ قَالَ بِثَوْبِهِ فَرَفَعَهُ بِيَدَيْهِ جَمِيعاً إِنَّ اَلتَّوْبَةَ فِيمَا بَيْنَ اَلْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ اَللهِ»[١٢٥]، نجد أنَّ الإمام (عليه السلام) يطالب المسلم باحترام خصوصيات أخيه المسلم والتأني قبل محاسبته وإصدار الأحكام عليه.

ولم يقتصر منهج الإمام (عليه السلام) الإنساني على الإنسان فحسب، بل نجد أنَّ دائرة العدل والرحمة تتسع في منطق الإمام (عليه السلام)

حتى تشمل أبعد من حياة البشر، فتسع الكائنات جميعها من حيوانات ونباتات وجمادات؛ إذ قال: «اِتَّقُوا اَللّٰهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ اَلْبِقَاعِ وَاَلْبَهَائِمِ»(١٢٦)، فليس من المعقول أن يحث الإمام (عليه السلام) على التراحم بين الناس والتعاطف، في حين أنهم يمارسون أقسى درجات العنف والقسوة على الحيوانات، لذا نجد الإمام (عليه السلام) من أوائل الذين نادوا بمراعاة حقوق الحيوان والعناية به جاعلًا الرفق هو الإطار الإنساني الذي يتم التعامل به مع هذه الأنفس.

وممَّا تقدَّم تبيَّن لنا أنَّ ما ورد من قصار الحكم للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الجانب الإنساني، وأنَّ النظرة العلوية إلى الإنسان نابعة من الجوهر الإنساني لا غير، وأنَّ المجتمع الذي أراده الإمام (عليه السلام)، ودعا إليه مجتمع، هو إنساني قبل كل شيء، إذ يتساوى فيه الجنس البشري في كافة الحقوق والواجبات، فلا مكان للأنساب أو الأحساب العنصرية. وقد حرص الإمام (عليه السلام) على صيانة كرامة الإنسان وحقه في الحياة الكريمة الآمنة، وأنَّ الإنسانية عند الإمام (عليه السلام) ذات مفهوم شامل وعام حتى شملت جميع الكائنات، وبذلك كان الإمام (عليه السلام) رائدًا للإنسان وداعيًا للحقوق الإنسانية من دون منازع.

الخاتمة

بعد إكمال البحث، والحمد لله رب العالمين، لا بُدَّ من ذكر أهم النتائج:

• تبيَّن من هذه الدراسة أنَّ الحكمة عند أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) تستند في الأساس إلى معرفة نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية، ممَّا جعلها فيما جاءت به من مفاهيم معبّرة عن تعاليم الدِّين الإسلامي ومبادئ الشريعة الساعية إلى إصلاح

الفرد والمجتمع.

• تُعَدُّ الحكمةُ عند الإمام علي (عليه السلام) البداية الحقيقية لمبادئ الفلسفة الإسلامية، وترجع قيمتها المعرفية إلى شمولها على البرهان والدلالة، فضلًا عن شمولها لكثير من المفردات المعرفية والعلمية، كالذكر والإدراك والبصيرة.

• كشف البحث عن أنَّ حكم الإمام علي (عليه السلام) جاءت موجَّهة، ويمكن القولُ إنَّها رسمت منهجًا حياتيًّا متكاملًا ببُعدَيه الديني والدنيوي، وذلك عن طريق مقاصدها المتنوّعة بتشعباتها الدقيقة، فلم يترك الإمام (عليه السلام) جانبًا من جوانب الحياة إلّا وقد أنجز فيه الحديث بحكمة قصيرة تنظيمًا له وتوجيهًا.

• تناول الإمام (عليه السلام) في حكمه القصيرة أهم الجوانب في حياة المسلم، ومنها الجانب الاجتماعي الذي ركز فيه على حياة المسلم وما فيها من حقوق وواجبات.

• اهتم (عليه السلام) في الجوانب الدِّينية والإنسانية التي تعد هي الأساس في بناء المجتمعات والحياة الكريمة لكل أفراد المجتمع.

• كثر السجع في حكم الإمام (عليه السلام)، وكانت له دلالة فنية تشدُّ المتلقي وتثير انتباهه، فقد أشار أهل البلاغة إليها.

• تنوّع أساليب التعبير والإنشاء في مضمونات الحكم القصار، كالأمر والنهي والاستفهام والنداء، وهذه دلالة حقيقية في الحكم، وكثيرًا ما أدَّت هذه الدلالات إلى جوانب إصلاحية متنوعة.

الهوامش:

١. الموسوي، هاشم، النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٩٣ - ٩٤.

٢. ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٤٦٠.

٣. القبانجي، مسند الإمام علي، ج ٥، ص ٢٢، السيد حسن القبانجي، مسند الإمام علي (عليه السلام)؛ الشيخ ظاهر السلامي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م/ ١٤٢١هـ، الآمدي، نقلًا عن الإمام علي، الشيخ المحمودي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢١١؛ غرر الحكم، ج١، ص٦٢، حكمة ١٦٤٦.

٤. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٩، ص٣٧٠.

٥. ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج٤، ص٣٤، المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٧.

٦. ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج١٨، ص٨٤، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٩٢.

٧. ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج١٨، ص٨٦، غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٩٧.

٨. ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج١٨، ص٨٧، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج١٠، ص١٠٠؛ للمزيد ينظر: عليان، سمية حسن، مواصفات الشخصية الإسلامية السليمة من منظور أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، بحث منشور، مجلة المبين، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، السنة العاشرة، العدد٢٢، لسنة ١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٥ م، ص ٢٩٨- ٣٣٠.

٩. ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج٢٠، ص٢٦٧، مجموعة من المؤلفين، سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين، ص١٨٩.

١٠. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٩٧، الآمدي، غرر الحكم، ص١٥٢.

١١. جرداق، جورج، علي صوت العدالة الإنسانية، ج١، ص٤٤١.

١٢. الآمدي، غرر الحكم، ص١٧١.

١٣. سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

١٤. سورة النساء، الآية: ٣٦.

١٥. الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٣٩.

١٦. الشيخ المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٩، ص٢١٩.

١٧. الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم،

ص ١٨٦.

١٨. الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٧.

١٩. الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٣٣٢.

٢٠. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٣.

٢١. سورة الحجرات، الآية: ١٠.

٢٢. الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٩٨.

٢٣. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٣٧٨.

٢٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٣٧٨.

٢٥. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٣٧٩.

٢٦. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٣٨٠.

٢٧. من الأطروحة، ص١٤٨.

٢٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٤٦١.

٢٩. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٤٤٦٣.

٣٠. ينظر الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج٩، ص٤٩١.

٣١. الآمدي، غرر الحكم ينظر، ص٩٧.

٣٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢١١.

٣٣. الآمدي، غرر الحكم، ص ١٠٥.

٣٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢٣؛ الآمدي، غرر الحكم، ص١٨٦.

٣٥. الآمدي، غرر الحكم، ص ٤٣٦.

٣٦. الآمدي، غرر الحكم، ص ٢٧١.

٣٧. الآمدي، غرر الحكم، ص ١٩٧.

٣٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٢٥٦؛ للمزيد ينظر: علاوي، مصطفى رزاق، أسس العدالة والتوازن الاجتماعي في فكر الإمام علي (عليه السلام)، بحث منشور، مجلة المبين، العدد ٢٢، لسنة ١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٥ م، ص ١٦٠- ١٩٥.

٣٩. الآمدي، غرر الحكم، ص٣٤١.

٤٠. مجموعة من المؤلفين، سجع الحمام في حكم الإمام، ص ٢٥٢.

٤١. صحيح مسلم، ج١، ص٩٩.

٤٢. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج٩، ص ٢٢.

٤٣. المصدر نفسه، ج٩، ص٢٢.

٤٤. الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٢٣.

٤٥. آل عمران آية: ١٣.

٤٦. الآمدي، غرر الحكم، ص ٢٩٩.

٤٧. المدرسي، تقي الدين، التوحيد يتجلى في الحياة، ص٦٥.
٤٨. سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
٤٩. الآمدي، غرر الحكم، ص ٢٣.
٥٠. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص ٣٨٩.
٥١. السعد، غسان حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ص ١٠٢.
٥٢. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٢٤٢؛ للمزيد ينظر: عبد، صلاح صبحي، التفكير السليم وحدود معرفة الله في نهج البلاغة، بحث منشور، مجلة المبين، السنة التاسعة العدد ٢١، لسنة ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤ م، ص ١١٤.
٥٣. سورة الحجرات، آية: ١٣.
٥٤. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢٠٣.
٥٥. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج٩، ص٤٥٤.
٥٦. الآمدي، غرر الحكم، ص ٢١٣.
٥٧. الآمدي، غرر الحكم، ص ٧١.
٥٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص ٣٨٠.
٥٩. الآمدي، غرر الحكم، ص ٤٣٤.
٦٠. الشيخ المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٩، ص٦٠٧.
٦١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٢١٠.
٦٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص١٦٢.
٦٣. الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت، ص ٢٠٦.
٦٤. العاملي، الانتصار، ج٥، ص٣١٧.
٦٥. الآمدي، غرر الحكم، ص٤٥.
٦٦. الذاريات، الآية: ٥٦.
٦٧. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص٨٤.
٦٨. سجع الحمام في حكم الإمام، ص١٩٦.
٦٩. الشيخ المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٩، ص٩.
٧٠. سنن الترمذي، ج١، ص١٧٤.
٧١. الآمدي، غرر الحكم، ص٤٢.
٧٢. سجع الحمام في حكم الإمام، ص١٤٣.
٧٣. الآمدي، غرر الحكم، ص٢٤١.
٧٤. الشيخ المحمودي، نهج السعادة في

مستدرك نهج البلاغة، ص٧٥.

٧٥. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ص٧٧.

٧٦. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٣٤٥.

٧٧. سورة التوبة، الآية: ٣٤.

٧٨. الآمدي، غرر الحكم، ص٣٢٦.

٧٩. سورة الحشر، الآية: ٩.

٨٠. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٨٧.

٨١. الآمدي، غرر الحكم، ص٢٦٧.

٨٢. الآمدي، غرر الحكم، ص٢٨٥.

٨٣. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٣٧٢.

٨٤. الآمدي، غرر الحكم، ص٤٢٥.

٨٥. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٩، ص١٠٢.

٨٦. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٩، ص٨١.

٨٧. المهاجر، عبد الحميد، الإمام علي سيرته الذاتية وفكره الحضاري، ج١، ص١٧١.

٨٨. سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٨٩. الآمدي، غرر الحكم، ص٢٦٢.

٩٠. الشيخ المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٩، ص٦٦٧.

٩١. الآمدي، غرر الحكم، ص١٧١.

٩٢. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣، ما كتبه الإمام (عليه السلام) إلى الأشتر.

٩٣. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج٩، ص٦٦٧.

٩٤. الآمدي، غرر الحكم، ص٤٣٤.

٩٥. الآمدي، غرر الحكم، ص٨٠.

٩٦. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٧، ص٢٦

٩٧. المهاجر، الإمام علي سيرته الذاتية، ص ١٧٢.

٩٨. الشيخ المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج١٠، ص١٣٤.

٩٩. الآمدي، غرر الحكم، ص٨٤.

١٠٠. الآمدي، غرر الحكم، ص١٣٧.

١٠١. سجع الحمام في حكم الإمام، ص١٥٦.

١٠٢. الآمدي، غرر الحكم، ص٣٥١.

١٠٣. سورة التغابن، الآية: ١٤.

١٠٤. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٢٨٦.

١٠٥. الآمدي، غرر الحكم، ص١٢٦.

١٠٦. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٣٠٩.

١٠٧. الآمدي، غرر الحكم، ص٣٥٨.

١٠٨. القلم، آية: ٤.

١٠٩. الآمدي، غرر الحكم، ص٢٥٥.

١١٠. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج١٠، ص٣٥٩.

١١١. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٢٨٤.

١١٢. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج١٠،

ص ٢٦٦.

١١٣. الآمدي، غرر الحكم، ص١١٦.

١١٤. نهج البلاغة، خطبة، ١٩٣/ ٢١٦.

١١٥. سورة الزمر، الآية: ٧٢.

١١٦. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج١٠، ص ١٦٣.

١١٧. الآمدي، غرر الحكم، ص٤٦.

١١٨. ابن مسكوبه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٢٨٧.

١١٩. سجع الحمام في حكم الإمام، ص ٢٠١.

١٢٠. الآمدي، غرر الحكم، ص٨٣.

١٢١. سجع الحمام في حكم الإمام، ص١٣٦.

١٢٢. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٩، ص٢٤١.

١٢٣. ابن أبي الحديد، شرح، ج١٨، ص٥٢٩.

١٢٤. الآمدي، غرر الحكم، ص٤٣٦.

١٢٥. الشيخ المحمودي، نهج السعادة، ج١٠، ص ٩٣.

١٢٦. ابن أبي الحديد، شرح، ج٩، ص٢١١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً- الكتب:

١- الموسوي، هاشم، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط١، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

٣- المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، تصحيح: عزيز آل طالب، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤١٨هـ/ ١٩٦٨م.

٤- القبانجي، حسن، مسند الإمام علي (عليه السلام) ضبط وتخريج، السيد الطاهر السلامي، دار الإسراء للطباعة والنشر، إيران، ٢٠٠٢م.

٥- الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تدقيق، عبد الحسين دهيني، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٦- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧- الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي، تحقيق، أحمد محمد شاكر وآخرون، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٨- الواسطي، علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق، حسين الحسيني، ط١، دار الحديث للطباعة، (د. ت).

٩- المدرسي، محمد تقي، التوحيد يتجلى في الحياة، ط١، طهران، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٠- الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

١١- العاملي، محسن الأمين، الانتصار، ط١، دار السيرة، (بيروت، لبنان)،

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٢- المهاجر، عبد الحميد، الإمام علي سيرته الذاتية وفكره الحضاري، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٣- ابن مسكوبه، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكوبه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، تحقيق، عماد الهلالي، ط١، طليعة النور للنشر، قم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٧م.

١٤- جرداق، جورج، علي صوت العدالة الإنسانية، ط١، دار المهدي، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٥- الشريف الرضي، محمد بن الحسين الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق، محمد هادي أمين، مؤسسة نهج البلاغة، إيران، ٢٠١٦.

ثانيًا- الدوريات:

١٦- عبد، صلاح صبحي، التفكير السليم وحدود معرفة الله في نهج البلاغة، بحث منشور، مجلة المبين، السنة التاسعة العدد ٢١، لسنة ١٤٤٥ هـ/ ٢٠٢٤ م.

١٧- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٢٥٦؛ للمزيد ينظر: علاوي، مصطفى رزاق، أسس العدالة والتوازن الاجتماعي في فكر الإمام علي (عليه السلام)، بحث منشور، مجلة المبين، العدد ٢٢، لسنة ١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٥ م.

١٨- عليان، سمية حسن، مواصفات الشخصية الإسلامية السليمة من منظور أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، بحث منشور، مجلة المبين، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، السنة العاشرة، العدد٢٢، لسنة ١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٥ م.

Editors Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al- Fartousi
University of Rotterdam-Holland

Prof. Dr. Abdul Ali Safih al-Tai
Advisor to the Ministry of Education
France

Prof. Dr. Jawad Kazem Al -Nasrallah
University of Basra- College of Arts

Prof. Dr. Abdul Hussain Abdul Rida Al Omari
University of Dhi Qar- College of Arts

Prof. Dr. Hussein Ali Al-Sharhani
Dhi Qar University- College of Education
for Human Sciences

Prof. Dr. Mohamed Hassanein Al-Naqawi
University of Bahaauddin- Pakistan

Prof. Dr. Mustafa Kadhim Shgedl
College Of Arts/Baghdad University

Prof. Dr. Nieamah Dahsh Farhan Al- Taee
University of Baghdad
College of Education Ibn Rushd

Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel Sada
University of Muthanna
College Of Education For Human Sciences

Dr. Haidar Hadi Khalkal Al Shaibani
Directorate of Education - Najaf Ashraf

Copy Editors (Arabic)

Prof. Dr. Karim Hamza Hamidi

Financial and Management
Ahmed Adnan Al-Muamar
Zaman Jaafar Kadhim

Copy Editors (English)
Hassanein Ali Abdul Amir Al-Tai

Design And Production
Ahmed Abbas Mahdi

Editor-In-Chief

Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Alfahham
University of Kufa- College of Education for Girls

Managing Editor

Prof. Dr. Hassan Hamid Fayyad
College of Basic Education - University of Kufa

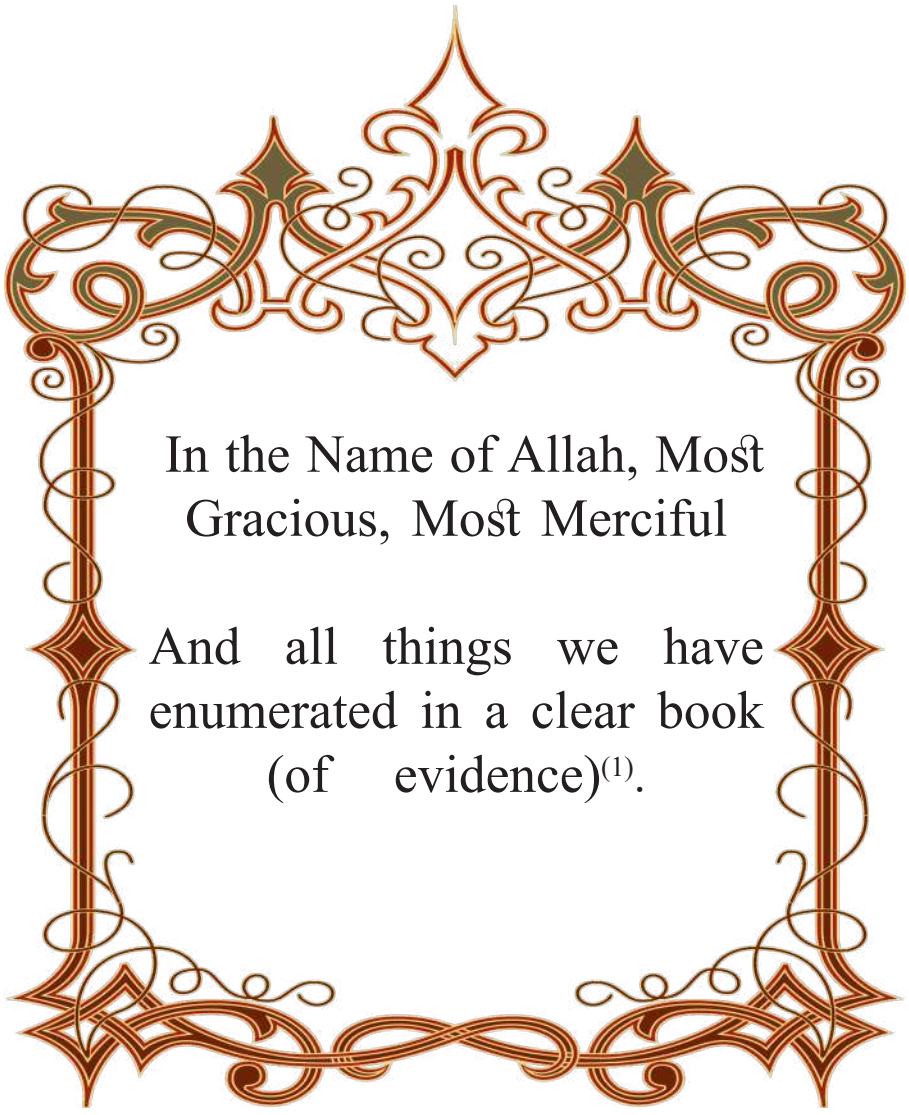

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

And all things we have enumerated in a clear book (of evidence)[1].

1- Abodullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment,(Kuwait: That El-salasil,1989) , Iyat 12,Sura,Yasin.

Al-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Reliable for Scientific Promotion

Tenth year: Twenty fourth Edition

Jumada al-Akhirah 1447 AH - December 2025 AD